الكامل فى التاريخ

المجلد الأول

من البداية حتى صـ 170

ملحوظة أنظر صـ 122 بالكتاب

خطبة الكتاب

بسم الله الرحمين الرحيم

[خطبة الكتاب]

الحمد لله القديم . فلا أول لوجوده . الدائم الكريم . فلا آخر لبقائه ولا نهاية لجوده. الملك حقا فلا تدرك العقول حقيقة كنهه . القادر فكل ما في العالم من أثر قدرته . المقدس فلا تقرب الحوادث حماه . المنزه عن التغيير فلا ينجو منه سواه . مصرف الخلائق بين رفع وخفض . وبسط وقبض . وإبرام ونقض . وإماتة وإحياء . وإيجاد وإفناء . وإسعاد وإضلال . وإعزاز وإذلال . يؤتي الملك من يشاء، وينزعه ممن يشاء. ويعز من يشاء، ويذل من يشاء. بيده الخير وهو على كل شيء قدير. مبيد القرون السالفة . والأمم الخالفة . لم يمنعهم منه ما اتخذوه معقلا وحرزا . "فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا؟" . بتقديره النفع والضر. وله الخلق والأمر. تبارك الله رب العالمين. أحمده على ما أولى من نعمه . وأجزل للناس من قسمه . وأصلي على رسوله محمد سيد العرب والعجم . المبعوث إلى جميع الأمم . وعلى آله وأصحابه أعلام الهدى ومصابيح الظلم . صلى الله عليه وعليهم وسلم .

(أما بعد) فإني لم أزل محبا لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها، مؤثراً للاطلاع على الجلي من حوادثها وخافيها ، مائلا إلى المعارف والآداب والتجارب المودعة في مطاويها، فلما تأملتها رأيتها متباينة في تحصيل الغرض . يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل إلى العرض . فمن بين مطول قد استقصى الطرق والروايات . ومختصر قد أخل بكثير مما هو آت . ومع ذلك فقد ترك كلهم العظيم من الحادثات . والمشهور من الكائنات ، .

وسود كثير منهم الأوراق بصغائر الأمور التي الإعراض عنها أولى، وترك تسطيرها أحرى ، كقولهم : خلع فلان الذمى صاحب العيار، وزاد رطلا في الأسعار، وأكرم فلان؛ وأهين فلان .

وقد أرخ كل منهم إلى زمانه وجاء بعده من ذيل عليه . وأضاف المتجددات بعد تاريخه إليه . والشرقى [1] منهم قد أخل بذكر أخبار الغرب ، والغربي قد أهمل أحوال الشرق ؛ فكان الطالب إذا أراد أن يطالع تاريخا احتاج إلى مجلدات كثيرة وكتب متعددة مع ما فيها من الإخلال والإملال .

[منهج التأليف]

فلما رأيت الأمر كذلك شرعت في تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق
والغرب وما بينهما ليكون تذكرة لي أراجعه خوف النسيان، وآتي فيه بالحوادث والكائنات من أول الزمان ، متتابعة يتلو بعضها بعضا إلى وقتنا هذا .
ولا أقول إني أتيت على جميع الحوادث المتعلقة بالتاريخ فإن من هو
بالموصل [2] لا بد أن يشذ عنه ما هو بأقصى الشرق والغرب ، ولكن أقول إني قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد، ومن تأمله علم صحة ذلك فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنفه الإمام أبو جعفر الطبري [3] إذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه ، والمرجوع عند الاختلاف إليه ، فأخذت ما فيه من جميع تراجمه لم أخل بترجمة

واحدة منها ، وقد ذكر هو في أكثر الحوادث روايات ذوات عدد كل رواية منها مثل التي قبلها أو أقل منها، وربما زاد الشيء اليسير أو نقصه ، فقصدت أتم الروايات فنقلتها وأضفت إليها من غيرها ما ليس فيها وأودعت كل شيء مكانه فجاء جميع ما في تلك الحادثة على اختلاف طرقها سياقا واحدا على ما تراه .

فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعتها وأضفت منها إلى ما نقلته من تاريخ الطبري ما ليس فيه ووضعت كل شيء منها موضعه إلا ما يتعلق بما جرى بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني لم أضف إلى ما نقله أبو جعفر شيئا إلا ما فيه زيادة بيان

أو اسم انسان أو ما لا يطعن على أحد منهم في نقله . وإنما اعتمدت عليه من بين المؤرخين إذ هو الإمام المتقن حقا، الجامع علماً وصحة اعتقاد وصدقا، على أني لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة، والكتب المشهورة، ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه ، وصحة ما دونوه ، ولم أكن كالخابط في ظلماء الليالي ولا كمن يجمع الحصباء واللآلئ .

ورأيتهم أيضا يذكرون الحادثة الواحدة في سنين ويذكرون منها في كل شهر أشياء فتأتي الحادثة مقطعة لا يحصل منها على غرض ولا تفهم إلا بعد إمعان النظر، فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد وذكرت كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت ، فأتت متناسقة متتابعة قد أخذ بعضها برقاب بعض .

وذكرت في كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها، فأما الحوادث الصغار التي لا يحتمل منها كل شيء ترجمة فإنني أفردت لجميعها ترجمة واحدة في آخر كل سنة فأقول : (ذكر عدة حوادث) وإذا ذكرت بعض من تبع وملك في قطر من البلاد ولم تطل أيامه فإني أذكر جميع حاله من أوله إلى آخره عند ابتداء أمره لأنه إذا تفرق خبره لم يعرف للجهل به ، وذكرت في آخر كل سنة من توفي فيها من مشهوري العلماء، والأعيان والفضلاء.. وضبطت الأسماء المشتبهة المؤتلفة في الخط المختلفة في اللفظ الواردة فيه بالحروف ضبطا يزيل الإشكال ، ويغني عن الانقاط والأشكال .

فلما جمعت أكثره أعرضت عنه مدة طويلة لحوادث تجددت ، وقواطع توالت وتعددت ، ولان معرفتي بهذا النوع كملت وتمت ، ثم إن نفرا من إخواني ؛ وذوي

خطبة الكتاب المعارف والفضائل من خلاني ، ممن أرى محادثتهم نهاية أو طاري، وأعدهم من أماثل مجالسي وسماري؛ رغبوا إلي في أن يسمعوه مني ، ليروووه عني ، فاعتذرت بالإعراض عنه وعدم الفراغ منه فإنني لم أعاود مطالعة مسودته ولم أصلح ما أصلح [1] فيها من غلط وسهو، ولا اسقطت منها ما يحتاج إلى إسقاط ومحو، وطالت المراجعة مدة وهم للطلب ملازمون؛ وعن الاعراض معرضون ، وشرعوا في سماعه قبل إتمامه وإصلاحه؛ وإثبات ما تمس الحاجة إليه وحذف ما لا بد من اطراحه ، والعزم على إتمامه فاتر، والعجز ظاهر؛ للاشتغال بما لا بد منه لعدم المعين والمظاهر، ولهموم توالت ، ونوائب تتابعت ، فأنا ملازم الإهمال والتواني ، فلا أقول : اني لأسير إليه سير الشواني [2] .

فبينما الأمر كذلك اذ برز أمر من طاعته فرض واجب ، وآتباع أمره حكم لازب، من أعلاق [3] الفضل باقباله عليها نافقة ، وأرواح الجهل بإعراضه عنها نافقة من أحيا المكارم وكانت أمواتا ، وأعادها خلقا جديدا بعد أن كانت رفاتا ، من عم رعيته عدله ونواله ، ، وشملهم إحسانه وإفضاله ، مولانا مالك الملك الرحيم ، العالم المؤيد، المنصور، المظفر بدر الدين ، ركن الاسلام والمسلمين ، محي العدل في العالمين ، خلد الله دولته .

فحينئذ ألقيت عني جلباب المهل ، وأبطلت رداء الكسل ، وألقت الدواة [4] وأصلحت القلم ، وقلت هذا أوان الشد فاشتدي زيم [5]، وجعلت الفراغ [6] أهم

مطلب . وإذا أراد الله أمرا هيأ له السبب . وشرعت في اتمامه مسابقا . ومن العجب ان السكيت يروم أن يجيء سابقا. ونصبت نفسي غرضا للسهام . وجعلتها مظنة لأقوال اللوام . لأن المآخذ إذا كانت تتطرق إلى التصنيف المهذب . والاستدراكات تتعلق بالمجموع المرتب . الذي تكررت مطالعته وتنقيحه . وأجيد تأليفه وتصحيحه . في بغيره أولى . وبه أحرى . على انى مقر بالتقصير، فلا أقول ان الغلط سهو جرى به القلم . بل أعترف بأن ما أجهل اكثر مما أعلم .

وقد سميته : اسما يناسب معناه وهو الكامل في التاريخ .

[فائدة التصنيف في التاريخ]

ولقد رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية، ويظن بنفسه التبحر في العلم والرواية ، يحتقر التواريخ وبزدريها ، ويعرض عنها ويلغيها ، ظنا منه أن غاية فائدتها إنما هو القصص والأخبار ، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار؛ وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللب نظره ، وأصبح مخشلباً [1] جوهره ، ومن رزقه الله طبعا سليماً، وهداه صراطا مستقيماً، علم ان فوائدها كثيرة، ومنافعها الدنيوية والأخروية جمة غزيرة ، وها نحن نذكر شيئا مما ظهر لنا فيها ، ونكل إلى قريحة الناظر فيه معرفة باقيها .

[فوائده الدنيوية]

فأما فوائدها الدنيوية : فمنها ان الأنسان لا يخفي انه يحب البقاء ، ويؤثر أن يكون في زمرة الأحياء : فياليت شعري ! أى فرق بين ما رآه أمس أو سمعه ، وبين ما قرأه في الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين؟ فإذا طالعها فكأنه عاصرهم، وإذا علمها فكأنه حاضرهم :

ومنها أن الملوك ومن إليهم الأمر والنهي إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها.مدونة في الكتب يتناقلها الناس فيرويها خلف عن سلف ونظروا إلى ما .

أعقبت من سؤ الذكر وقبيح الأحدوثة وخراب البلاد، وهلاك العباد، وذهاب الأموال ، وفساد الأحوال ، استقبحوها ، وأعرضوا عنها واطرحوها . وإذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها، وما يتبعها من الذكر الجميل بعد ذهابهم ، وان بلادهم وممالكهم عمرت ، وأموالها درت ، استحسنوا ذلك ورغبوا فيه ، وثابروا عليه وتركوا ما ينافيه ، هذا سوى
ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرات الأعداء، وخلصوا بها من المهالك ، واستصانوا نفائس المدن وعظيم الممالك . ولو لم يكن فيها غير هذا لكفى به فخرا .
ومنها ما يحصل للانسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير اليه عواقبها فإنه لا يحدث أمر إلا قد تقدم هو أو نظيره ، فيزداد بذلك عقلا. ويصبح لأن يقتدى به أهلا . ولقد أحسن القائل حيث يقول :

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع
فلا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

يعني بالمطبوع العقل الغريزي الذي خلقه الله تعالى للانسان ، وبالمسموع ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة، وجعله عقلاً ثانيا توسعا وتعظيما له وإلا فهو زيادة في عقله الأول .
ومنها ما يتجمل به الانسان في المجالس والمحافل من ذكر شيء من معارفها، ونقل طريفة من طرائفها، فترى الاسماع مصغية اليه . والوجوه مقبلة عليه : والقلوب متأملة ما يورده ويصدره ، مستحسنة ما يذكره .

[الفوائد الأخروية]

وأما الفوائد الأخروية : فمنها أن العاقل اللبيب إذا تفكر فيها، ورأى تقلب الدنيا بأهلها، وتتابع نكباتها إلى أعيان قاطنيها ، وانها سلبت نفوسهم وذخائرهم ، وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم ، فلم تبق على جليل ولا حقير، ولم يسلم من نكدها غني ولا فقير، زهد فيها وأعرض عنها ، وأقبل على التزود للآخرة منها ، ورغب في دار تنزهت عن هذه الخصائص ، وسلم أهلها من هذه النقائص ، ولعل قائلا يقول : ما نرى ناظرا فيها زهد

في الدنيا، وأقبل على الآخرة ورغب في درجاتها العليا، فياليت شعري ! كم رأى هذا القائل قارئاً للقرآن العزيز- وهو سيد المواعظ وأفصح الكلام - يطلب به اليسير من هذا الحطام ؟ فإن القلوب مولعة بحب العاجل .

ومنها التخلق بالصبر والتأسي وهما من محاسن الأخلاق فإن العاقل إذا رأى أن
مصاب الدنيا لم يسلم منه نبي مكرم ؟ ولا ملك معظم ، بل ولا أحد من البشر علم أنه يصيبه ما أصابهم ، وينوبه ما نابهم .

وهل أنا إلا من غزية؟ إن غوت غويت وأن ترشد غزية أرشد
ولهذه الحكمة وردت القصص في القران المجيد(ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد) [1]. فإنْ ظن هذا القائل أن الله سبحانه أراد بذكرها الحكايات والأسمار فقد تمسك من أقوال الزيغ بمحكم سببها، حيث قالوا : هذه أساطير الأولين اكتتبها .
نسأل الله تعالى أن يرزقنا قلباً عقولاً ولساناً صادقاً، ويوفقنا للسداد في القول والعمل وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ذكر الوقت الذي ابتدىء فيه بعمل التاريخ في الاسلام [1]

قيل :لَما قَدِمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة أمر بعمل التاريخ [2] . والصحيح المشهور أنّ عمر بن الخطاب أمر بوضع التاريخ ، وسبب ذلك أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر أنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ فجمع عمر الناس للمشورة فقال بعضهم : أرخ بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهمِ : بمهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عمر: بل نؤرخ بمهاجرة رسول الله فإنّ مهاجرته فرْق بين الحق والباطل ، قاله الشعبي .

وقال ميمون بن مهران [3] :رُفِعَ [4] إلى عمر صَك مَحَلُّه شعبان فقال : أي شعبان ؟ أشعبان هو آت أم شعبان الذي نحن فيه ؟ ثم قال لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعوا للناس شيئاً يعرفونه ، فقال بعضهم : اكتبوا على تاريخ الروم فإنهم يؤرخون من عهد ذي القرنين فقال : هذا يطول . فقال : اكتبوا على تاريخ الفرس فقيل : إن الفرس كلما أقام [5] ملك طرح تاريخ فن كان قبله . فاجتمع رأيُهُم على أنْ ينظروا : كم أقام رسول

الله بالمدينة؟ فوجدوه عشر سنين ، فكتبوا للتاريخ من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] . وقال محمد بن سيرين : قام رجل إلى عمر فقال : أرخوا، فقال عمر: ما أرخوا ؟ فقال شيءٌ تفعله الأعاجم في شهر كذا من سنة كذا. فقال عمر :حَسَن. فأرخوا، فاتفقوا على الهجرة ثم قالوا : من أي الشهور؟ فقالوا : من رمضان ، ثم قالوا : فالمحرم هو منصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام ، فأجمعوا عليه . وقال سعيد بن المسيب : جمع عمر الناس فقال : من أي يوم نكتب التاريخ ؟

فقال على :مِنْ مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفراقه أرض الشرك ففعله عمر[2] . وقال عمرو بن دينار: أول من أرخ يعلى بن أمية [3] وهو باليمن[4].

[تاريخ العرب قبل الإِسلام]

وأما قبل الاسلام فقد كان بنو ابراهيم ، يؤرخون من نار إبراهيم إلى بنيان البيت حين بناه ابراهيم لإسماعيل عليهما السلام ، ثم أرخ بنو إسماعيل من بُنْيَان البيت حتى تفرقوا، فكان كلما خرج قوم من " تِهَامَة " [5] أرخوا بمخرجهم ، ومَنْ بقي بتهامة من بني إسماعيل يؤرخون من خروج سعد ونهد وجهينة بني زيد من تهامة حتى مات كعب بن لُؤي [6]، وأرخوا من موته إلى الفيل .

ثم كان التاريخ من الفيل حتى أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع

عشرة أو ثمان عشرة وقد كان كل طائفة من العرب تؤرخ بالحادثات المشهورة فيها ولم يكن لهم تاريخ يجمعهم ، وفي ذلك قول بعضهم :

ها أنا ذا آمل الخلود وقد أدرك عقلي مولديِ حجراً

وقال الجعدي :

فمن يك سائلًا عي فإني من الشبان أيام الختان

وقال آخر :

وما هي إلا في إزار وعلقة بغار ابن همام على حي خثعما

وكل واحد أرخ بحادث مشهور عندهم فلو كان لهم تاريخ يجمعهم لم يختلفوا قي التاريخ والله أعلم .

القول في الزمان [1]

الزمان عبارة عن ساعات الليل والنهار وقد يقال ذلك للطويل والقصير منهما، والعرب تقول : أتيتك زمان الصرَام . وزمان الصرام يعني به وقت الصرَام [2] وكذلك : أتيتك أزمان (الحجاج أمير) – ويجمعون الزمان ، يريدون بذلك أن كل وقت من أوقات إمارته من الأزمنة .

القول في جميع الزمان من أوله إلى آخره [3]

اختلف الناس في ذلك فقال ابن عباس من رواية سعيد بن جبير عنه : سبعة آلاف سنة[4].

وقال وَهْب بنُ مُنَبه : ستة آلاف سنة[5]. قال أبو جعفر [6] : والصحيح من ذلك ما دل على صحته الخبر الذي رواه ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أجلكم في أجل

من قبلكم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس "[1] وروى نحو هذا المعنى أنس وأبو سعيد إلا أنهما قالا : إلى غروب الشمس وبدل صلاة العصر بعد العصر، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (بعثت أنا والساعة كهاتين ، وأشار بالسبابة والوسطى[2]، وروى نحوه جابر بن سمرة وأنس وسهل بن سعيد وبُرَيْدة[3] والمستورد بن شداد وأشياخ من الأنصار كلهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذه أخبار صحيحة[4].

قال : وقد زعم اليهود أن جميع ما ثبت عندهم على ما في التوراة من لدن خلق آدم إلى الهجرة أربعة آلاف سنة وثلثمائة واثنتان وأربعون سنة، وقالت اليونانية من النصارى : إن من خلق آدم إلى الهجرة[5] خمسة آلاف سنة وتسعمائة واثنتين وتسعين سنة وشهراً وزعم قائل أن اليهود إنما نقصوا من السنين دفعاً منهم لنبوة عيسى إذ كانت صفته ومبعثه في التوراة وقالوا : لم يأت الوقت الذي في التوراة أن عيسى يكون فيه فهم ينتظرون بزعمهم خروجه ووقته ، قال : وأحسب أن الذي ينتظرونه ويدعون صفته في التوراة هو الدجال .

وقالت المجوس : إنّ قَدْر مدة الزمان من لدن ملك جيُومَرث إلى وقت الهجرة ثلاثة آلاف ومائة وتسع وثلاثون سنة وهم لا يذكرون مع ذلك شيئاً يعرف فوق جيومرث ويزعمون أنه هو آدم وأهل الأخبار مختلفون فيه ، فمن قائل مثل قول المجوس ، ومن قائل : أنه يسمى بآدم بعد أن ملك الأقاليم السبعة وأنه حام بن يافث بن نوح وكان باراً

بنوح فدعا له ولذريته بطول العمر والتمكين في البلاد واتصال الملك فاستجيب له فملك جيومرث وولده الفرس ولم يزل الملك فيهم إلى أن دخل المسلمون المدائن وغلبوهم على ملكهم ومن قائل غير ذلك كذا قال أبو جعفر.

قلت : ثم ذكر أبو جعفر [1] بعد هذا أصُولاً تتضمن الدلالة على حدوث الأزمان والأوقات وهل خلق الله قبل خلق الزمان شيئاً أم لا؟ وعلى فناء العالم وأن لا يبقى إِلا الله تعالى وأنه أحدث كل شيء واستدل على ذلك باشياء يطول ذكرها ولا يليق ذلك بالتواريخ لا سيما المختصرات منه فإنه بعلم الأصول أولى وقد فرغ المتكلمون منه في كتبهم فرأينا تركه أولى .

[الغريب]

(*)بُرَيْدة : بضم الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخرها هاء.

القول في ابتداء الخلق وما كان أوله

صح في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه عُبَادة بن الصامت أنه سمعه يقول : " إن أول ما خلق الله تعالى القلم ، وقال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن " [2] وروى نحو ذلك عن ابن عباس .

وقال محمد بن إسحاق : أول ما خلق الله تعالى النور والظلمة فجعل الظلمة ليلاً أسود وجعل النور نهاراً أبيض مضيئاً والأول أصح للحديث ، وابن إسحاق لم يسند قوله إلى أحد، واعترض أبو جعفر على نفسه [3] بما روى سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال : إن الله تعالى كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فكان أول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة؛

وأجاب بأن هذا الحديث إن كان صحيحاً فقد رواه شعبة أيضاً عن أبي هاشم ولم يقل ،فيه أن الله كان على عرشه : روى أنه قال أول ما خلق الله القلم .

القول فيما خلق بعد القلم

ثم إن الله خلق – بعد القلم وبعد أن أمره فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة – سحاباً رقيقاً وهو الغمام الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : وقد سأله أبو رزين العقيلي : أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق ؟ فقال : في غمام [1] ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء وهو الغمام الذي ذكره اللُه في قوله : ﴿هَلْ يَنْظرُونَ إلّا أن يأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِن الغَمَامِ ؟﴾[2] .

قلت : فيه نظر لأنه قد تقدم أن أول ما خلق الله تعالى القلم وقال له : اكتب فجرى في تلك الساعة ثم ذكر في أول هذا الفصل أن الله خلق بعد القلم وبعد أن جرى بما هو كائن سحاباً ومن المعلوم أن الكتابة لا بد فيها من آلة يكتب بها وهو القلم ومِنْ شيءٍ يكتب فيه وهو الذي يعبر عنه ههنا باللوح المحفوظ وكان ينبني أن يذكر اللوح المحفوظ ثانياً للقلم والله أعلم ، ويحتمل أن يكون تَرَكَ ذكره لأنه معلوم من مفهوم اللفظ بطريق ا لملازمة .

[ما خلق بعد الغمام]

ثم اختلف العلماء فيمن خلق الله بعد الغمام ؟ فروى الضَحَّاك بن مُزَاحم [3] عن ابن عباس أول ما خلق الله العرش فاستوى عليه .

وقال آخرون : خلق الله الماء قبل العرش وخلق العرش فوضعه على الماء، وهو قول أبي صالح عن ابن عباس ، وقول ابن مسعود، ووَهْب بن مُنَبه . وقد قيل : إن الذي خلق الله تعالى بعد القلم الكرسي ، ثم العرش ، ثم الهواء، ثم الظلمات ، ثم الماء فوضع العرش عليه . قال : وقول مَنْ قال : –إن الماء خلِقَ قبل العرش –أولى بالصواب لحديث أبي رزين عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد قيل : إن الماء كان على متن الريح حين خلق العرش ، قاله سعيد بن جبير عن ابن عباس ، فإنْ كان كذلك فقد خلقا قبل العرش . وقال غيره : إن الله خلق القلم قبل أنْ يخلق شيئاً بألف عام .

[اليوم الذي ابتدأ اللّه فيه خلق السماوات والأرض]

واختلفوا أيضاً في اليوم الذي ابتدأ الله تعالى فيه خلق السموات والأرض ، فقال عبد الله بن سَلَام ، وكعب ، والضحاك ، ومجاهد : ابتداء الخلق يوم الأحد .

وقال محمد بن إسحاق : ابتداء الخلق يوم السبت ، وكذلك قال أبو هريرة .

واختلفوا أيضاً فيما خلق كل يِوم، فقال عبد الله بن سلام : إن الله تعالى بدأ

الخلق يوم الأحد فخلق الأرضين يوم الأحد، والاثنين ، وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء،وخلق السموات يوم الخميس والجمعة ، ففرغ آخر ساعة من الجمعة فخلق فيها آدم عليه السلام فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة . ومثله قال ابن مسعود وابن عباس من رواية أبي صالح عنه إلا أنهما لم يذكرا خَلْق آدم ولا الساعة .

وقال ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة عنه : إن الله تعالى خلق الأرض بأقواتها من غير أنْ يَدْحُوَها ثم استوى إلى السماء فسواهُن سبع سموات ثم دحا الأرض بعد ذلك فذلك قوله تعالى : (والأرض بعد ذلك دحاها)[1] وهذا القول عندي هو الصواب [2] وقال ابن عباس أيضاً من رواية عكرمة عنه : إن الله تعالى وَضَعَ البيت على.

الماء على أربعة أركان مَبل أنْ يخلق الدنيا بألْفَي عام ثم دُحِيَتْ الأرضُ من تحت البيت. ومثله قال ابن عمرو، وروى السري عن أبي صالح ، وعن أبي مالك عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، وعن ابن مسعود في قوله تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات)[1] قال : إنّ الله عز وجل كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء، فلما أراد أنْ يخلق الخلق أخرج من الماء دُخَاناً فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء، ثم أيبس الماء فجعله أرضاً واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين يوم الأحد ويوم الاثنين فخلق الأرض على حوت ، والحوت النون الذي ذكره الله تعالى في القرآن في قوله (ن والقلم) [2]والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة [3] والصفاة على ظهر ملك ، والملك على صخرة، والصخرة في الريح ، وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء، ولا في الأرض ، فتحرك الحوت فاضطربت وتزلزلت الأرض ، فأرسى عليها الجبال فقرت فالجبال تفخر على الأرض ، فذلك قوله تعالى : (وجعلنا فيها رواسي أن تميد بكم) قال ابن عباس والضحاك ومجاهد وكعب وغيرهم : كل يوم من هذه الأيام الستة التي خلق الله فيها السماء والأرض كألف سنة .

[الأيام في هذه الأخبار مجاز]

قلت : أما ما ورد في هذه الأخبار من أن الله تعالى خلق الأرض في يوم كذا والسماء في يوم كذا إنما هو مجاز وإلّا فلم يكن ذلك الوقت أيام وليالي لأن الأيام عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها والليالي عبارة عما بين غروبها وطلوعها ولم يكن ذلك الوقت سماء ولا شمس وإنما المراد به أنه خلق كل شيء بمقدار يوم كقوله

تعالى : (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) وليس في الجنة بكرة وعشي .

[الغريب]

سلام : والد عبد الله بتخفيف اللام .

القول في الليل والنهار أيهما خُلِقَ قَبْلَ صاحبه

قد ذكرنا ما خلق الله تعالى من الأشياء قبل خلق الأوقات وأن الأزمنة والأوقات إنَّمَا هي ساعات الليل والنهار وأن ذلك إنما هو قطع الشمس والقمر درجات الفلك فلنذكر الآن بأي ذلك كان الابتداء؟ أبالليل أم بالنهار؟ فإن العلماء اختلفوا في ذلك فإن بعضهم يقول : إنّ الليل خُلِقَ قبل النهار؛ ويستدل على ذلك بأن النهار مِنْ نور الشمس فإذا غابت الشمسُ جاء الليل فبان بذلك أن النهار وهو النور وارد على الظلمة التي هي الليل وإذا لم يَرِد نورُ الشمس كان الليلُ ثابتاً فدل ذلك على أن الليل هو الأول . وهذا، قول ابن عباس .

وقال آخرون : كان النهار قبل الليل واستدلوا بأن الله تعالى كان ولا شيء معه ولا ليل ولا نهار وأن نوره كان يضيءُ به كل شيء خلقه حتى خلق الليل . قال ابن مسعود: "إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نورُ السموات من نورِ وجهه " . قال أبو جعفر: والأولى أولى بالصواب للعلة المذكورة أولًا، ولقوله تعالى : (أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها . رفع سمكها فسواها. وأغطش ليلها وأخرج ضحاها) فبدأ بالليل قبل النهار. قال عبيد بن عمير الحارثي : كنت عند على فسأله ابن الكواء عن السواد الذي في القمر فقال : ذلك آية مُحِيَتْ . وقال ابن عباس مثله ، وكذلك قال مجاهد ؛ وقتادة، وغيرهما : لذلك خلقهما الله تعالى الشمس أنور من القمر.

[خلق الشمس والقمر]

قلت : وروى أبو جعفر ههنا حديثاً طويلًا عدة أوراق [1] عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في خَلْق الشمس والقمر وسيرهما فانهما على عجلتين لكل عجلة ثلاثمائة وستون عروة يجزها بعددها من الملائكة وأنهما يسقطان عن العجلتين فيغوصان في بحر بين السماء والأرض فذلك كسوفهما ، ثم إِنّ الملائكة يخرجونهما فذلك تجليهما من

الكسوف ، وذَكَرَ الكواكب وسَيْرَهَا وطلوع الشمس من مغربها ، ثم ذكر مدينة بالمغرب تسمى (جابرسا) وأخرى بالمشرق تسمى (جابرقا) ولكل واحدة منهما عشرة آلاف باب يحرس كل باب منها عشرة آلاف رجل لا تعود الحراسة إليهم إلى يوم القيامة وذكر يأجوج ومأجوج ومنسك وثاريس إلى أشياء أخر لا حاجة إلى ذكرها فأعرضت عنها لمنافاتها العقول ولو صح اسنادها لذكرناها وقلنا به ولكن الحديث غير صحيح ، ومثل هذا الأمر العظيم لا يجوز أن يسطر في الكتب بمثل هذا الإسناد الضعيف.

وإذ كنا قد بينا مقدارَ مُدة ما بين أول ابتداء الله عز وجل في إنشاء ما أراد إنشاءَه من خَلْقِهِ إلن حين فَرَاغِهِ من إنشاء جميعه من سني الدنيا ومدة أزمانها ، وكان الغرض في كتابنا هذا ذكر ما قد بينا أنا ذاكروه من تاريخ الملوك الجبابرة والعاصية ربها والمطيعة ربها ، وأزمان الرسل والأنبياء ، وكنا قد أتينا على ذكر ما تصح به التاريخات وتعرف به الأوقات وهو الشمس والقمر .

فلنذكر الآن أول من أعطاه الله تعالى مُلْكاً وأنعم عليه فكَفَرَ نعمته ، وجَحَدَ ربوبيته ، واستكبر فسلبه الله نعمته وأخزاه وأذله .

ثم نتبعه ذِكْر من استن سُنته واقتفى أثره وأحل الله به نِقْمَتَهُ ونَذْكُرُ مَنْ كان بإزائه أو بعده من الملوك المطيعة ربها المحمودة آثارها ومِن الرسل والانبياء إنْ شاء الله تعالى .

قصة إبليس لَعَنَه الله وابتداء أمره وإطغائه آدم عليه السلام

فأوَلهُم وإمَامُهُم ورئيسُهُم إبليس وكان الله تعالى قد حَسَّن خَلْقَه وشَرَّفه ومَلَكَهُ على سماء الدنيا والأرض فيما ذكر وجعله مع ذلك خازِناً من خُزَان الجنة فاستكبر علىِ ربه وادَعَى الربوبية ، ودعا مَنْ كان تحت يده إلى عبادته فَمَسَخَهُ الله تعالى شيطاناَ رجيماً ، وشوه خَلْقه ، وسَلَبه ما كان خَوَله ، ولَعَنَهُ وطرده عن سماواته في العاجل ، ثم جعل مسكنه ومسكن أتباعه في الآخرة نار جهنم نعوذ بالله تعالى من نار جهنم ونعوذ بالله تعالى من غضبه ومن الحور بعد الكور .

ونبدأ بذكر الأخبار عن السلف بما كان الله اعطاه من الكرامة وبادِّعائِهِ ما لم يكن ونُتْبع ذلك بذكر أحداث في سلطانه وملكه إلى حين زوال ذلك عنه والسبب الذي به زال عنه إنْ شاء الله تعالى .

ذكر الأخبار بما كان لابليس لعنة اللّه من المُلْك وذِكْر الأحداث في مُلْكِهِ

رُويَ عن ابن عباس ، وابن مسعود أن إبليس كان له مُلك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم " الجن " ، وإنَّما سُمَّوا الجن لانَهم خُزَان الجنة[1] ، وكان إبليس مع مُلْكِهِ خازناً. قال ابن عباس : ثم إنه عصى الله تعالى فمَسَخَه شيطاناً رجيماً

وروي عن قتادة في قوله تعالى (ومَنْ يَقُل منهم إني إله مِنْ دُونهِ)[1] إنما كانت هذه الآية في إبليس خاصِة لما قال ما قال لعنه الله تعالى " وجعله شيطاناً رجيماً " وقال : (فَذَلِكَ نَجْزِيْهِ جَهَنَمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالمين)، وروي عن ابن جريح مثله [2] .

وأما الأحداث التي كانت في مُلكه وسلطانه فمنها : ما روى الضحاك عن ابن عباس قال : كان إبليس من حَي من أحياء الملائكة يُقال لهم الجن خُلِقُوا من نار السَّمُوم من بين الملائكة ، وكان خازناً من خزان الجنة ، قال : وخُلقت الملائكة من نور وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مَارِجٍ من نارِ – وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا آلتهبت ، وخُلِقَ الإنسانُ من طين فأول من سَكَنَ في الأرض الجن فاقتتلوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضاً ،قال :فبعث الله تعالى إليهم إبليس في جُنْدٍ من الملائكة وهم هذا الحي الذي يقال لهم الجن فقاتلهم إبليس ومَنْ معه حتى ألحقَهُم بجزائر البحور وأطراف الجبال.

فلما فعل ذلك اغترفي نفسه وقال : قد صنعتُ ما لم يصنعه أحد . فاطّلع الله تعالى علن ذلك من قَلْبِهِ ولم يَطَلَعْ عليه أحدٌ من الملائكة الذين معه .

ورويَ عن أنس نحوه ، وروى أبو صالح عن ابن عباس ومُرة الهمداني عن ابن مسعود أنهما قالا : لما فرغ الله تعالى من خلق ما أحب آستوى على العرش فجعل إبليس علن مُلْك سماء الدنيا وكان من قَبِيْلٍ من الملائكة يُقالُ لهم الجن وإنما سُموا الجن لأنهم من خُزان الجنة وكان إبليس مع مُلكه خازناً فوقع في نفسه كِبْر وقال : ما أعطاني اللّه تعالى هذا الأمرُ الا لمزية لي علن الملائكة فاطلع الله على ذلك منه فقال : إني جاعل في الأرض خليفة . قال ابن

عباس : وكان اسمه " عزازيل " ، وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهمُ عِلْماً فدعاه ذلك إلى الكِبْر.

وهذا قولٌ ثالث في سبب كبره . وروى عِكْرِمَة عن ابن عباس أنّ الله تعالى خلق خلقاً ، فقال : اسجدوا لآدم . فقالوا :لا نفعل . فبعث عليهم ناراً فأحرقتهم ، ثم خلق خلقاً آخر فقالي : إني (خالق بشراً من طينٍ " فاسجدوا لآدم . فأبوا . فبعث الله

تّعالى عليهم ناراً فاحرقتهم ، ثم خلق هؤلاء الملائكة فقال : أسجدوا لآدم قالوا : نعم . وكان إبليس من أولئك الذين لم يسجدوا . وقال شهر بن حوشب : إن إبليس كان من الجن الذين سكنوا الأرض وطردتهم الملائكة وأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء . ورويَ عن سعيد بن مسعود ذلك .

وأولى الأقوال بالصواب أن يقال : كما قال الله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ آسْجُدُوا لأدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيْسَ كَانَ مِنَ الجِن فَفَسَقَ عَنْ أمْرِ رَبهِ " . وجائزٌ أن يكون فُسُوقُهُ من إعجابه بنفسه لكثرة عبادته واجتهاده ، وجائز أن يكون لكونه من الجن .

[ا لغريب]

ومُرّة الهَمْدانِيَ ، بسكون الميم والدال المهملة نسبة إلى هَمْدَان قبيلة كبيرة من اليمن[1].

ذكر خَلْق آدم عليه السلام

ومِن الأحاديث في سلطانه خَلْق أبينا آدم عليه السلام وذلك لَما أراد الله تعالى أن يُطْلِعَ ملائكته عَلّى ما عَلِمَ من آنطواء إبليس على الكبر[1]ولم يعلمه الملائكة حتى دنا أمرُهُ من البوار ومُلْكَهُ من الزوال فقال للملائكة : (إني جَاعِل فِي الأرضِ خَلِيْفَة قَالَوا : أتَجْعَلُ فِيْهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيْهَا وَيسْفِكُ الدمَاءَ 00)[2]

رويَ عن ابن عباس أن الملائكة قالت ذلك للذي كانوا عهدوا من أمره وأمْر الجن الذين كانوا سكان الأرض قبل ذلك ، فقالوا لربهم تعالى : أتجعل فيها من يكون مثل الجن الذين كانوا يسفكون الدماء فيها ويفسدون ويعصونك ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ! فقال الله لهم : (إنَي أعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمَون)[3] يعني من انطواء إبليس على الكِبْر ، والعَزْم على خِلَافِ أمْرِي ، واغتراره ، وأنا مُبْدٍ ذلك لكم منه لتروه عياناً.

فلما أراد الله أنْ يخلق آدم أمر جبريل أن يأتيه بِطيْن من الأرض ، فقالت الأرضُ : أعوذُ بالله منك أن تنقص مني وتشيننني. فرجع ولم يأَخذ منها شيئاً وقال : يا رب إنها عاذت بك فاعذتها ، فبعث ميكائيل فاستعاذت منه فأعاذها فرجع ، وقال مثل جبريل ؛ فبعث إليها مَلَك الموت فاستعاذت منه فقال : أنا أعوذ بالله أنْ أرجع ولم أنفذ أمر ربي فأخذ من وجه الأرض فخلطه ولم يأخذ من مكان واحد ، وأخذ من تربة حمراء ، وبيضاء ، وسوداء ، وطِيْناً لازِباً فلذلك خرج بنو آدم مختلفين .

وروى أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن الله تعالى خلق آدم من قَبْضَةٍ قَبَضَها

مِنْ جميع الأرض فجاء بنو آدم على قَدْرِ الأرض منهم الأحمر والأسود ، والأبيض ، وبين ذلك ، والسهل ، والحَزْن ، والخبيث ، والطيب (1) ، ثم بُلَّتْ طِيْنَتُهُ حتى صارت طِيْناً لازباً ، ثم تركت حتى صارت حَمَأً مَسْنُوناً ، ثم تركت حتى صارت صَلْصَالاً كما قال ربنا تبارك وتعالى)وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسنونٍ)(2) .

واللازبُ : الطين الملتزب بعضه ببعض – أي ثُمَ تُرك حتى تغير وأنتن وصار حمأً مسنوناً يعني منتناً ثم صار صلصالاً وهو الذي له صوت

وإنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض . قال ابن عباس : أمر اللّه بتربة آدم فرُفِعَتْ فخلق آدم من طينٍ لازب من حمأٍ مسنون ، وإنما كان حمأ مسنوناً بعد الالتزاب فخلق منه آدم بيده لئلا يتكبر إبليس عن السجود له . قال : فمكث أربعين ليلة –وقيل أربعين سنة – جسداً ملقىً ، فكان إبليس يأتيه فيضربُهُ برجلِهِ فيُصَلْصِلُ – أي يصوت – قال : فهو قول الله تعالى : (مِنْ صَلْصَال كَالفَخَّار)(3) يقول : هو كالمنفوخ الذي ليس بمصْمَت .

ثم يدخل من فيه فيخرج من دُبُرِهِ ويدخل من دُبُرِهِ فيخرج من فيه ، ثم يقول : لستَ شيئاً ولشيءٍ ما خلقتَ ، ولئن سلطتُ عليك لأهلِكَنَك ، ولئن سلطتَ علي لأعصينك . فكانت الملائكة تمر به فتخافه ، وكان إبليس أشدهم منه خوفاً .

فلما بلغ الحين الذي أراد الله أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة : (إذَا نَفَخْتُ فِيْهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِيْن) (4) فلما نفخ الروح فيه دخلت من قِبَل رَأسِهِ – وكان لا يجري شيء من الروح في جسده

إلا صار لحماً- فلما دخلت الروح رأسه عطس ، فقالت له الملائكة : قل الحمد لله -وقيل : بل ألهمه الله التحميد فقال : الحمد لله رب

إسناده صحيح - أخرجه أبو داود 2 / 525 . والترمذي 5 / 4 20

الكسوف ، وذَكَرَ الكواكب وسَيْرَهَا وطلوع الشمس من مغربها ، ثم ذكر مدينة بالمغرب تسمى (جابرسا) وأخرى بالمشرق تسمى (جابرقا) ولكل واحدة منهما عشرة آلاف باب يحرس كل باب منها عشرة آلاف رجل لا تعود الحراسة إليهم إلى يوم القيامة وذكر يأجوج ومأجوج ومنسك وثاريس إلى أشياء أخر لا حاجة إلى ذكرها فأعرضت عنها لمنافاتها العقول ولو صح اسنادها لذكرناها وقلنا به ولكن الحديث غير صحيح ، ومثل هذا الأمر العظيم لا يجوز أن يسطر في الكتب بمثل هذا الإسناد الضعيف.

وإذ كنا قد بينا مقدارَ مُدة ما بين أول ابتداء الله عز وجل في إنشاء ما أراد إنشاءَه من خَلْقِهِ إلن حين فَرَاغِهِ من إنشاء جميعه من سني الدنيا ومدة أزمانها ، وكان الغرض في كتابنا هذا ذكر ما قد بينا أنا ذاكروه من تاريخ الملوك الجبابرة والعاصية ربها والمطيعة ربها ، وأزمان الرسل والأنبياء ، وكنا قد أتينا على ذكر ما تصح به التاريخات وتعرف به الأوقات وهو الشمس والقمر .

فلنذكر الآن أول من أعطاه الله تعالى مُلْكاً وأنعم عليه فكَفَرَ نعمته ، وجَحَدَ ربوبيته ، واستكبر فسلبه الله نعمته وأخزاه وأذله .

ثم نتبعه ذِكْر من استن سُنته واقتفى أثره وأحل الله به نِقْمَتَهُ ونَذْكُرُ مَنْ كان بإزائه أو بعده من الملوك المطيعة ربها المحمودة آثارها ومِن الرسل والانبياء إنْ شاء الله تعالى .

قصة إبليس لَعَنَه الله وابتداء أمره وإطغائه آدم عليه السلام

فأوَلهُم وإمَامُهُم ورئيسُهُم إبليس وكان الله تعالى قد حَسَّن خَلْقَه وشَرَّفه ومَلَكَهُ على سماء الدنيا والأرض فيما ذكر وجعله مع ذلك خازِناً من خُزَان الجنة فاستكبر علىِ ربه وادَعَى الربوبية ، ودعا مَنْ كان تحت يده إلى عبادته فَمَسَخَهُ الله تعالى شيطاناَ رجيماً ، وشوه خَلْقه ، وسَلَبه ما كان خَوَله ، ولَعَنَهُ وطرده عن سماواته في العاجل ، ثم جعل مسكنه ومسكن أتباعه في الآخرة نار جهنم نعوذ بالله تعالى من نار جهنم ونعوذ بالله تعالى من غضبه ومن الحور بعد الكور .

ونبدأ بذكر الأخبار عن السلف بما كان الله اعطاه من الكرامة وبادِّعائِهِ ما لم يكن ونُتْبع ذلك بذكر أحداث في سلطانه وملكه إلى حين زوال ذلك عنه والسبب الذي به زال عنه إنْ شاء الله تعالى .

ذكر الأخبار بما كان لابليس لعنة اللّه من المُلْك وذِكْر الأحداث في مُلْكِهِ

رُويَ عن ابن عباس ، وابن مسعود أن إبليس كان له مُلك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم " الجن " ، وإنَّما سُمَّوا الجن لانَهم خُزَان الجنة[1] ، وكان إبليس مع مُلْكِهِ خازناً. قال ابن عباس : ثم إنه عصى الله تعالى فمَسَخَه شيطاناً رجيماً

وروي عن قتادة في قوله تعالى (ومَنْ يَقُل منهم إني إله مِنْ دُونهِ)(1) إنما كانت هذه الآية في إبليس خاصِة لما قال ما قال لعنه الله تعالى " وجعله شيطاناً رجيماً " وقال : (فَذَلِكَ نَجْزِيْهِ جَهَنَمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالمين)، وروي عن ابن جريح مثله (2) .

وأما الأحداث التي كانت في مُلكه وسلطانه فمنها : ما روى الضحاك عن ابن عباس قال : كان إبليس من حَي من أحياء الملائكة يُقال لهم الجن خُلِقُوا من نار السَّمُوم من بين الملائكة ، وكان خازناً من خزان الجنة ، قال : وخُلقت الملائكة من نور وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مَارِجٍ من نارِ – وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا آلتهبت ، وخُلِقَ الإنسانُ من طين فأول من سَكَنَ في الأرض الجن فاقتتلوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضاً ،قال :فبعث الله تعالى إليهم إبليس في جُنْدٍ من الملائكة وهم هذا الحي الذي يقال لهم الجن فقاتلهم إبليس ومَنْ معه حتى ألحقَهُم بجزائر البحور وأطراف الجبال.

فلما فعل ذلك اغترفي نفسه وقال : قد صنعتُ ما لم يصنعه أحد . فاطّلع الله تعالى علن ذلك من قَلْبِهِ ولم يَطَلَعْ عليه أحدٌ من الملائكة الذين معه .

ورويَ عن أنس نحوه ، وروى أبو صالح عن ابن عباس ومُرة الهمداني عن ابن مسعود أنهما قالا : لما فرغ الله تعالى من خلق ما أحب آستوى على العرش فجعل إبليس علن مُلْك سماء الدنيا وكان من قَبِيْلٍ من الملائكة يُقالُ لهم الجن وإنما سُموا الجن لأنهم من خُزان الجنة وكان إبليس مع مُلكه خازناً فوقع في نفسه كِبْر وقال : ما أعطاني اللّه تعالى هذا الأمرُ الا لمزية لي علن الملائكة فاطلع الله على ذلك منه فقال : إني جاعل في الأرض خليفة . قال ابن

عباس : وكان اسمه " عزازيل " ، وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهمُ عِلْماً فدعاه ذلك إلى الكِبْر.

وهذا قولٌ ثالث في سبب كبره . وروى عِكْرِمَة عن ابن عباس أنّ الله تعالى خلق خلقاً ، فقال : اسجدوا لآدم . فقالوا :لا نفعل . فبعث عليهم ناراً فأحرقتهم ، ثم خلق خلقاً آخر فقالي : إني (خالق بشراً من طينٍ " فاسجدوا لآدم . فأبوا . فبعث الله

---

(1) ا لأنبياء 29 .

(2) رواهما ابن جرير 1 /83 .

تّعالى عليهم ناراً فاحرقتهم ، ثم خلق هؤلاء الملائكة فقال : أسجدوا لآدم قالوا : نعم . وكان إبليس من أولئك الذين لم يسجدوا . وقال شهر بن حوشب : إن إبليس كان من الجن الذين سكنوا الأرض وطردتهم الملائكة وأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء . ورويَ عن سعيد بن مسعود ذلك .

وأولى الأقوال بالصواب أن يقال : كما قال الله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ آسْجُدُوا لأدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيْسَ كَانَ مِنَ الجِن فَفَسَقَ عَنْ أمْرِ رَبهِ " . وجائزٌ أن يكون فُسُوقُهُ من إعجابه بنفسه لكثرة عبادته واجتهاده ، وجائز أن يكون لكونه من الجن .

[ا لغريب]

ومُرّة الهَمْدانِيَ ، بسكون الميم والدال المهملة نسبة إلى هَمْدَان قبيلة كبيرة من اليمن[1].

ذكر خَلْق آدم عليه السلام

ومِن الأحاديث في سلطانه خَلْق أبينا آدم عليه السلام وذلك لَما أراد الله تعالى أن يُطْلِعَ ملائكته عَلّى ما عَلِمَ من آنطواء إبليس على الكبر[1]ولم يعلمه الملائكة حتى دنا أمرُهُ من البوار ومُلْكَهُ من الزوال فقال للملائكة : (إني جَاعِل فِي الأرضِ خَلِيْفَة قَالَوا : أتَجْعَلُ فِيْهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيْهَا وَيسْفِكُ الدمَاءَ 00)(2)

رويَ عن ابن عباس أن الملائكة قالت ذلك للذي كانوا عهدوا من أمره وأمْر الجن الذين كانوا سكان الأرض قبل ذلك ، فقالوا لربهم تعالى : أتجعل فيها من يكون مثل الجن الذين كانوا يسفكون الدماء فيها ويفسدون ويعصونك ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ! فقال الله لهم : (إنَي أعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمَون)(3)يعني من انطواء إبليس على الكِبْر ، والعَزْم على خِلَافِ أمْرِي ، واغتراره ، وأنا مُبْدٍ ذلك لكم منه لتروه عياناً.

فلما أراد الله أنْ يخلق آدم أمر جبريل أن يأتيه بِطيْن من الأرض ، فقالت الأرضُ : أعوذُ بالله منك أن تنقص مني وتشيننني. فرجع ولم يأَخذ منها شيئاً وقال : يا رب إنها عاذت بك فاعذتها ، فبعث ميكائيل فاستعاذت منه فأعاذها فرجع ، وقال مثل جبريل ؛ فبعث إليها مَلَك الموت فاستعاذت منه فقال : أنا أعوذ بالله أنْ أرجع ولم أنفذ أمر ربي فأخذ من وجه الأرض فخلطه ولم يأخذ من مكان واحد ، وأخذ من تربة حمراء ، وبيضاء ، وسوداء ، وطِيْناً لازِباً فلذلك خرج بنو آدم مختلفين .

وروى أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن الله تعالى خلق آدم من قَبْضَةٍ قَبَضَها

(2)، (3)البقرة : 30 .

مِنْ جميع الأرض فجاء بنو آدم على قَدْرِ الأرض منهم الأحمر والأسود ، والأبيض ، وبين ذلك ، والسهل ، والحَزْن ، والخبيث ، والطيب [1] ، ثم بُلَّتْ طِيْنَتُهُ حتى صارت طِيْناً لازباً ، ثم تركت حتى صارت حَمَأً مَسْنُوناً ، ثم تركت حتى صارت صَلْصَالاً كما قال ربنا تبارك وتعالى)وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسنونٍ)[2] .

واللازبُ : الطين الملتزب بعضه ببعض – أي ثُمَ تُرك حتى تغير وأنتن وصار حمأً مسنوناً يعني منتناً ثم صار صلصالاً وهو الذي له صوت

وإنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض . قال ابن عباس : أمر اللّه بتربة آدم فرُفِعَتْ فخلق آدم من طينٍ لازب من حمأٍ مسنون ، وإنما كان حمأ مسنوناً بعد الالتزاب فخلق منه آدم بيده لئلا يتكبر إبليس عن السجود له . قال : فمكث أربعين ليلة –وقيل أربعين سنة – جسداً ملقىً ، فكان إبليس يأتيه فيضربُهُ برجلِهِ فيُصَلْصِلُ – أي يصوت – قال : فهو قول الله تعالى : (مِنْ صَلْصَال كَالفَخَّار)[3] يقول : هو كالمنفوخ الذي ليس بمصْمَت .

ثم يدخل من فيه فيخرج من دُبُرِهِ ويدخل من دُبُرِهِ فيخرج من فيه ، ثم يقول : لستَ شيئاً ولشيءٍ ما خلقتَ ، ولئن سلطتُ عليك لأهلِكَنَك ، ولئن سلطتَ علي لأعصينك . فكانت الملائكة تمر به فتخافه ، وكان إبليس أشدهم منه خوفاً .

فلما بلغ الحين الذي أراد الله أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة : (إذَا نَفَخْتُ فِيْهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِيْن)[4] فلما نفخ الروح فيه دخلت من قِبَل رَأسِهِ – وكان لا يجري شيء من الروح في جسده

إلا صار لحماً– فلما دخلت الروح رأسه عطس ، فقالت له الملائكة :
قل الحمد لله –وقيل : بل ألهمه الله التحميد فقال : الحمد لله رب

العالمين . فقال الله له رَحِمكَ رَبْك يا آدم .

فلما دخلتْ الروح عينيه نظر إلى ثِمَار الجنة فلما بلغتْ جَوْفَهُ اشتهى الطعام ، فوثب قَبْلَ أن تبلغ الروحُ رجليه عجلان إلى ثمار الجنة ، فلذلك يقول الله تعالى : (خُلقَ الإنْسَانُ منْ عَجَلٍ)[1] فسجد له الملائكة كلهم إلا إبليس أستكبر وكان من الكافرين .

فقال الله له : يا إبليس ما منعك أن تسجد إذْ أمرتك ؟ قال : أنا خير منه لم أكن لأسجد لبشرٍ خلقته من طين . فلم يسجد كِبْراً وَبَغْياً ، وحَسَداً . فقال الله له (يا إبليس ما مَنَعَكَ أنْ تَسْجُدَ لما خَلَقْتُ بيدي –إلى قوله –لأملأن جَهَنم مِنْك وممن تبعَك منهم أجمعين)[2].

فلما فرغ من إبليس ومعاتبته وأبن إلا المعصية أوقع عليه اللعنة ، وأيأسه من رحمته ، وجعله شيطاناً رجيماً ، وأخرجه من الجنة .

قال الشعبي : أنزل إبليس مشتمل الصَماء عليه عمامة ، أعور ، في إِحدى رجليه نعل .

وقال حُميْد بن هلال : نزل إبليس مختصراً فلذلك كره الاختصار في الصلاة .

ولما أنزل قال : يا رب أخرجتني من الجنة مِنْ أجل آدم وإنني لا أقوى عليه إلا بسلطانك قال : فأنت مسلط . قال : زدني . قال لا يولد له ولد إلا وُيدَ لك مثله . قال : زدني ، قال صُدُورُهُم مساكنُ لك ، وتجري منهم مجرى الدم . قال : زدني . قال : اجلُبْ عليهم بخيلك ورَجْلِك وشاركهم في الأموال والأولاد وعِدْهُم .

قال آدم : يا رب قد أنظرته وسلطته علي وإنني لا أمتنعُ منه إلآ بك ، قال لا يولد لكم ولد إلا وكلتُ به مَنْ يحفظه مِنْ قُرَنَاء السوء. قال : يا رب زدني . قال : الحسنة بِعَشْر أمثالها وأزيدها ، والسيئة بواحدة أو أمحوها ، قال ؛ يا رب زدني : قال :

(يَا عِبَادِيَ اَلّذِيْنَ أسْرَفُوا عَلَى أنفُسِهِم لا تَقْنَطُوا مِن رحْمَةِ اللهِ إن الله يَغْفِرُ الذنوبَ جَمِيْعَاً)[1] . قال : يا رب زدني . قال التوبة لا نمنعها مِنْ ولدك ما كانت فيهم الروح . قال : يا رب زدني . قال : أغْفِرُ ولا أبالي قال : حسبي .

ثم قال الله لأدم : ائت أولئك النفر من الملائكة فقل : السلام عليكم . فأتاهم

فسلم عليهم . فقالوا له : وعليك السلام ورحمةُ الله . ثم رجع إلى ربه ؛ فقال : هذه تحيتُكَ وتحية ذريتك بينهم . فلما امتنع إبليس من السجود وظهر للملائكة ما كان مستتراً عنهم عَلمَ اللهُ آدم الأسماء كلها .

[الأسماء التي علمها اللّه تعالى لأدم]

واختلف العلماء في الأسماء ، فقال الضحاك عن ابن عباس : علمه الأسماء كلها التي تتعارف بها الناس : إنسان ، ودابة ، وأرض ، وسَهْل ، وجبل ، وفرس ، وحمار ، وأشباه ذلك حتى الفَسْوة ، والفسية . وقال مجاهد وسعيد بن جبير مثله ، وقال ابن زيد : علم أسماء ذريته ، وقال الربيع : علم أسماء الملائكة خاصة .

فلما علمها عرض الله أهل الأسماء على الملائكة ، فقال : (أنبئوني بأسماء هؤلاء إِنْ كنتم صادقين)[2] إني إنْ جعلت الخليفة منكم أطعتموني وقدستموني ولم تعصوني وإنْ جعلته من غيركم أفسد فيها وسفك الدماء فإنكم انْ لم لَعلموا أسماء هؤلاء وأنتم تشاهدونهم فبأن لا تعلموا ما يكون منكم ومن غيركم وهو مغيب عنكم أولى وأحرى .

وهذا قول ابن مسعود ورواية أبي صالح عن ابن عباس .

وروي عن الحسن وقتادة أنهما قالا : لما أعلم الله الملائكة بخلق آدم واستخلافه وقالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، وقال : إني أعلم ما لا تعلمون ، قالوا فيما بينهم : ليخلق ربنا ما يشاء فلن يخلق خلقاً إلا كنا أكرم على الله منه وأعلم منه . فلما خلقه وأمرهم بالسجود له عِلِمُوا أنه خيرً منهم وأكرم على الله منهم . فقالوا : إن يك خيراً منا وأكرم علي الله منا فنخن أعلم منه ، فلما أعجبوا بعلمهم ابتلوا بأنْ علمه الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء إنْ كنتم صادقين ،

إني لا أخلق أكرم منكم ولا أعلم منكم . ففزعوا إلى التوبة واليها يفزع كل مؤمن فقالوا : (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)[1] قالا: وعلمه اسم كل شيء من هذه الخيل ، والبغال ، والإبل ، والجن ، والوحش وكل شيء .

ذكر إسكان آدم الجنة وإخراجه منها

فلما ظهر للملائكة مِنْ معصية إبليس وطغيانه ما كان مستتراً عنهم وعاتبه الله على معصيته بتركه السجود لأدم فأصَر على معصيته وأقام على غَيِّهِ لعنه الله ، وأخرجه من الجنة ، وطرده منها ، وسلبه ما كان إليه من مُلْك سماء الدنيا والأرض وخزن الجنة ، فقال الله تعالى له : (اخرج منها) يعني من الجنة (فَإِنَّك رَجِيمْ وَإِنَ عَلَيْكَ اللَعْنَةَ إلى يَوْم الدِّيْن)[2] وأسكن آدم الجنة .

قال ابن عباس وابن مسعود : فلما أسكن آدم الجنة كان يمشي فيها فردأ ليس له زوج يسكن إليها ، فنام نومة واستيقظ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها فقال : من انت ؟ قالت : امرأة. قال : ولم خلقت ؟ قالت : لتسكن إلي . قالت له الملائكة : –لينظروا مبلغ علمه –ما اسمها ؟ قال : حواء . قالوا : ولم سميت حواء؟ قال : لأنَها خلقتْ من حي . وقال الله له :(يَا آدم اسكُنْ أنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّة وَكُلَا منها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا)[3] وقال ابنُ إسحاق فيما بلغه عن أهل الكتاب وغيرهم منهم عبدالله بن عباس قال : ألقى الله تعالى عن آدم النوم وأخذ ضلعاً من أضلاعه من شِقَه الأيسر ولأمَ مكانه لحماً وخلق منه حواء وآدم نائم ، فلما استيقظ رآها إلى جنبه فقال : لحمي ودَمي ورُوحِي . فسكن إليها، فلما زوجه الله تعالى وجعل له سكناً من نفسه قال له :(يَا آدم أسْكُنْ أنْتَ وزَوْجُكَ الجَنَةَ ولا تَقْرَبَا هذه الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِن

الظَالِمين)[4] . وعن مجاهد وقتادة مثله : " فلما أسكن اللّه آدم وزوجته الجنة أطلق لهما أن يأكلا كل ما أرادا من كل ثمارها غير ثمرة شجرة واحدة ابتلاءً منه لهما وليمضي قضاؤه فيهما وفي ذريتهما ، فوسوس لهما الشيطان ، وكان سبب وصوله إليهما أنه أراد دخولَ الجنة

فمنعته الخزنة ، فأتى كل دابة من دواب الأرض وعرض نفسه عليها أنها تحمله حتى يدخل الجنة ليكلم آدم وزوجته فكل الدواب أبن عليه ، حتى أتى الحية وقال لها : أمنعك من ابن آدم فأنت في ذمتي إنْ أنت ادخلتيني ، فجعلته بين نابين من أنيابها ثم دخلت به وكانت كاسية على أربعة قوائم من أحسن دابة خلقها الله كأنها بختية[1] فأعراها الله وجعلها تمشي على بطنها"[2].

قال ابن عباس : " اقتلوها حيث وجدتموها واخفروا ذمة عدو الله فيها "[3] .فلما دخلت الحية الجنة خرج إبليس مِنْ فِيَّها فناحَ عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها فقالا له : ما يبكيك ؟قال : أبكى عليكما ! تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة .فوقع ذلك في أنفسهما ثم أتاهما فوسوس لهما وقال : (يا آدم هل أدُلُّكَ على شَجَرَةِ الخُلْدِ ومُلْكٍ لا يَبْلَى)[4] وقال :)مَا نَهاكُمَا رَبُكُمَا عن هذه الشجَرَةِ إلَّا أنْ تَكُونَا مَلَكَيْن أوْ تَكُونَا مِن الخَالِدِيْن وقَاسَمَهُمَا إني لَكُمَا لَمِن الناصِحِيْن)[5] أي : تكونا ملكَيْن أو تخلدا إنْ لم تكونا ملكين في نعمة الجنة .قال الله تعالى : (فَدَلاهُمَا بغُرُورٍ)[6] وكان انفعالُ حواءَ لوَسْوسته أعظم ، فدعاها آدم لحاجته فقالت :لا- إلا أنْ تأتي ههنا- فلما أتى قالت :لا إلا أنُ تأكل من هذه الشجرة – وهي الحنطة[7]- قال : فأكلا منها فبدَتْ لهما سوآتهما – وكان لباسهما الظفر

فطَفِقَا بخصفان عليهما من وَرَقِ الجنة قيل كان ورق التين وكانت الشجرة مَنْ أكل منها أحدث وذهب آدم هارباً في الجنة فناداه ربه أن يا آدم مني تفر ؟ قال لا يا رب ولكن حياء منك . فقال : يا آدم من أين أتِيْتَ ؟ قال : من قبل حواء يا رب (؟) فقال الله :فان لها علي أن أدميها في كل شهر ، وأنْ أجعلها سفيهة وقد كنت خلقتها حليمة . وأنْ أجعلها تحمل كُرْهاً وتضع كُرْهاً وتُشْرِفُ على الموتِ مِرَاراً وقد كنت جعلتها تحمل يُسراً وتضعَ يسراً . ولولا بليتها لكان النساء لم يحضن ولكن حليمات ولَكُنّ يحملن يُسْراً . ويضن يُسْراً .

وقال الله تعالى له : لألعنن الأرض التي خلقت منها لعنة يتحول ثمارها شوكاً ولم يكن في الجنة ولا في الأرض أفضل من الطلح والسدر . وقال للحية : دخل الملعون في جوفك حتى غر عبدي ! ملعونة أنت لعنةً يتحول بها قوائمك في بطنك ولا يكون لك رزق إلا التراب . . أنت عَدُوةُ بني آدم وهم أعداؤك ، حيث لقيتِ واحداً منهم أخذت بعقبه وحيث لقيك شدخ رأسك ،اهبطوا بعضُكم لبعض عدو ،آدم وإبليس والحية ؛ فاهبطهم إلى الأرض وسلب الله آدم وحواء كل ما كانا فيه من النعمة والكرامة .

قيل : كان سعيد بن المسيب يحلف بالله : ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن سقته حواء الخمر حتى سكر فلما سكر قادته إليها فأكل [1] .

قلت : والعجب من سعيد كيف يقول هذا ؟[2] والله يقول في صفة خمر الجنة لاّ فيها غول " .

ذكر اليوم الذي أسكن آدم فيه الجنة واليوم الذي أخرج

فيه منها واليوم الذي تاب فيه

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "خَيْرُ يوم طلعتْ فيه الشمسُ يوم الجمعة فيه

خلق آدم ، وفيه أسكن الجنة ، وفيه أهبط منها ، وفيه تاب الله عليه ، وفيه تقوم الساعة ، وفيه ساعة – يقللها –لا يوافقها عبدٌ مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه [1] .

قال عبدالله بن سلام : قد علمتُ أيَ ساعة هي ، هي آخر ساعة من النهار .

[قدر لبث آدم في الجنة]

وقال أبوَ العالية : أخرج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة منه ، وأهبط إلى الأرض لتسع ساعات مضين من ذلك اليوم وكان مُكثه في الجنة خمس ساعات منه ، وقيل : كان مُكثه ثلاث ساعات منه .

فإن كان قائل هذا القول أراد أنه سكن الفردوس لساعتين مضتا من يوم الجمعة من أيام الدنيا التي هي على ما هي به اليوم فلم يبعد قوله من الصواب لأن الأخبار كذا كانت واردة عن السلف من أهل العلم بأنّ آدم خُلق آخر ساعة من اليوم السادس التي مقدار اليوم منها ألف سنة من سنيننا فمعلوم أن الساعة الواحدة من ذلك اليوم ثلاثة وثمانون عاماً من أعوامنا وقد ذكرنا أن آدم بعد أن خمر ربنا طينته بقي قبل أن ينفخ فيه الروح أربعين كلاماً وذلك لا شك أنم عنى به أعوامنا؟ ثم بعد أن نفخ فيه الروح إلى أن تناهى أمره وأسكن الجنة وأهبط إلى الأرض غير مستنكر أن يكون مقدار ذلك من ، سنيننا قدر خمس وثلاثين سنة، وإن كان أراد أنه سكن الجنة لساعتين مضتا من نهار يوم الجمعة من الأيام التي مقدار اليوم منها ألف سنة من سنيننا فقد قال غير الحق

لأن كل من له قول في ذلك من أهل العلم يقول انه نفخ فيه الروح آخر نهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس ، وقد روى أبو صالح عن

ابن عباس أن مكث آدم كان في الجنة نصف يوم كان مقداره خمسمائة عام ، وهذا أيضاً خلاف ما وردت به الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن العلماء.

ذكر الموضع الذي أهبط فيه آدم وحواء من الأرض

قيل : ثم إن الله تعالى أهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذي خلقه فيه وهو

يوم الجمعة مع زوجته حواء منِ السماء فقال علي وابن عباس وقتادة وأبو العالية : إنه أهبط بالهند على جبل يقال له نوْد[1]من أرض سرنديب وحواء بجُدَة .

قال ابن عباس : فجاء في طلبها ، فكان كلما وضَعَ قدمه بموضع صار قرية وما

بين خطوتيه مفاوز، فسار حتى أتى جمعاً فازدلفتْ إليه حواء فلذلك سميت المزدلفة، وتعارفا بعرفات فلذلك سميت عرفات . واجتمعا بجمع فلذلك سميت جمعاً .

وأهبطت الحية بأصْفَهَان لإبليس بمَيْسَان [2] . وقيل اهبط آدم بالبرية وإبليس

بالأبُتة[3] .

قال أبو جعفر[4] : وهذا ما لا يوصل إلى معرفة صحته إلا بخبر يجيء مجيء الحجة ولا نعلم خبراً في ذلك غير ما ورد في هبوط آدم بالهند فان ذلك مما لا يدفع صحته علماء الاسلام [5]، قال ابن عباس : فلما أهبط آدم على جبل نود كانت رجلاه تمسّ الأرض ورأسه بالسماء يسمع تسبيح الملائكة فكانت تهابه ،فسألت الله أن ينقص من طوله فنقص طوله إلى ستين ذراعاً ، فحزن آدم لما فاته من الأنس بأصوات الملائكة وتسبيحهم فقال : يا رب ! كنت جارك في دارك ليس لي رب غيرك ادخلتني جنتك آكل منها حيث شئت فاهبطتني إلى الجبل المقدس فكنت أسمع أصوات الملائكة وأجد ريح الجنة فحططتني إلى ستين ذراعاً فقد انقطع عني الصوت والنظر وذهبت عني ريح الجنة ، فأجابه اللهّ تعالى بمعصيتك يا آدم فعلت بك ذلك.

فلما رأى اللهّ تعالى عرى آدم وحواء أمره أن يذبح كبشاً من الضأن من الثمانية الأزواج التي أنزلها الله من الجنة فأخذ كبشأ فذبحه وأخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه آدم فعمل لنفسه جبة ولحواء درعاً وخماراً فلبسا ذلك .

وقيل : أرسل إليهما مَلَكَا يعلنهما ما يلبسانه من جلود الضأن والأنعام . وقيل

كان ذلك لباس أولاده وأما هو وحواء فكان لباسهما ما كانا[1] خَصَفَاً من ورق الجنة .

[ما يزعم من بناء آدم للبيت]

فأوحى الله إلى آدم : إنّ لي حَرَماً حيال عرشي فانطلق وابن لي بيتاً فيه ثم حف به كما رأيت ملائكتي يحفون بعرشي فهنالك أستجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي ، فقال آدم : يا رب ! وكيف لي بذلك لست أقرى عليه ولا أهتدي إليه ؟ فقيض الله ملكاً فانطلق به نحو مكة . وكان آدم إذا مر بروضة قال للملك : انزل بنا ههنا فيقول الملك مكانك . حتى قدم مكة فكان كل مكان نزله آدم عمراناً وما عداه مفاوز فبنى البيت من خمسة أجبل من طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودي ، وبنى قواعده من حراء، فلما فرغ من بنائه خرج به الملك إلى عرفات ، فأراه المناسك التي يفعلها الناس اليوم ، ثم قدم به مكة فطاف بالبيت أسبوعاً، ثم رجع إلى الهند فمات على نود.

فعلى هذا القول أهبط حواء وآدم جميعاً وإن آدم بنى البيت وهذا خلاف الذي

نذكره إن شاء اللهّ تعالى منه : أن البيت أنزل من السماء.

وقيل : حج آدم من الهند أربعين حجة ماشياً.

ولما أنزل إلى الهند كان على رأسه إكليل من شجر الجنة فلما وصل إلى الأرض

يبس فتساقط ورقه ، فنبتت منه أنواع الطيب بالهند . وقيل بل الطيب من الورق الذي خصفه آدم وحواء عليهما ، وقيل : لما أمر

بالخروج من الجنة جعل لا يمر بشجرة منها إلا أخذ منها غصناً فهبط وتلك الأغصان معه فكان أصل الطيب بالهند منها . وزوده الله من ثمار الجنة فثمارنا هذه منها غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير ، وعلمه صنعة كل شيء ، ونزل معه بعض طيب الجنة ، والحجر الأسود –وكان أشد بياضاً من الثلج وكان مز، ياقوت الجنة – ، ونزل معه عصا موسى وبر من آس الجنة أو من لبان ، وأنزل بعد ذلك العلاة ، والمطرقة ، والكلبتان وكان حسن الصورة لا يشبهه من ولده غير يوسف .

وأنزل عليه جبريل بِصُرة فيها حنطة فقال آدم : ما هذا ؟ قال : هذا الذي أخرجك

من الجنة . فقال : ما أصنع به ؟ فقال : انثره في الأرض ففعل فأنبته الله من ساعته ثم حصده وجمعه وفركه وذراه وطحنه وعجنه وخبزه ، كل ذلك بتعليم جبريل عليه السلام وجمع له جبريل الحجر والحديد فقدحه فخرجت منه النار ، وعلمه جبريل صنعة . الحديد والحراثة وانزل اليه ثوراً فكان يحرث عليه ، قيل هو الشقاء الذي ذكره الله تعالى بقوله : (فَلَا يُخْرِجنكُمَا مِن الجَنةِ فَتَشْقَى)[1] ثم إن الله أنزل آدم من الجبل وملكه الأرض وجميع ما عليها من الجن والدواب والطير وغير ذلك فشكا إلى الله تعالى وقال :

يا رب ! أما في هذه الأرض من يسبحك غيري ؟ فقال الله تعالى : سأخرج من صلبك من يسبحني ويحمدني ، وسأجعل فيها بيوتاً ترفع لذكري وأجعل فيها بيتاً أختصه بكرامتي وأسميه بيتي ، وأجعله حرماً آمناً فمن حرمه بحرمتي فقد استوجب كرامتي ، ومن أخاف أهله فيه فقد خفر ذمتي ، وأباح حرمتي ، أول بيت وضع للناس فمن اعتمده لا يريد غيره فقد وفد إلي وزارني وضافني ويحق على الكريم أن يكوم وفده وأضيافه وأن يسعف كلًا بحاجته ، تعمره أنت يا آدم ما كنت حياً ، ثم تعمره الأمم والقرون والأنبياء من ولدك أمة بعد أمة .

ثم أمر آدم أن يأتي البيت الحرام وكان قد أهبط من الجنة ياقوتة واحدة ، وقيل درة

واحدة وبقي كذلك حتى أغرق الله قوم نوح عليه السلام فرفع وبقي أساسه فبوأ الله لإبراهيم عليه السلام فبناه على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

وسار آدم إلى البيت ليحجه ويتوب عنده وكان قد بكى هو وحواء على خطيئتهما

وما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً ، ثم أكلا وشربا بعدها ومكث آدم لم يقرب حواء مائة عام فحج البيت وتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وهي : قوله تعالى : (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)[2] .

[الغريب]

نُوْد بضم النون وسكون الواو آخره دال مهملة .

ذكر إخراج ذرية آدم من ظهره وأخذ الميثاق

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أخذ الله الميثاق على ذرية آدم بنَعْمَان من عَرَفة فأخرج من ظهره كل ذرية ذرأها إلى أن تقوم الساعة فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلًا وقال : ألست بربكم ؟ (قالوا بَلَىَ شَهِدْنَا، أنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيامَةِ إلى قوله : (بِمَا فَعَلَ المُبْطِلُون)[1] .

[الغريب]

نَعْمانَ بفتح النون الأولى .

وقيل : عن ابن عباس أيضاً : أنه أخذ عليهم الميثاق بدَحْنَا موضع .

وقال السري : أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه إلى الأرض من السماء ، ثم

سمح صفحة ظهره اليمنى فأخرج ذرية كهيئة الذرّ بيضاء مثل اللؤلؤ فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمي ، ومسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منها كهيئة الذر سوداء فقال : ادخلوا النار ولا أبالي فذلك حمِن يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى فأعطوه الميثاق ، طائفة طائعين وطائفة على وجه التقية .

ذكر الأحداث التي كانت في عهد آدم في الدنيا

[قتل ابن آدم أخيه]

وكان أول ذلك قتل قابيل بن آدم أخاه هابيل وأهل العلم مختلفون في اسم قابيل

بعضهم يقول "قَيْن " وبعضهم يقول (قائين) وبعضهم يقول قاين وبعضهم يقول قابيل .

واختلفوا أيضاً في سبب قتله فقيل : كان سببه أن آدم كان يغشى حواء في الجنة

قبل أن يصيب الخطيئة فحملت له فيها بقابيل بن آدم وتوأمته فلم تجد عليهما وحماً ولا وصباً ولم تجد عليهما طَلْقاً حين ولدتهما ولم تر معهما دماً لطُهْر الجنة فلما أكلا من الشجرة وهبطا إلى الأرض فاطمأنا بها تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما

الوحم والوصب والطلق حين ولدتهما ورأت معهما الدم وكانت حواء فيما يذكرون لا تحمل إلا توأماً ذكراً وأثنى فولدت حواء لأدم أربعين ولداً لصلبه من ذكر وأنثى في عشرين بطناً وكان الولد منهم أي أخواته شاء تزوج إلا توأمته التي تولد معه فإنها لا تحل له وذلك أنه لم يكن يومئذ نساء إِلا أخواتهم وأمهم حواء فأمر آدم ابنه قابيل أن ينكح توأمة هابيل وأمر هابيل أن ينكح توأمة أخيه قابيل .

وقيل : بل كان آدم غائباً وكان لما أراد السير قال للسماء : احفظي ولدي بالأمانة

فأبتْ ، وقال للأرض فأبت ، وللجبال فأبت ، وقال لقابيل فقال : نعم تذهب وترجع وستجد ما يسرك فانطلق آدم فكان ما نذكره وفيه قال الله تعالى : (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوماً جهولاً).

فلما قال آدم لقابيل وهابيل في معنى نكاح أختيهما ما قال لهما سَلم هابيل لذلك ورضي به وأبى ذلك قابيل وكرهه تكرهاً عن أخت هابيل ورغب بأخته عن هابيل ، وقال : نحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الأرض فأنا أحق بأختي .

وقال بعض أهل العلم : إن أخت قابيل كانت من أحسن الناس فضن بها على

أخيه وأرادها لنفسه وانهما لم يكونا من ولادة الجنة ، إنما كانا من ولادة الأرض والله أعلم ، فقال له أبوه آدم : يا بني إنها لا تحل لك فأبى أن يقبل ذلك من أبيه فقال له أبوه يا بني فقربْ قرباناً ويقرب أخوك هابيل قرباناً فأيكما قبل الله قربانه فهو أحق بها –وكان قابيل على بَذْر الأرض وهابيل على رعاية الماشية – فقربَ

قابيل قمحاً وقرب هابيل أبكاراً من أبكار غنمه ، وقيل : قرب بقرة فأرسل الله ناراً بيضاء ، فأكلتْ قربان هابيل وتركت قربان قابيل وبذلك كان يقبل القربان إذا قَبِلَهُ الله فلما قبل الله قربان هابيل وكان في ذلك القضاء له بأخت قابيل غضب قابيل وغلب عليه الكبر واستحوذ عليه الشيطان قال :لأقتلنك حتى لا تنكح أختي . قال هابيل : (إنما يَتَقَبلُ الله مِن المُتقِيْن .لَئِن بَسَطْتَ إلف يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أنا بِبَاسِطٍ يدِيَ إلَيْك لأقْتُلَكَ) إلى قوله (فَطَوعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أخِيْهِ)[1] فاتبعه وهو في ماشيته فقتله .

فهما اللذان قصي الله خبرهما في القرآن فقال : (وَآتْل عَلَيْهِمْ نَبَأ أبنَي آدم بالحَق
إذْ قَربَا قُرْباناً فتُقُبِّلَ مِنْ أحَدِهِمَا وَلَم يُتَقَبَّلْ مِن الآخَرِ)[1] إلى اخر القصة : قال : فلما قتله سُقِطَ في يده ولم يَدْرِ كيف يواريه – وذلك أنه كان – فيما يزعمون – أول قتيل من بني آدم فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه (قال : يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين) إلى قوله (المسرفون)[2] فلما قتل أخاه قال الله تعالى : يا قابيل أين أخوك هابيل ؟ قال لا ادري ما كنتُ عليه رقيباً .
فقال الله تعالى : إن صوت دم أخيك يناديني من الأرض الآن أنت معلون من الأرض التي فتحت فَاهَا فبلعَتْ دم أخيك فإذا أنت عملت في الأرض فإنها لا تعود تعطيك حرثها حق تكون فزعاً تائهاً في الأرض . فقال قابيل : عظمت خطيئتي إن لم تَغفرها .
قيل : كان قتلة عند عقبة حِرَاء[3] .
ثم نزل من الجبل آخذاً بيد أخته وهرب بها إلى عَدَن من اليمن .
قال ابن عباس : لما قتل أخاه أخذ بيد أخته ، ثم هبط بها من جبل نود إلى الحضيِض فقال له آدم : اذهب فلا تزال مرعوباً لا تأمن مَنْ تراه فكان لا يمر به أحدٌ من ولده إلا رماه ، فأقبل ابنٌ لقابيل أعمى ومعه ابنٌ له فقال للأعمى ابنه : هذا أبوك قابيل فارمه . فرمى الأعمى أباه قابيل فقتله ، فقال ابن الأعمى لأبيه : قتلت أباك . فرفع الأعمى يده فلطم ابنه فمات ! فغال : يا ويلتي : قتلت أبي برميتي وابني بطلمتي [4] .
ولما قتل هابيل كان عمره عشرين سنة وكان لقابيل يوم قتله خمس وعشرون

سنة . وقال الحسن : كان الرجلان – اللذان ذكرهما الله لَعالى في القران بقوله : (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق) من بني إسرائيِل ولم يكونا من بني آدم لصلبه وكان آدم أول من مات ، وقال أبو جعفر[5] : الصحيح عندنا أنهما ابنا آدم لصلبه للحديث الصحيح

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ [1] منها وذلك لأنه أول من سَن القتل "[2] فبان بهذا أنهما لصلب آدم فإن القتل ما زال بين بني آدم قبل بي إسرائيل وفي هذا الحديث أنه أول من سن القتل [3].

ومن الدليل على أنه مات من ذرية آدم قبله ما ورد في تفسير قوله تعالى : (هو
الذي خلقكم من نفس واحدة) إلى قوله : (جعلا له شركاء فيما آتاهما)[4] عن ابن عباس وابن جبير والسري وغيرهم قالوا : كانت حواء تلد لأدم فتعَبدْهُم أي تسميهم عبد اللُه وعبد الرحمن ونحو ذلك فيصيبهم الموت فأتاهما إبليس فقال : لو سميتما بنير هذه الأسماء لعاش ولدكما فولدت ولداً فسمته عبد الحارث وهو اسم إبليس فنزلت :) هُوَ الذِي خَلَقَكُم مِن نفْسٍ وَاحِدَةٍ) الآيات ، وقد روي هذا المعنى مرفوعاً [5].

قلت : إنما كان الله تعالى يميت أولادهم أولاً وأحيا هذا المسمى بعبد الحارث

امتحاناً واختباراً وإنْ كان الله تعالى يعلم الأشياء بغير امتحان علماً لا يتعلق به الثواب والعقُاب[1]. ومن الدليل على أن القاتل والمقتول ابنا آدم لصلبه ما رواه العلماء عن علي بن أبي طالب أن آدم قال ، لما قتل هابيل :

تَغَيرَتِ البِلَادُ وَمَنْ عَلَيْها فَوَجْهُ الأرْضُ مُغْبر قبيح

تَغَير كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَلَوْنٍ وَقَل بَشَاشَةُ الوَجْهِ المَلِيحِ [2]

في أبيات غيرها [جُيُومَرْث] وقد زعم أكثر علماء الفرس أن جيومرث هو آدم ،

وزعم بعضهم أنه ابن آدم لصلبه من حواء وقالوا فيه أقوالًا كثيرة يطول بذكرها الكتاب إذْ كان قصدنا ذكر الملوك وأيامهم ولم يكن ذكر الاختلاف في نسب ملك من جنس ما أنشأنا له الكتاب فان ذكرنا من ذلك شيئاً فلتعريف من ذكرنا ليعرفه من لم يكن عارفاً به وقد خالف علماء الفرس فيما قالوا من ذلك آخرون من غيرهم ممن زعم أنه غير آدم ووافق علماء الفرس على اسمه ، وخالفهم في عينه وصفته ، فزعم أن جيومرث الذي زعمت الفرس أنه آدم إنما حام بن يافث بن نوح ، وأنه كان معمراً، سيداً نزل جبل دنباوند من جبال طبرستان من أرض المشرق ، وتملك بها وبفارس ، وعَظُم أمره وأمر

ولده حتى ملكوا بابل وملكوا في بعض الأوقات الأقاليم كلها.
وابنتى جيومرث المدن والحصون وأعد السلاح ، واتخذ الخيل ، وتجبَر في آخر
أمره ، وتسمى بآدم وقال :مَنْ سمّاني بغيره قتلته وتزوج ثلاثين امرأة فكثر منهن نسله ، وإن مارى ابنه وماريانة أخته ممن كانا ولدا في آخر عمره فأعجب بهما وقدمهما فصار الملوك من نسلهما .
قال أبو جعفر : وإنما ذكرت مِنْ أمر جيومرث في هذا الموضع ما ذكرتُ لأنه لا
تدافع بين علماء الأمم أنه أبو الفرس من العجم ، وإنما اختلفوا فيه هل هو آدم أبو البشر أم غيره ؟ على ما ذكرناه ومع ذلك فلأن ملكه وملك أولاده لم يزل منتظماً على س جماذ، متصل بأرض المشرق وجبالها إلى أنْ قتل يزدجرد بن شهريار بمرو أيام عثمان بن عفان ، والتاريخ على أسماء ملوكهم أسهل بياناً وأقرب إلى التحقيق منه على أعمار ملوك غيرهم من الأمم إذ لا يعلم أمة من الأمم الذين ينتسبون إلى آدم دامت لهم المملكة واتصل الملك لملوكهم يأخذه آخرهم عن أولهم وغابرهم عن سالفهم سواهم .

**

وأنا ذاكر ما أنتهى إلينا من القول في عمر آدم وأعمار من بعده من ولده من الملوك والأنبياء ، وجيومرث أبي الفرص فأذكر ما اختلفوا فيه من أمرهم إلى الحال التي اجتمعوا عليها واتفقوا على ملك منهم في زمان بعينه أنه هو الملك في ذلك الزمان إن شاء الله . وكان آدم مع ما أعطاه اللّه تعالى من ملك الأرض نبياً رسولاً إلى ولده ، وأنزل الله عليه إحدى وعشرين صحيفة كتبها آدم بيده

علمه إياها جبريل . روى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً أ قال : قلت يا رسول الله ! كم الرسل من ذلك ؟ قال : ثلثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً يعني كثيراً طيباً . قال : قلت من أولهم ؟ قال : آدم . قال : قلت يا رسول الله ! وهو نبي مرسل ؟ قال : نعم خَلَقَه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه رجلاً .

وكان ممن أنزل عليه تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم في

إحدى وعشرين ورقة .

ذكر ولادة شيث

ومن الأحداث في أيامه ولادة شيث وكانت ولادته بعد مضي مائة وعشرين سنة

لأدم وبعد قتل هابيل بخمس سنين ، وقيل ولد فرداً بغير توأم ، وتفسير شيث " هبة الله " ومعناه أنه خلف من هابيل وهو وصي آدم ، وقال ابن عباس : كان معه توأم ولما حضرتْ آدم الوفاة عهد ابن شيث وعَتمه ساعات الليل والنهار وعبادة الخلوة في كل ساعة منها وأعلمه بالطوفان وصارت الرياسة بعد آدم إليه ، وأنزل الله عليه خمسين صحيفة ، وإليه " أنساب بني آدم كلهم اليوم .

وأما الفرس الذين قالوا : إنّ جيومرث هو آدم فإنهم قالوا : ولد لجيومرث ابنته ميشان أخت ميشى وتزوج ممِشى أخته ميشان فولدت له سيامك وسيامى فولد لسيامك بن جيومرث أفروال ، ودقس ، وبواسب ، وأجرب ، وأوراش ،وأمهم جميعاً سيامى ابنة ميشى ، وهي أخت أبيهم . وذكروا أن الأرض كلها سبعة أقاليم فأرض بابل وما يوصل إليه مما يأتيه الناس براً وبحراً فهو من إقليم واحد وسكانه ولد أفروال بن سيامك وأعقابهم.

فولد لافروال بن سيامك من افرى ابنة سيامك أوشهنج بيشداد الملك وهو الذي

خلف جده جيومرث في الملك وهو أول من جمع مُلك الأقاليم السبعة وسنذكر أخباره ،وكان بعضهم يزعم أن أوشهنج هذا هو ابن آدم لصلبه من حواء .

وأما ابن الكلي فإنه زعم أن أول من ملك الأرض أوشهنج بن عابر بن شالخ بن

ارفخشذ بن سام بن نوح قال : والفرس تزعم أنه كان بعد آدم بمائتي سنة وإنما كان بعد نوح بمائتي سنة ولم تعرف الفرس ما كان قبل نوح .

والذي ذكره هشام بن الكلبي لا وجه له لأن أوشهنج مشهور عند الفرس وكل قوم

أعه لم بأنسابهم وأيامهم من غيرهم . قال : وقد زعم بعض نسابة الفرس أن أوشهنج هذا هو مهلائيل وأن أباه أفروال هو قينان وأن سيامك هو انوش أبو قينان وأن ميشى هو شيث أبو أنوش وأنّ جيومرث هو آدم فإنْ كان الأمر كما زعم فلا شك أن أوشهنج كان في زمن آدم رجلاً وذلك لأن –مهلائيل فيما ذكر في الكتب الأولى كانت ولادة أمه دينه ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم وأتاه بعد ما مضى من عمر آدم ثلثمائة سنة وخمس وتسعون سنة وقد كان له حين وفاة آدم ستمائة سنة وخمس وستون سنة على حساب أن عمر آدم كان ألف سنة . وقد زعمت الفرس أن ملك أوشهنج كان أربعين سنة فان كان

الأمر على ما ذكره النسابة الذي ذكرت منه ما ذكرت فما يبعد من قال : أن ملكه كان بعد وفاة آدم بمائتي سنة .

ذكر وفاة آدم عليه السلام

ذُكر أنّ آدم مرض أحد عشر يوماً وأوصى إلن ابنه شيث وأمره أنْ يخفي علمه عن قابيل وولده لأنه قتل هابيل حسداً منه له حين خصه آدم بالعلم فأخفى شيث وولده ما عندهم من العلم ولم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به . وقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم " أنه قال : قال الله تعالى لآدم حين خلقه : أنت أولئك النفر من الملائكة فقل : " السلام عليكم " . فأتاهم فسلم عليهم وقالوا له : " عليك السلام ورحمة الله " . ثم رجع إلى ربه فقال له : هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم . ثم قبض له يديه فقال له : خذ واختر فقال : أحببت يمين ربي وكلتا يديه يمين . ففتحها له فإذا فيها صورة آدم وذريته كلهم ، وإذا كل رجل منهم مكتوب عنده أجله وإذا آدم قد كتب له عمر ألف سنة وإذا قومٌ عليهم النور.

فقال : يا رب مَنْ هؤلاء الذين عليهم النور؟ فقال : هؤلاء الأنبياء والرسل الذين أرسلهم إلى عبادي . وإذا فيهم رجل هو من أضوئهم نوراً ولم يكتب له من العمر إلا أربعين سنة. فقال آدم : يا رب ! هذا من أضوئهم نوراً ولم تكتب له إلا أربعين سنة؟ بعد أن أعلمه أنه داود عليه السلام . فقال : ذلك ما كتبت له فقال : يا رب انقص له من عمري ستين سنة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلما أهبط إلى الأرض يعد أيامه فلما أتاه ملك الموت لقبضه قال له آدم :عجلت يا ملك الموت قد بقيَ من عمري ستون سنة فقال له ملك الموت : ما بقي شيء سألتَ ربك أن يكتبه

لإبنك داود. فقال : ما فعلتُ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم فنسي آدم فنسيت ذريته ، وجحد فجحدت ذريته . فحينئذ وضع الله الكتاب وأمر بالشهود[1]".

وروي عن ابن عباس قال : لما نزلت آية الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن أول مَنْ جحد آدم ثلاث فرار، وإن الله لما خلقه مسح ظهره فأخرج منه ما هو ذرائي . إلى يوم

القيامة فجعل يعرضهم على آدم فرأى منهم رجلاً يزهر قال : أي رب أي بني هذا؟ قال :ابنك داود. قال : كم عمره ؟ قال : ستون سنة . قال :زِدْه من العمر. قال الله تعالى :لا إلا أن تزيده أنت . وكان عمر آدم ألف سنة فوهب له أربعين سنة فكتب عليه بذلك كتاباً وأشهد عليه الملائكة . فلما احتُضِر آدم أتته الملائكة لتقبض روحه فقال : قد بقيَ من عمري أربعون سنة. قالوا: إنك قد وهبتها لابنك داود. قال : ما فعلتُ ولا وهبت له شيئاً. فأنزل الله عليه الكتاب وأقام الملائكة شهوداً. فاكمل لأدم ألف سنة وأكمل . لداود مائة سنة ".

وروي مثل هذا عن جماعة منهم سعيد بن جبير، وقال ابن عباس : كان عمر آدم

تسعمائة سنة وستاً وثلاثين سنة وأهل التوراة يزعمون أن عمر آدم تسعمائة سنة وثلاثون سنة والأخبار عن رسول الله والعلماء ما ذكرنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق ، وعلى رواية أبي هريرة التي فيها أنّ آدم وهب داود من عمر ستين سنة لم يكن كثير اختلاف بين الحديثين وما في التوراة من أن عمره كان تسعمائة وثلاثين سنة فلعل الله ذكر عمره في التوراة سوى ما وهبه لداود . قال ابن إسحق عن يحيى بن عباد عن أبيه قال : بلغني أنّ آدم حين مات بعث الله بكفنه وحنوطه من الجنة، ثم وَبيَتْ الملائكةُ قبره ودفنه حتى غَيبوه . وروى أبَيّ بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم :(أن آدم حين حضرته الوفاة بعث الله إليه بحنوطه وكفنه من الجنة، فلما رأت حواء الملائكة ذهبت لتدخل دونهم فقال : خلي عَنْي وعن رسل ربي فما لقيت ما لقيت إلا منك ، ولا أصابني ما أصابني إلا فيك . فلما قبض غسلوه بالسدر

والماء وتراً وكفنوه في وتر من الثياب ثم لَحّدوا له ودفنوه ثم قالوا :هذه سُنَة ولد آدم من بعده " . قال ابن عباس : لما مات آدم قال شيث لجبرائيل : صل عليه . فقال :تقدمْ أنت فصل عليِ أبيك . فكبر عليه ثلاثين تكبيرة فأما خمس فهي الصلاة وأما خمس وعشرون تفضيلاَ لآدم . وقيل : دفن في غار في جبل أبي قبيس يقال له غار الكبر. وقال ابن عباس : لما خرج نوح من السفينة دفن آدم ببيتَ المقدس وكانت وفاته يوم الجمعة كما تقدم . ، وذكر أن حواء عاشت بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع زوجها في الغار الذي ذكرت إلى وقت الطوفان واستخرجهما نوح وجعلهما في تابوت ثم حملهما معه في السفينة فلما غاضت بالأرض الماء ردهما إلى مكانهما الذي كانا فيه قبل الطوفان . قال : وكانت حواء فيما ذكر قد غزلتْ ، ونسجتْ ، وعجنتْ ، وخبزتْ ،وعملت أعمال النساء كلها.

وإذ قد فرغنا من ذِكْر آدم وعدوه إبليس وذِكر أخبارهما وما صنع الله بعدوه وإبليس حين تجبر وتكبر من تعجيل العقوبة وطغى وبنى من الطرد والإبعاد والنظرة إلى يوم الدين ، وما صنع بآدم إذ أخطأ ونسي من تعجيل العقوبة له ثم تغمده اللُه بالرحمة إذ تاب من زلته فأرجع إلى ذكر قابيل وشيث ابني آدم وأولادهما إن شاه الله .

ذكر شيث بن آدم عليه السلام

قد ذكرنا بعض أمره ، وأنه كان وَصِي آدم في مخلفيه بعد مضيه لسبيله ، وما أنزل الله عليه من الصحف. وقيل : إنه لم يزل مقيماً بمكة يحج ويعتمر إِلى أنْ مات ، وأنه كان جمع ما أنزل عليه وعلى أبيه آدم من الصحف وعمل بما فيها، وأنّه بنى الكعبة بالحجارة والطين .

وأما السلف من علمائنا فإنهم قالوا : لم تزل القبة التي جعل الله لأدم مكان البيت

إلى أيام الطوفان فرفعها الله حين أرسل الطوفان . وقيل : إنّ شيئاً لما مَرِضَ أوصى إلى ابنه أنوش ومات فدفن مع أبويه بغار أبي قبيس وكان مولده لمضي مائتي سنة وخمس وثلاثين سنة من عمر آدم وقيل غير ذلك وقد تقدم . وكانت وفاته وقد أتت عليه تسعمائة سنة واثنتا عشرة سنة .

[ذكر عقب شيث]

وقام أنوش بن شيث بعد موت أبيه بسياسة الملك وتدبير من تحت يديه من رعيته

مقام أبيه لا يوقف منه على تغيير ولا تبديل ، فكان جميع عُمر أنوش سبعمائة وخمس سنين ، وكان مولده بعد أنْ مضن من عمر أبيه شيث ستمائة سنة وخمس سنين وهذا قول أهل التوراة .

وقال ابن عباس : ولد لشيث أنوش وولد معه نفراً كثيراً وإليه أوصى شيث ، ثم ولد لانوش بن شيث ابنه قينان من أخته نعمة بنت شيث بعد مضي تسعين سنة من عمر أنوش ، وولد معه نفراً كثيراً وإليه الوصية . وولد قينان : مهلائيل ونفراً كثيراً معه وإليه الوصية . وولد مهلائيل : يرد وهو اليارد ونفراً معه وإليه الوصية.

فولد يرد خنوخ وهو إدريس النبي ونفراً معه وإليه الوصية . وولد خنوخ : متوسلخ ونفراً معه وإليه الوصية .

وأما التوراة ففيها أن مهلائيل ولد بعد أن مضى من عمر آدم عليه السلام ثلاثمائة وخمس وتسعون سنة ومن عمر قينان سبعون ، وولد يرد لمهلائيل بعد ما مضى من عمر آدم أربعمائة سنة وستون سنة فكان على منهاج أبيه غير أن الأحداث بدأت في زمانه .

ذكر الأحداث التي كانت من لدن ملك شيث إلى أن ملك يرد

ذكر أنّ قابيل لما قتل هابيل وهرب من أبيه آدم إلى اليمن أتاه إبليس فقال له : إن

هابيل إنما قبل قربانه وأكلته النار لأنه كان يخدم النار ولمجدها فانصب أنت أيضاً ناراً تكون لك ولعقبك فبنى بيت نار فهو أول من نصب النار وعبدها.

وقال ابن إسحاق : إن قينا وهو قابيل نكح أخته أشوث بنت آدم فولدت له رجلًا وامرأة: خنوخ بن قين وعذب بنت قين . فنكح خنوخ أخته عذب فولدت ثلاثة بنين وامرأة غيرد ومحويل وأنوشيل ، ومولیث ابنة خنوخ . فنكح أنوشيل بن خنوخ أخته موليث وولدت له رجلًا اسمه : لامك ، فنكح لامك امرأتين اسم أحداهما عدى والأخرى صلى ، فولدت عدى : بولس بن لامك ، فكان أول من سكن القباب واقتنى المال ، وتوبلين فكان أول من ضرب بالونج والصنج . وولدت رجلا اسمه : توبلقين وكان أول من عمل النحاس والحديد وكان أولادهم فراعنة وجبابرة، وكانوا قد أعطوا بسطة في الخلق . قال : ثم انقرض ولد قين ولم يتركوا عقباً إلا قليلاً وذرية آدم كلها جهلت أنسابهم وانقطع نسلهم إلا ما كان من شيث فمنه كان النسل وأنساب الناس اليوم تهلهم إليه دون أولاد أبيه آدم . ولم يذكر ابن إسحاق من أمر قابيل وولده إلا ما حكيت .

وقال غيره من أهل التوراة : إنّ أول من اتخذ الملاهي من ولد قابيل رجل يقال

له : ثوبال بن قابيل اتخذها في زمان مهلائيل بن قينان اتخذ المزامير، والطنابير، والطبول ، والعيدان والمعازف ، فانهمك ولد قابيل في اللهو، وتناهى خبرُهم إلى مَنْ بالجبل من ولد شيث فهَمّ منهم مائة رجل بالنزول إليهم وبمخالفة ما أوصاهم به آباؤهم ، وبلغ ذلك يارد، فوعظهم ونهاهم فلم يقبلوا، ونزلوا إلى ولد قابيل فأعجبوا بما رأوا منهم ، فلما أرادوا الرجوع حِيْلَ بينهم وبين ذلك لدعوة سبقتْ من آبائهم ،فلما أبطأوا ظن مَنْ بالجبل مِمَّنْ كان في نفسه زَيْغ أنهم أقاموا اغتباطاً، فتسللوا ينزلون من الجبل ورأوا اللهو فأعجبهم ووافقوا نساء من ولد قابيل مشترعات إليهم ، وصرن معهم ،

وانهمكوا في الطغيان ، وفشت الفحشاء وشرب الخمر فيهم . وهذا القول غير بعيد من الحق ، وذلك أنه قد رُوي عن جماعة من سلف علمائنا المسلمين نحو منه وإنْ لم يكونوا بينوا زمان مَنْ حَدَثَ ذلك فيِ مُلكه إلا أنهم ذكروا أنّ ذلك كان فيما بين آدم ونوح : منهم ابن عباس أو مثله ، ومثله روى الحكم بن عتيبة عن أبيه مع اختلاف قريب من القولين والله أعلم .

وأما نسابو الفرس فقد ذكرت ما قالوا في مهلائيل بن قينان ، وأنه هو أوشهنج الذي ملك الأقاليم السبعة وبينت قول من خالفهم .

وقال هشام بن الكلبي : إنه أول من بنى البناء واستخرج المعادن ، وأمر أهل زمانه باتخاذ المساجد، وبنى مدينتين كانتا أول ما بنى على ظهر الأرض من المدائن وهما مدينة " بابل " – وهي بالعراق – ومدينة " السوس " – بخوزستان – وكان ملكه أربعين سنة .

وقال غيره : هو أول من استنبط الحديد؛ وعمل منه الأدوات للصناعات ، وقدر المياه في مواضع المنافع ؛ وحض الناس على الزراعة واعتماد الأعمال ، وأمر بقتل السباع الضارية واتخاذ الملابس من جلودها والمفارش ، .وبذبح البقر والغنم والوحش وأكل لحومها، وأنه بنى مدينة " الري ". قالوا : وهي أول مدينة بنيت بعد مدينة جيومرث التي كان يسكنها بدنباوند . وقالوا : إنه أول من وضع الأحكام والحدود ، وكان ملقباً بذلك يدعى بيشداد، ومعناه بالفارسية أول من حكم بالعدل ، وذلك أن بيش معناه أول وداد معناه عدل وقضاء، وهو أول من استخدم الجواري ، وأول من قطع الشجر وجعله في البناء . وذكروا أنه نزل الهند وتنقل في البلاد وعقد على رأسه تاجاً، وذكروا : أنه قهر إبليس وجنوده ومنعهم الاختلاط بالناس وتوعدهم ، على ذلك ، وقتل مردتهم

فهربوا من خوفه إلى المفاوز والجبال فلما مات عادوا . وقيل إنه سمى شرار الناس شياطين واستخدمهم وملك الأقاليم كلها وأنه كان بين مولد أوشهنج وموت جيومرث مائتا سنة وثلاث وعشرون سنة .

[الغريب] عتيبة بالعين وبعدها تاء فوقها نقطتان وياء تحتها نقطتان وباء موحدة . ذكر يرد

وقيل : يا رذ بن مهلائيل أمه خالته سمعن ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن

قين بن آدم ولد بعد ما مضى من عمر آدم أربعمائة سنة وستون سنة.

وفي أيامه عملت الأصنام ، وعاد من عاد عن الإسلام ، ثم نكح يرد في قول ابن إسحاق وهو ابن مائة واثنتين وستين سنة بركتا ابنة الدرمسيل بن محويل بن . خنوخ بن قين بن آدم .

فولدت له خنوخ ، وهو ادريس النبي ، فكان أول بني آدم أعطي النبوة وخط

بالقلم ، وأول من نظر في علوم النجوم والحساب وحكماء اليونانيين يسمونه هرمس الحكيم وهو عظيم عندهم ، فعاض يرد بعد مولد إدريس ثمانمائة سنة، وولد له بنون وبنان ، فكان عمره تسعمائة سنة واثنتين وستين سنة . وقيل : أنزل على إدريس ثلاثون صحيفة، وهو أول من جاهد في سبيل الله ، وقطع الثياب وخاطها، وأول من سبى من ولد قابيل بن آدم فاسترق منهم ، وكان وصي والده يرد فيما كان آباؤه وصوا به إليه وفيما أوصى بعضهم بعضاً. وتوفي آدم بعد أن مضى من عمر إدريس ثلثمائة وثمان سنين ، ودعا إدريس قومه ، ووعظهم ، وأمرهم بطاعة الله تعالى ومعصية الشيطان ، وأنْ لا يلابسوا ولد قابيل فلم يقبلوا منه . قال : وفي التوراة أنّ اللهّ رفع إدريس بعد ثلاثمائة سنة وخمس وستين سنة من عمره وبعد أن مضى من عمر أبيه خمسمائة سنة وسبع وعشرون سنة ، فعاش أبوه بعد ارتفاعه أربعمائة وخمساً وثلاثين سنة تمام تسعمائة واثنتين وستين سنة . قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا ذر، من الرسل أربعة سريانيون آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو أول من خط بالقلم وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة . وقيل : إن الله أرسله إلى جميع أهل الأرض في زمانه وجمع له علم الماضين ، وزاده ثلاثين صحيفة . وقال بعضهم : ملك

بيوراسب في عهد إدريس ، وكان قد وقع عليه من كلام آدم فاتخذه سحراً، وكان بيوراسب يعمل به .

[الغريب] (يارذ) بياء معجمة باثنتين من تحتها وراء مهملة وذال معجمة .

وخنوخ : بحاء مهملة مفتوحة ونون بعدها واو وخاء معجمة وقيل بخاءين معجمتين .

ذكر ملك طهمورث

زعمت الفرس أنه ملك بعد موت أوشهنج طهمورث بن ويونجهان (يعني خير

أهل الأرض) ابن حبايداد بن أوشهنج . وقيل في نسبه غير ذلك ؛ وزعم الفرس أيضاً أنه ملك الأقاليم السبعة وعقد على رأسه تاجاً، وكان محموداً في ملكه مشفقاً على رعيته ،

وأنه ابنتى " سابور " من فارس ونزلها وتنقل في البلدان وأنه وثب بإبليس حتى ركبه فطاف عليه في . أداني الأرض وأقاصيها وأفزعه ومردته حتى تفرقوا ، وكان أول من أتخذ الصوف والشعر للبس والفرش ، وأول من اتخذ زينة الملوك من الخيل والبغال والحمير، وأمر باتخاذ الكلاب لحفظ المواشي وغيرها ، وأخذ الجوارح للصيد ، وكتب بالفارسية .

وأن بيوراسب ظهر في أول سنة من ملكه ، ودعا إلى ملة الصابئين .

كذا قال أبو جعفر وغيره من العلماء أنه ركب إبليس وطاف عليه والعهدة عليهم

وإنما نحن نقلنا ما قالوه . قال ابن الكلبي : أول ملوك الأرض من بابل طهمورث ، وكان لله مطيعاً، وكان مُلكه أربعين سنة، وهو أول مَنْ كتب بالفارسية، وفي أيامه عُبدت الأصنام ، وأول ما عرف الصوم في .مُلكه . وسببه أنّ قوماً فقراء تعذر عليهم القُوت فأمسكوا نهاراً وأكلوا ليلاً ما يمسك رمقهم ثم اعتقدوه تقرباً إلى الله وجاءت الشرائع

ذكر خنوخ وهو إدريس عليه السلام

ثم نكح خنوخ بن يرد هدانة ويقال اذانة ابنة باويل بن محويل بن خنوخ بن

قين بن آدم وهو ابن خمس وستين سنة، فولدت له متوشلخ بن خنوخ ، فعاش بعدما ولد متوشلخ ثلثمائة سنة . ثم رُفِع [1]، واستخلفه خنوخ على أمر ولده وأمر الله وأوصاه وأهل بيته قبل أن يُرفع وأعلمهم أنَ الله سوف يعذب ولد قابيل ومن خالطهم ،

ونهاهم عن مخالطتهم ، وأنه كان أول مَنْ ركب الخيل لأنه سلك رسم أبيه خنوخ في ا لجهاد .

ثم نكح متوشلخ عربا ابنة عزازيل بن أنوشيل بن خنوخ بن قين وهو ابن مائة سنة

وسبع وثلاثين سنة، فولدت له لمك بن متوشلخ ، فعاش بعدما ولد له لمك سبعمائة سنة ؛ وولد له بنون . وبنات فكان كل ما عاش متوشلخ تسعمائة سنة وسبعاً وعشرين سنة، ثم مات وأوصى إلى ابنه لمك فكان لمك يعظ قومه وينهاهم عن مخالطة ولد قابيل فلم

يقبلوا حتى نزل إليهم جميع من كان معهم في الجبل . وقيل كان لمتوشلخ ابن آخر غير لمك يقال له صابئ وبه سمي الصابئون .

[الغريب] قلت : محويل : بحاء مهملة وياء معجمة باثنتين من تحت . وقين

بقاف وياء معجمة باثنتين من تحت ، ومَتوشلخ بفتح الميم وبالتاء المعجمة باثنتين من فوق وبالشين المعجمة وبحاء مهملة وقيل خاء معجمة .

ونكح لمك بن متوشلح قينوش ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين وهو ابن

مائة سنة وسبع وثمانين سنة ، فولدت له نوح بن لمك وهو النبي فعاش لمك بعد مولد نوح خمسمائة سنة وخمساً وتسعين سنة وولد له بنون وبنات ، ثم مات ونكح نوح بن لمك عزرة بنت براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين وهو ابن خمسمائة سنة، فولدت له ولده ساماً، وحاماً، ويافث بني نوح.

وكان مولد نوح بعد موت آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة . ولما أدرك قال له أبوه لمك : قد علمت أنه لم يبق في هذا الجبل غيرنا فلا تستوحش ولا تتبع الأمة الخاطئة وكان نوح يدعو قومه ويعظهم فيستخفون به . وقيل كان نوح في عهد بيوراسب وكانوا قومه فدعاهم إلن الله تسعمائة وخمسين سنة كلما مضى قرن اتبعهم قرن على ملة واحدة من الكفر حتى أنزل الله عليهم العذاب .

وقال ابن عباس فيما رواه الكلبي عن أبي صالح عنه : فولد لمك نوحاً وكان له يوم ولد نوح اثنتان وثمانون سنة ولم يكن في ذلك الزمان أحد ينهى عن منكر فبعث اللهّ إليهم نوحاً وهو ابن أربعمائة

وثمانين سنة فدعاهم مائة وعشرين سنة، ثم أمره الله بصنعة الفلك فصنعها وركبها وهو ابن ستمائة سنة، وغرق من غرق ، ثم مكث مِنْ بعد السفينة ثلاثمائة سنة وخمسين سنة وروي عن جماعة من السلف : أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على ملة الحق وأن الكفر باللّه حدث في القرن الذي بعث إليهم فيه نوح فأرسله الله وهو أول نبي بعث بالانذار والدعاء إلى التوحيد وهو قول ابن عباس وقتادة.

ذكر ملك جمشيد

وأما علماء الفرس فإنهم قالوا : ملك بعد طهمورث جمشيد، و " الشيد " عندهم الشجاع " وجم " القمر لقبوه بذلك لجماله وهو جم بن ويونجهان وهو أخو طهمورث .

وقيل : إنه ملك الأقاليم السبعة، وسخر له ما فيها من الجن والانس ، وعقد التاج على رأسه : وأمر لسنة مضت مِنْ ملكه إلى خمسين سنة بعمل السيوف والدروع وسائر الأسلحة وآلة الصناع من الحديد، ومن سنة خمسين من ملكه إلى سنة مائة بعمل الابريسم وغزله والقطن والكتان وكل ما يستطاع غزله وحياكة ذلك وصبغه ألواناً ولبسه ، ومن سنة مائة إلى" سنة خمسين ومائة صنف الناس أربع طبقات ، طبقة مقاتّلة، وطبقة فقهاء ، وطبقة كتاب وصناع ، وطبقة حراثين واتخذ منهم ت دماً ، ووضع لكل أمر خاتماً مخصوصاً به ، فكتب على خاتم الحرب الرفق والمداراة، وعلى خاتم الخراج العمارة والعدل ، وعلى خاتم البريد والرسل الصدق والأمانة ، وعلى خاتم المظالم السياسة والانتصاف ، وبقيت رسوم تلك الخواتيم حتى محاها الاسلام .

ومن سنة مائة وخمسين إلى سنة خمسين ومائتين حارب الشياطين وأذلهم وقهرهم وسخروا له ، ومن سنة خمسين ومائتين إلى سنة ست عشرة وثلاثمائة وش الشياطين بقطع الاحجار والصخور من الجبال وعمل الرخام والجص والكلس والبناء بذلك الحمامات والنقل من البحار والجبال والمعادن والذهب والفضة وسائر ما يذاب من الجوهر وأنواع الطيب والأدوية فنفذوا في ذلك بأمره .

ثم أمر فصنعت له عجلة من الزجاج فاصفد فيها الشياطين وركبها؛ وأقبل عليها

في الهواء من دنباوند إلى بابل في يوم واحد وهو يوم هرمز روز وافروردين ماء فاتخذ الناس ذلك اليوم عيداً وخمسة أيام بعده .

وكتب إلى الناس في اليوم السادس يخبرهم أنه قد سار فيهم بسيرة ارتضاها الله ،

فكان من جزائه إياه عليها أنه قد جنبهم الحر والبرد والأسقام والهرم والحسد، فمكث الناس ثلاثمائة سنة بعد الثلاثمائة والستة عشر سنة لا يصيبهم شيء مما ذكره ، ثم بنى قنطرة على دجلة فبقيت دهراً طويلاً حتى خربها الاسكندر وأراد الملوك عمل مثلها فعجزوا، فعدلوا إلى عمل الجسور من الخشب ، ثم أن جماً بطر نعمة الله عليه ، وجمع الأنس والجن والشياطين وأخبرهم أنه وليهم ومانعهم بقوته من الأسقام والهرم والموت ، وتمادى في غيه ، فلم يحر أحد منهم جواباً وفقد مكانه وبهاءه وعزه ، وتخلت عنه الملائكة الذي كان الله أمرهم ؛ بسياسة أمره ، فأحس بذلك بيوراسب الذي سمي الضحاك ، فابتدر إلى جم لينتهسه ، فهرب منه ثم ظفر به بعد ذلك بيوراسب فاستطرد

أمعاءه وأشره بمنشار[1] وقيل : إنه آدعى الربوبية فوثب عليه أخوه ليقتله – واسمه اسفنور– فتوارى عنه مائة سنة، فخرج عليه في تواريه بيوراسب ، فنلبه على مُلكه . وقيل كان ملكه سبعمائة سنة وست عشرة سنة وأربعة أشهر.

قلت : وهذا الفصل من حديث جم قد أتينا به تاماً بعد أنْ كنا عازمين على تركه

لما فيه من الأشياء التي تمجها الأسماع وتأباها العقول والطباع ، فإنها من خرافات الفرس مع أشياء أخر قد تقدمت قبلها، وإنما ذكرناها ليعلم جهل الفرس فإنهم كثيراً ما يشنعون على العرب بجهلهم وما بلغوا هذا ولأنا لو كنا تركنا هذا الفصل لخلا من شيء نذكره من أخبارهم .

ذكر الأحداث التي كانت في زمن نوح عليه السلام

قد اختلف العلماء في ديانة القوم الذين أرسل إليهم نوح فمنهم من قال : إنهم

كانوا قد أجمعوا على العمل بما يكرهه الله تعالى من ركوب الفواحش والكفر وشرب الخمور والاشتغال بالملاهي عن طاعة الله ، ومنهم من قال : إنهم كانوا أهل طاعة . وبيوراسب أول من أظهر القول بمذهب الصابئين وتبعه على ذلك الذين أرسل إليهم نوح وسنذكر أخبار بيوراسب فيما بعد. وأما كتاب الله تعالى قال : فينطق بأنهم أهل أوثان قال تعالى : (وقالوا لا تذَرُن آلهتكم ولا تَذَرُن وُذا ولا سُواعاً ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْراً . وقَد أضَلُّوا كَثِيراً)[2].

قلت لا تناقض بين هذه الأقاويل الثلاثة فإن القول الحق الذي لا يشك فيه هو
أنهم كانوا أهل أوثان يعبدونها كما نطق به القرآن وهو مذهب طائفة من الصابئين ، فإن أصل مذهب الصابئين عبادة الروحانيين وهم الملائكة لتقربهم إلى الله لَعالى زُلْفَى ، فانهم اعترفوا بصانع العالم وأنه حكيم قادر مقدس إلا أنهم قالوا : الواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى معرفة جلاله وإنما نتقرب إليه بالوسائط المقَربة لديه وهم الروحانيون وحيث لم يعاينوا الروحانيين تقربوا إليهم بالهياكل وهي الكواكب السبعة

السيارة لأنها مدبرة لهذا العالم عندهم ، ثم ذهبت طائفة منهمٍ وهم أصحاب الأشخاص حيث رأوا أن الهياكل تطلع وتغرب وترى ليلاً ولا ترى نهارا إلى وضع الأصنام لتكون نصب أعينهم ليتوسلوا بها إلى الهياكل ، والهياكل إلى الروحانيين؛ والروحانيون إلى صانع العالم .

فهذا كان أصل وضع الأصنام أولًا، وقد كان أخيراً في العرب من هو على هذا الاعتقاد قال تعالى : (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) [1]فقد حصل من عبادة الاصنام مذهب الصابئين والكفر والفواحش وغير ذلك من المعاصي؛ فلما تمادى قوم نوح على كفرهم وعصيانهم بعث الله إليهم نوحاً يحذّرهم بأسه ونقمته ، ويدعوهم إلى التوبة والرجوع إلى الحق والعمل بما أمر الله تعالى ؛ وأرسل نوح وهو ابن خمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً.

وقال عون بن شداد : إن الله تعالى أرسل نوحاً وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة

فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم عاش بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة. وقيل غير ذلك وقد تقدم . قال ابن إسحاق وغيره : إنّ قوم نوح كانوا يبطشون به فيخنقونه حتى ينشى عليه فإذا أفاق قال : اللهم اغفر لي ولقومي فإنهم لا يعلمون حتى إذا تمادوا في معصيتهم وعظمت منهم الخطيئة، وتطاول عليه وعليهم الشأن اشتد عليه البلاء، وانتظر النجل بعد النجل فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من الذي كان قبله حتى إنْ كان الأخر ليقول : قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا مجنوناً لا يقبلون منه شيئاً وكان يُضرب وُيلف ويُلقى في بيته يرون أنه قد مات فإذا أفاق اغتسل وخرج إليهم يدعوهم

إلى الله ، فلما طال ذلك عليه ورأى الأولاد شراً من الأباء قال : رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فإن تلك لك فيهم حاجة فاهدهم وإنْ يك غير ذلك فصبرنى إلى أن تحكم فيهم. فأوحى إليه : (أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن)[2] فلما يئس من إيمانهم دعا عليهم فقال : (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) [3]إلى آخر القصة .

فلما شكا إلى الله واستنصره عليهم أوحى الله إليه أن اصنع الفُلك بأعيننا ووحينا

ولا تخاطبنيِ في الذين ظلموا إنهم مغرقون .

فأقبل نوح على عمل الفلك؛ ولها عن دعاء قومه ، وجعل يهئ عتاد الفلك من الخشب والحديد والقار وغيرها، مما لا يصلحه سواه ، وجعل قومه يمرون به وهو في عمله فيسخرون منه ، فيقول : (إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ، فسوف تعلمون)[1] ، قال : ويقولون : يا نوح ! قد صرت نجاراً بعد النبوة؟!

وأعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم ، وصنع الفلك من خشب الساج ، وأمره أن

يجعل طوله ثمانين. ذراعاً وعرضه خمسين ذراعا لم وطوله في السماء ثلاثين ذراعاً . وقال قتادة : كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعاً وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً . وقال الحسن : كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع والله أعلم .

وأمر نوحاً أن يجعله ثلاث طبقات سُفلى ووسطى وعليا . ففعل نوح كما أمره الله تعالى حتى إذا فرغ منه وقد عهد الله إليه : إذا جاء أمرنا وفار التنور فاحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل ، وقد جعل التنور آية فيما بينه وبينه فلما فار التنور وكان –فيما قيل –من حجارة كان لحواء . وقالى ابن عباس : كان ذلك تنوراً من أرض الهند . وقال مجاهد والشعبي : كان التنور بأرض الكوفة وأخبرته زوجته بفوران الماء في التنور وأمر الله جبرائيل فرفع الكعبة إلى السماء الرابعة وكانت مِنْ ياقوت الجنة كما ذكرناه وخبأ الحجر الاسود بجبل أبي قبيس فبقي فيه إلن أن بنى ابراهيم البيت فأخذه فجعله موضعه ، ولَمّا فار التنور حمل نوح من أمر الله بحمله وهَمّ

أولادُه الثلاثة : سام وحام ويافث ، ونساؤهم ، وستة أناسي فكانوا مع نوح ثلاث عشرة .

وقال ابن عباس : كان في السفينة ثمانون رجلاً أحدهم جرهم كلهم بنو شيث ،

وقال قتادة : كانوا ثمانية أنفس نوح وامرأته وثلاثة بنوه ونساؤهم ،

وقال الأعمش : كانوا سبعة ولم يذكر فيهم زوج نوح وحمل معه جسد آدم، ثم أدخل ما أمر الله به من الدواب ؛ وتخلف عنه ابنه يام وكان كافراً، وكان آخر مَنْ دخل السفينة الحمار فلما دخل صَدْرُه

تعلق إبليس بذنبه فلم ترتفع رجلاه فجعل نوح يأمره بالدخول فلا يستطيع حتى قال : ادخل وإنْ كان الشيطان معك فقال كلمة زلت على لسانه فلما قالها دخل الشيطان معه ، فقال له نوح : ما أدخلك يا عدو الله ؟ فقال : ألم تقل ادخل لانْ كان الشيطان معك ؟ فتركه.

ولما أمر نوح بإدخال الحيوان السفينة قال : أي رب ! كيف أصنع بالأسد والبقرة؟

وكيف أصنع بالعناق والذئب ؟ والطير والهر، قال : الذي ألقى بينها العداوة هو يؤلف بينها فألقى الحمى على الأسد وشغله بنفسه ولذلك قيل :

وما الكلب محموماً وإنْ طال عمره ألا إنما الحمى على الاسد الورد

وجعل نوح الطير في الطبق الأسفل من السفينة وجعل الوحش في الطبق الاوسط

وركب هو ومن معه من بني آدم في الطبق الأعلى ، فلما اطمأن نوح في الفُلك ، وأدخل فيه كل مَنْ أمر به وكان ذلك بعد ستمائة سنة من عمره في قول بعضهم وفي قول بعضهم ما ذكرناه ؛ وحمل معه من حمل جاء الماء كما قال الله تعالى : (فَفَتَحْنَا أبوابَ السمَاءَ بماءٍ مُنْهَمِر وفَجرْنَا الأرْضَ عُيُوناً فالتَقَى الماءُ على أمْرٍ قَدْ قُدِر)(1) فكان بين أنْ أرسل الماء وبين أَنْ يحتمل الماء الفلك أربعون يوماً وأربعون ليلةً وكثر واشتد . وأرتفع وطمى، وغطى نوح عليه وعلى من معه طبق السفينة؛ وجعلت الفلك تجري بهم في موج كالجبال ، ونادى نوح ابنه الذي هلك – وكان في معزل – (يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين)(2) وكان كافراً . قال : (سآوي إلى جبلٍ يعصمني من الماء) وكان عهد الجبال وهي حرز وملجأ، فقال نوح : (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين)(3).

وعلا الماء على رؤوس الجبال ، فكان على أعلا جبل في الأرض خمسة عشر ذراعاً، فهلك ما على وجه الأرض من حيوان ونبات فلم يبق إلا نوح ومن معه

والأعوج بن عنق – فيما زعم أهل التوراة – وكان بين إرسال الماء وبين أنْ غاض ستة أشهر وعشر ليال قال ابن عباس : أرسل الله المطر أربعين يوماً فأقبلت الوحش حين

---

(1) القمر : 11 .

(2) (3) هود: 43 .

أصابها المطر والطين إلى نوح وسخرت له فحمل منها كما أمره الله فركبوا فيها لعشر ليال مضين من رجب وكان ذلك لثلاث عشرة خلت من آب وخرجوا منها يوم عاشوراء من المحرم فلذلك صام من صام يوم عاشوراء . وكان الماء نصفين نصفاً من السماء ونصفاً من الأرض ؛ وطافت السفينة بالأرض كلها لا تستقر حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم أسبوعاً ثم ذهبت في الأرض تسير بهم حتى انتهت إلى الجودي وهو جبل بقردى بأرض الموصل فاستقرت عليه فقيل عند ذلك (بعداً للقوم الظالمين) ولما استقرت قيل (يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء) نشقته الأرض وأقام نوح في الفلك إلى أن غاض الماء. فلما خرج منها اتخذ بناحية من قردى من الماء أرض الجزيرة موضعاً وابتنى قرية سموها ثمانين وهي الآن تسمى سوق الثمانين لان كل واحد ممن معه بنى لنفسه بيتاً وكانوا ثمانين رجلًا. قال بعض أهل التوراة لم يولد لنوح إلا بعد الطوفان ، وقيل : إن ساماً ولد قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة، وقيل : إن اسم ولده الذي أغرق كان كنعان وهو يام .

وأما المجوس فإنهم لا يعرفون الطوفان ويقولون : لم يزل الملك فينا من عهد جيومرث وهو آدم قالوا ولو كان كذلك لكان نسب القوم قد انقطع وملكهم قد اضمحل وكان بعضهم يقر بالطوفان ويزعم أنه كان في إقليم بابل وما قرب منه وأن مساكن ولد جيومرث كانت بالمشرق فلم يصل ذلك إليهم .

وقول الله تعالى أصدق في أن ذرية نوح هم الباقون فلم يعقب أحد ممن كان معه

في السفينة غير ولده سام وحام ويافث .

ولما حضرت نوحاً الوفاة قيل له : كيف رأيت الدنيا؟ قال : كبيتٍ له بابان دخلت

من أحدهما وخرجت من الأخر. وأوصى إلى ابنه سام وكان أكبر ولده .

ذكر بيوراسب وهو الازدهاق الذي يسميه العرب الضحاك

وأهل اليمن يَدعُون أن الضحاك منهم وأنه أول الفراعثة، وكان مَلِك مصر لَتا قَدِمَهَا إبراهيم الخليل ، والفُرس تذكر أنه منهم وتنسبه إليهم وأنه بيوراسب بن ارونداسب بن رينكار بن وندريشتك بن يارين بن افروال بن سيامك بن ميشى بن

جيومرث ومنهم من ينسبه هذه النسبة وزعم أهلُ الأخبار أنّه مَلَكَ الأقاليم السبْعة، وأنّه كان ساحراً فاجِراً .

قال هشام بن الكلبيِ مَلَكَ الضحاك بعد جم فيما يزعمون والله أعلم ألف سنة،

ونزل السواد في قرية يقال لها " برس " في ناحية طريق الكوفة وملك الأرض كلها وسار بالفجور والعسف وبسط يده في القتل ، وكان أول من سَنَ الصلب والقطع ، وأول من وضع العشور وضرب الدراهم وأول من تش وغُني له قال : وبلغنا أن الضحاك هو نمروذ وأنَ إبراهيم عليه السلام وُلد في زمانه وأنه صاحبه الذي أراد إحراقه .

وتزعم الفرس أنّ الملك لم يكن إِلا للبطن الذي منه أوشهنج وجم وطهمورث ،

وأن الضحاك كان غاصباً، وأنه غصب أهل الأرض بسحره وخُبثه وهول عليهم بالحيتين اللتين كانتا على منكبيه .

وقال كثيرٌ من أهل الكتب : إن الذي كان على منكبيه كان لحمتين طويلتين كل لم

واحدة منهما كرأس الثعبان وكان يسترهما بالثياب ويذكر على طريق التهويلِ أنهما حيتان يقتضيانه الطعام وكانتا تتحركان تحت ثوبه إذا جاعتا ولقي الناس منه جهداَ شديداً وذبح الصبيان لأن اللحمتين اللتين كانتا على منكبيه كانتا تضربانه فإذا طلاهما بدماغ انسان سكنتا، فكان يذبح كل يوم رجلين فلم يزل الناس كذلك حتى إذا أراد الله هلاكه وثب رجل من العامة من أهل أصبهان يقال له كابي بسبب ابنين له أخذهما أصحاب بيرراسب بسبب اللحمتين اللتين على منكبيِه وأخذ كابي عصاً كانت بيده ، فعلق بطرفها جراباً كان معه ، ثم نصب ذلك كالعلم ودعا الناس إلى مجاهدة بيوراسب ومحاربته فأسرع إلى إجابته خلقٌ كثير لما كانوا فيه من البلاء وفنون الجور فلما غلب كابي تفاءل الناسُ بذلك العلم فعظموه وزادوا فيه حتى صار عند ملوك العجم علمهم الأكبر الذي يتبركون به وسموه درفش كابيان فكانوا لا يسيرونه إلاّ في الأمور الكبار العظام ولا يرفع إلا لأولاد الملوك إذا وجهوا فيِ الأمور الكبار.

وكان من خبر كابي أنه من أهل أصبهان فثار بمن اتبعه فالتفت الخلائق إليه فلما

أشرف على الضحاك قذف في قلب الضحاك منه الرعب فهرب عن منازله وخلى مكانه فاجتمع الأعجام إلى كابي فأعلمهم أنه لا يتعرض للملك لأنه ليس من أهله وأمرهم أنْ يملكوا بعض ولد جم لأنه ابن الملك أوشهنج الأكبر بن افروال الذي رسم الملك وسبق

في القيام به ، وكان أفريدون بن اثفيان مستخفياً من الضحاك فوافى كابي ومن معه فاستبشروا بموافاته فملكوه وصار كابي والوجوه لافريدون أعواناً على أمره فلما ملك وأحكم ما احتاج إليه من أمر الملك واحتوى على منازل الضحاك وسار في أثره فأسره بدنباوند في جبالها.

وبعض المجوس تزعم أنه وكّل به قوماً من الجن وبعضهم يقول : إنه لَقِيَ

سليمان بن داود وحبسه سليمان في جبل دنباوند وكان ذلك الزمان بالشام فما برح بيوراسب بحبسه يجره حتى حمله إلى خراسان ، فلما عرف سليمان ذلك أمر الجن فأوثقوه حتى لا يزول وعملوا عليه طلسماً كرجلين يدقان باب الغار الذي حبس فيه أبداً لئلا يخرج فإنه عندهم لا يموت .

وهذا أيضاً من أكاذيب الفرس الباردة ولهم فيه أكاذيب أعجب من هذا تركنا

ذ كرها .

وبعض الفرس يزعم أن أفريدون قتله يوم النيروز فقال العجم عند قتله : أمر

وزنوروز أي استقبلنا الدهر بيوم جديد فاتخذوه عيداً وكان أسره يوم المهرجان ، فقال العجم : أمد مهرجان لقتل من كان يذبح وزعموا أنهم لم يسمعوا في أمور الضحاك بشيء يستحسن غير شيء واحد وهو أن بليته لما اشتدت ودام جوره وتراسل الوجوه في أمره فاجمعوا على المصير إلى بابه فوافاه الوجوه فاتفقوا على أن يدخل عليه كابي الاصبهاني فدخل عليه ولم يُسَلِّمْ فقال : أيها الملك ! أيُّ السلام أسلم عليك ؟ سلام من يملك الأقاليم كلها أم سلام من يملك هذا الاقليم ؟ فقال : بل سلام من يملك الأقاليم لأني ملك الأرض ، فقال كابي : إذ كنت تملك الأقاليم كلها فلم خصصتنا بأثقالك وأسبابك من بينهم ولم لا تقسم الأمور بيننا وبينهم ، وعَدَدَ عليه أشياء كثيرة فصدَّقه فعمل كلامه في الضحاك فاقر بالإساءة وتألّف القوم ووعدهم بما يحبون وأمرهم بالانصراف ليعودوا ويقضي حوائجهم . ثم ينصرفوا إلن بلادهم وكانت أمه حاضرة تسمع معاتبتهم وكانت شراً منه ، فلما خرج القوم دخلت مغتاظة من احتماله وحِلْمِهِ عنهم فوبخته وقالت له : ألا أهلكتهم وقطعت أيديهم ؟ فلما أكثرتْ عليه قال لها : يا هذه لا تفكري في شيء إلا وقد سبقت إليه إلا أن القوم بدهوني بالحق وقرعوني به فكلما هممت بهم تخيل لي الحق بمنزلة الخبل بيني وبينهم فما أمكنني فيهم شيء . ثم جلس لأهل النواحي فوفى لهم بما وعدهم وقضى أكثر حوائجهم . وقال بعضهم : كان ملكه ستمائة سنة وكان عمره

ألف سنة، وأنه كان في باقي عمره شبيهاً بالملك لقدرته ونفوذ أمره ، وقيل : كان ملكه ألف سنة ومائة سنة .

وإنما ذكرنا خبر بيوراسب ههنا لأن بعضهم يزعم أن نوحاً كان في زمانه وإنما أرسل إليه وإلى أهل مملكته وقيل إنه هو الذي بنى مدينة بابل ومدينة صور ومدينة دمشق .

ذكر ذرية نوح عليه السلام

قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : (وجعلنا ذريته هم الباقين)(ا)[1] إنهم سام وحام، ويافث .

وقال وهب بن منبه : إن سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم ، وإن حام أبو السودان ، وإن يافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج . وقيل : إن القبط من ولد قوط بن حام . وإنما كان السودان في نسل حامٍ لأن نوحاً نام فانكشفت سوأته فراها حام فلم يغطها، ورآها سام ويافث فألقيا عليه ثوبا فلما استيقظ عَلِمَ ما صنع حام وإخوته فدع عليهم .

[ولد سام]

قال ابن إسحاق فكانت امرأة سام بن نوح صلب ابنة بتاويل بن محويل بن

خنوخ بن قين بن آدم فولدت له نفراً : أرفخشذ، واشوذ ، ولاوذ، وآرم . قال : ولا أدري آرم لأم أرفخشذ وإخوته أم لا؟

فمن ولد لاوذ بن سام فم ارس ، وجرجان ، وطَسَم ، وعمليق وهو أبو العماليق ،

ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون والفراعنة بمصر، وكان أهل البحرين وعمان منهم ويسمون جاشم ، وكان منهم بنو أميم بن لاوذ أهل وبار بأرض الرمل وهيِ بين اليمامة والشحر وكانوا قد كثروا فأصابتهم نقمة من اللهّ من معصية أصابوها فهلكوا وبقيت منهم بقية وهم الذين يقال لهم النسناس ، وكان طسم ساكني اليمامة إلى البحرين فكانت طسم والعماليق وأميم وجاشم قوماً عرباً لسانهم عربي ، ولحقت عبيل بيثرب قبل أن تبنى، ولحقت العماليق بصنعاء قبل أن تسمى صنعاء، وانحدر بعضهم إلى يثرب فما خرجوا منها عبيلاً فنزلوا موضع الجحفة فأقبل سيل فاجتحفهم أي أهلكهم فسميت "الجحفة".

قال : وولد آرم بن سام عوض ، وعابر وحويل . فولد عوض : عابر، وعاد،
وعبيل . وولد عابر بن آرم : ثمود، وجديس ، وكانوا عرباً يتكلمون بهذا اللسان المصري ، وكانت العرب تقول لهذه الامم ولجرهم : العرب العاربة ، ويقولون لبني إسماعيل : العرب المتعربة لأنهم إنما تكلموا بلسان هذه الامم حين سكنوا بين أظهرهم فكانت عاد بهذا الرمل إلى حضرموت ، وكانت ثمود بالحِجْر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى، ولحقت جديس بطسم وكانوا معهم باليمامة إلى البحرين ، واسم اليمامة إذ ذاك جو، وسكنت جاشم عمان . والنبط من ولد نبيط بن ماش بن آرم بن سام .
والفرس بنو فارس بن تيرش بن ماسور بن سام.
قال : وولد لارفخشذ بن سام ابنه قينان كان ساحراً، وولد لقينان شالخ بن أرفخشذ من غير ذلك قينان لما ذكر من سحره وولد لشالخ عابر، ولعابر فالغ ومعناه القاسم لأن الأرض قسمت والألسن تبلبلت في أيامه ، وقحطان بن عابر. فولد لقحطان يعرب ويقظان . فنزلا اليمن ، وكان أول من سكن اليمن وأول من سلم عليه بأبيتَ اللعن ، وولد لفالغ بن عابر أرغو، وولد لارغو ساروغ ، وولد لساروغ ناخور، وولد اشاخور تارخ واسمه بالعربية ازر، وولد لأزر ابراهيم عليه السلام ، وولد لأرفخشذ أيضاً نمروذ وقيل هو نمروذ بن كوش بن حام بن نوح.
قال هشام بن الكلبي : السند والهند بنو توقير بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وجرهم من ولد يقطن بن عابر وحضرموت بن يقطن ، ويقطن هو قحطان في قول من نسبه إلى غير إسماعيل.

والبربر من ولد ثميلا بن مارب بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لاوذ بن سام بن
نوح ما خلا صنهاجة وكتامة فإنهما بنو فريقش بن ضيفي بن سبأ.
وأما يافث فمن ولده جامر، وموعع ، ومورك ، وبوان ، وفوبا ، وماشج ، وتيرش .
فمن ولد جامر ملوك فارس في قول ، ومن وبد تيرش الترك والخزر، ومن ولد
ماشج الاشبان ، ومن ولد موعع يأجوج ومأجوج ، ومن ولد بوان الصقالبة وبرجان . والاشبان كانوا في القديم بأرض الروم لهبل أن يقع بها من وقع من ولد العيص بن إسحاق وغيرهم وقصد كل فريق من هؤلاء الثلاثة : سام وحام ويافث أرضاً فسكنوها

ودفعوا غيرهم عنها . ومن ولد يافث الروم وهم بنو لنطى ين يونان بن يافث بن نوح .

[ولد حام]

وأما حام فولد له كوش ، ومصرايم ، وفوط ، وكنعان فمن ولد كوش نمروذ بن

كوش ، وقيل هو من ولد سام ، وصارت بقية ولد حام بالسواحل من النوبة والحبشة والزنج ، وبقال ان مصرايم ولد القبط والبربر، وأما فوط فقيل : إنه سار إلى الهند والسند فنزلها وأهلها من ولده وأما الكنعانيون فلحق بعضهم بالشام ثم جاءت بنو إسرائيل فقتلوهم بها ونفوهم عنها، وصار الشام لبني اسرائيل ثم وثبت الروم على بني إسرائيل فأجلوهم عن الشام إلى العراق إلا قليلاً منهم ، ثم جاءت العرب فغلبوا على الشام. وكان يقال لعاد عاد إرم فلما هلكوا قيل لثمود ثمود إرم .

قال : وزعم أهل التوراة أن أرفخشذ وُلد لسام بعد أن مضى من عُمر سام مائة سنة وسنتان وكان جميع عمر سام ستمائة سنة، ثم وُلد لارفخشذ قينان بعد أنْ مضى من عُمر أرفخشذ خمس وثلاثون سنة، وكان عمره أربعمائة وثمانياً وثلاثين سنة ، ثم ولد لقينان شالخ بعد أن مضى من عمره تسع وثلاثون سنة، ولم تذكر مدة عمر قينان في الكتب لما ذكرنا من سِحْرِهِ .

ثم ولد لشالخ عابر بعد ما مضى من عمره ثلاثون سنة وكان عمره كله أربعمائة

وثلاثاً وثلاثون سنة ، ثم ولد لعابر فالغ وأخوه قحطان ، وكان مولد فالغ بعد الطوفان بمائة وأربعين سنة وكان عمره أربعمائة وأربعاً

وسبعين سنة ، ثم ولد لفالغ أرغو بعد ثلاثين سنة هن عمر فالغ وكان عمره مائتين وتسعاً وثلاثين سنة .

وولد لأرغو ساروغ بعد ما مض من عمره اثنتان وثلاثون سنة وكان عمره مائتين

وتسعاً وثلاثين سنة . وولد لساروغ ناخور بعد ثلاثين سنة من عمره وكان عمره كله مائتين وثلاثين سنة ، ثم ولد لناخور تارخ أبو إبراهيم بعد ما مضى من عمره سبع وعشرون سنة وكان عمره كله مائتين وثمانياً وأربعين سنة، وولد لتارخ وهو ازر إبراهيم عليه السلام وكان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة ومائتا سنة وثلاث وستون سنة وذلك بعد خَلْق آدم بثلاثة آلاف سنة وثلاثمائة وسبع وثلاثين سنة، وولد لقحطان بن عابر يَعْرُب ، فولد ليعرُب يشجب ، فولد ليشجب سبأ فولد سبأ حمير، وكهلان ، وعَمْراً، والأشعر ، وأنمار، ومرا . فولد عمرو بن سبأ : عدِيَا، وولد عديّ لخماً وجُذَاماً .

ذكر مُلك أفريدون

وهو أفريدون بن أثغيان وهو من ولد جمشيد وقد زعم بعض نسابة الفرس : أن
نوحاً هو أفريدون الذي قهر الضحاك وسلبه ملكه . وزعم بعضهم : أن افريدون هو ذو القرنين صاحب إبراهيم الذي ذكره الله في كلامه العزيز. وإنما ذكرته في هذا الموضع لأن قصته في أولاده الثلاثة شبيهة بقصة نوح على ما سيأتي ولحُسن سيرته وهلاك الضحاك على يديه ولأنه قيل : إن هلاك الضحاك كان على يد نوح .
وأما باقي نسابة الفرس فإنهم ينسبون أفريدون إلى جمشيد الملك وكان بينهما
عشرة آباء كلهم يسمى أثغيان خوفاً من الضحاك وإنما كانوا يتميزون بألقاب لقبوها فكان يقال لأحدهم : أثغيان صاحب البقر أحمر، وأثغيان صاحب البقر البلق وأشباه ذلك ، وكان أفريدون أول من ذلل الفيلة وامتطاها ونتج البغال واتخذ الاوز والحمام ، وعمل الترياق ، ورد المظالم ، وأمر الناس بعبادة الله والانصاف والإِحسان ، ورد على الناس ما كان الضحاك غصبه من الأرض وغيرها إلا ما لم يجد له صاحباً فإنه وقفه على المساكين .
وقيل : إنه أول من سمي الصوفي وهو أول من نظر في علم الطب وكان له ثلاثة
بنين اسم الأكبر شرم ، والثاني طوج ، والثالث ايرج ، فخاف أن يختلفوا بعده فقسّم ملكه بينهم أثلاثاً وجعل ذلك في سهام كتب أسماؤهم عليها وأمر كل واحد منهم فاخذ سهماً فصارت الروم وناسية العرب لشرم ، وصارت الترك والصين لطوج ، وصارت

العراق والسند والهند والحجاز وغيرها لايرج وهو الثالث وكان يحبه وأعطاه التاج والسرير.

ومات افريدون ونشبت العداوة بين أولاده وأولادهم من بعدهم ولم يزل التحاسد

ينمو بينهم إلى أن وثب طوج وشرم على أخيهما أيرج فقتلاه وقتلا ابنين كانا لايرج وملكا الأرض بينهما ثلاثمائة سنة ، ولم يزل افريدون يتبع من بقي بالسواد من آل نمروذ والنبط وغيرهم حتى أتى غلى وجوههم ومحا أعلامهم وكان ملكه خمسمائة سنة .

. ذكر الأحداث التي كانت بين نوح وإبراهيم

قد ذكرنا ما كان من أمر نوح وأمر ولده واقتسامهم الأرض بعده ومساكن كل فريق منهم ، فكان ممن طغى وبغى – فأرسل الله إليهم رسولًا فكذبوه فأهلكهم الله – هذان الحيان من ولد إرم بن سام بن نوح أحدهما عاد والثاني ثمود .

[نبي اللّه هود عليه السلام]

، فأما عاد فهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وهو عاد الأولى، وكانت مساكنهم ما بين الشحر، وعمان ، وحضرموت بالأحقاف فكانوا جبارين طوال القامة لم يكن مثلهم . يقول الله تعالى : (واذْكُرُوا إذْ جَعَلَكُم خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُم في الخَلْقِ بَسْطَة) [1]فأرسل الله إليهم هود بن عبد الله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص ، ومن الناس من يزعم أنه هود وهو عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وكانوا أهل أوثان ثلاثة يقال لاحدهما ضرا وللآخر ضمور وللثالث الهباء فدعاهم إلى توحيد الله لإفراده بالعبادة دون غيره وترك ظلم الناس فكذبوه وقالوا : من أشد منا قوة؟

ولم يؤمن بهود منهم إلا قليل ، وكان من أمره ما ذكره ابن إسحاق قال : إن عاداً

أصابهم قحط تتابع عليهم بتكذيبهم هوداً فلما أصابهم قالوا : جهزوا منكم وفداً إلى مكة يستسقون لغم ، فبعثوا قيل بن عير، ولقيم بن هزال ، ومرثد بن سعد وكان مسلماً يكتم إسلامه ، وجلهمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر، ولقمان بن عاد بن فلان بن عاد الأكبر في سبعين رجلًا من قومهم فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر بظاهر مكة خارجاً عن الحرم فأكرمهم وكانوا أخواله وصهره لأن لقيم بن هزال كان تزوج هزيلة بنت بكر أخت معاوية فأولدها أولاداً كانوا عند خالهم معاوية بمكة وهم عبيد وعمرو، وعامر، وعمير بنو لقيم وهم عاد الآخرة التي بقيت بعد عاد الأولى، فلما نزلوا عك معاوية أقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية فلما رأى معاوية طول مقامهم وتركهم

ما أرسلوا له شق عليه ذلك وقال : هلك أخوالي ، واستحيا أن يأمر الوفد بالخروج إلى ما بعثوا له فذكر ذلك للجرادتين فقالتا : قل شعراً نغنيهم به لا يدرون من قائله لعلهم يتحركون . فقال معاوية :

ألاَ يا قيل ويحَك قُمْ فَهَيْنِم لعلّ الله يصبحنا[2]غَمَامَاً

فيسقِي أرضَ عادٍ إنّ عاداً قد امسوا [3] لا يُبِيْنُون الكَلاما[4]

في أبيات ذكرها، والهينمة الكلام الخفي فلما غنتهم الجرادتان ذلك الشعر

وسمعه القوم قال بعضهم لبعض يا قوم بعثكم قومكم يتغوثون بكم من البلاء الذي نزل بهم فأبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم . فقال مرثد بن سعد : إنهم والله لا يسقون بدعائكم ولكن أطيعوا نبيكم فأنتم تُسقون وأظهر اسلامه عند ذلك . فقال جلهمة بن الخيبري خال معاوية لمعاوية بن بكر: احبس عنا مرثد بن سعد. وخرجوا إلى مكة يستسقون بها لِعَاد فدعوا الله تعالى لقومهم واستسقوا ، فأنشأ اللُه سحائب ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء ونادى مناد منها: يا قيل اختر لنفسك وقومك . فقال : قد اخترت السحابة السوداء–فإنها أكثر ماء . فناداه مناد : " اخترت رماداً رمدداً. ألا تبقي من عاد أحداً لا ولد تترك ولا والد إلا جعلته همداً . إلا بني اللوذية المهديِ "،

وبنو اللوذية بنو لقيم بن هزال كانوا بمكة عند خالهم معاوية بن بكر. وساق الله ،

السحابة السوداء بها فيها من العذاب إلى عاد فخرجت عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا : هذا عارض ممطرنا . يقول الله تعالى : (بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تَدمر كل شيء بأمر ربها " أي كل شيء أُمِرَتْ ،به ، وكان أول من رأى ما فسِها وعرف إنها ريح مُهلكة امرأة من عاد يقال لها فهدد فلما رأت ما فيها صاحتْ وصُعقت فلما أفاقت قالوا : ماذا رأيتِ ؟

قالت : رأيتُ ريحاً فيها كشُهُب النار أمامها رجال يقودونها .

فلما خرجت الريح من الوادي قال شعبة رهط من الخلجان : تعالوا حتى نقوم
على شفير الوادي فنردها فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله فتدق عنقه
وبقي الخلجان فمال إلى الجبل وقال :

لَم يَبْقَ إِلا الخَلجانُ نفسُهُ يَالَكَ ينْ يَوْمٍ دَهَانِي أمْسُة!
بثَابِتِ الوَطءِ شديدٍ وَطْسُهُ لوْ لم يَجِئْنِي جئتُهُ أجُسُّهُ

فقال له هود: أسلم تسلم . فقال : ومالي ؟ قال : الجنة . فقال : فما هؤلاء الذين
في السحاب كأنهم البخت ؟
قال : الملائكة . قال : أيعيذني ربك منهم إن أسلمت ؟ قال : هل رأيت ملِكاً لا
يعيذ من جنده ؟ قال "لو فعل ما رضيت.

ثم جاءت الريح وألحقته بأصحابه ، ومَبخَرَهَا الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام

حسوماً كما قال تعالى ، والحسوم : الدائمة، فلم تَدَع مِنْ عَادٍ أحدا إلا هلك ، واعتزل هود والمؤمنون في حظيرة لم يصبه ومن معه الاتليين الجلود وإنها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة .

وعاد وفد عاد إلى معاوية بن بكر فتزلوا عليه فأتاهم رجل على ناقة فأخبرهم بمصاب عاد وسلامة هود . قال : وكان قد قيل للقمان بن عاد اختر لنفسك إلا أنه لا سبيل إلى الخلود . فقال : يا رب أعطني عُمراً . فقيل له اختر فاختار عُمر سبعة أنسر فعُقَرَ فيما يزعمون عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ الذكر حين يخرج من بيضته حتى إذا مات أخذ غيره وكان يعيش كل نسر ثمانين سنة فلما مات السابع مات لقمان معه وكان السابع يسمى لبدا. قال : وكان عمر هود مائة وخمسين سنة وقبره بحضرموت [1]وقيل بالحِجْر[2] من مكة فلما هلكوا أبى سل الله طيراً أسود فنقلتهم إلى البحر فذلك قوله تعالى : (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) ولم تخرج ريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ فإنها عتت على الخزنة فذلك قوله (أهلكهوا بريح صرصر عاتية) وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم البيت عك من فيه .

[صالح عليه السلام]

وأما ثمود فهو ولد ثمود بن جاثر بن أرم بن سام وكانت مساكن ثمود بالحجر بين
الحجاز والشام وكانوا بعد عاد قد كثروا وكفروا وعتوا، فبعث الله إليهم صالح بن
عبيد بن أسف بن ماشج بن عبيد بن جادر بن ثمود، وقيل : اسف بن كماشج بن
اروم بن ثمود يدعوهم إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة فقالوا يا صالح ! قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا؟ وكان الله قد أطال أعمارهم حتى إنْ كان أحدهم يبني البيت من المدر فينهدم وهو حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً فارهين فنحتوها وكانوا في سعة من معايشهم ،ولم يزل صالح يدعوهم فلم يتبعه منهم إلا قليل مستضعفون ، فلما ألح عليهم بالدعاء والتحذير والتخويف سألوه فقالوا يا صالح اخرج معنا إلى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون إليه بأصنامهم فأرنا آية فتدعو إلهك وندعو آلهتنا فإن استجيب لك اتبعناك لان استجيب لنا اتبعتنا . فقال : نعم . فخرجوا بأصنامهم وصالح معهم فدعوا أصنامهم أن لا يستجاب لصالح ما يدعو به . وقال له سيد قومه : يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة – لصخرة منفردة – ناقة جوفاء عشراء ، فإنْ فعلت ذلك صدقناك . فأخذ عليهم المواثيق بذلك ، وأتى الصخرة وصنى ودعا ربه عز وجل فإذا هي تتمخض كما
تتمخض الحامل ثم انفجرت وخرجت من وسطها الناقة كما طلبوا وهم ينظرون ثم

نتجت سقباً مثلها في العظم فآمن به سيد قومه واسمه جندع بن عمرو ورهط من قومه .

فلما خرجت الناقة قال لهم صالح هذه الناقة (لها شِرْب ولكم شِرْبُ يومٍ معلوم) [1]ومتى عقرتموها أهلككم الله . فكان شربها يوماً وشربهم يوماً معلوماً فإذا كان يوم شربها خلوا بينها وبين الماء وحلبوا لبنها وملأ واكل وعاء وإناء وإذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء فلم تشرب منه شيئاً وتزودوا من الماء للغد فأوحى الله إلى صالح أنّ قومك

سيعقرون الناقة . فقال لهم ذلك ، فقالوا : ما كنا لنفعل . قال لا تعقروها أنتم ، يوشك أن يولد فيكم مولود يعقرها . قالوا : وما علامته فوالله لا نجده إلا قتلناه . قال : فإنه غلام أشقر، أزرق ، أصهب ، أحمر. قال فكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان لأحدهما ابن رغب له عن المناكح وللآخر ابنة لا يجد لها كفؤاً فزوج أحدهما ابنه بابنة الآخر فولد بينهما المولود فلما قال لهم صالح : إنما يعقرها مولود فيكم اختاروا قوابل من القرية وجعلوا معهن شرطاً يطوفون في القرية فإذا وجدوا امرأة تلد نظروا ولدها ما هو، فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة وقلن هذا الذي يريد نبى الله صالح . فأراد الشرط أن يأخذوه فحال جِدَّاه بينهم وبينه ، وقالوا : لو أراد صالح هذا لقتلناه .

فكان شر مولود، وكان يشب في اليوم شباب غيره في الجمعة، فاجتمع تسعة

رهط منهم يفسدون في الأرض ولا يصلحون كانوا قتلوا أبناءهم حين ولدوا خوفاً أن يكون عاقر الناقة منهم ثم ندموا فأقسموا ليقتلن صالحاً وأهله . وقالوا : نخرج فنرى الناس أننا نريد السفر فنأتي النار الذي علن طريق صالح فنكون فيه فإذا جاء الليل وخرج صالح إلى مسجده قتلناه ثم رجعنا إلى الغار ثم انصرفنا إلى رحالنا وقلنا: ما شهدنا قتله فيصدقنا قومه وكان صالح لا يبيت معهم كان يخرج إئى مسجد له يعرف بمسجد صالح فيبيت فيه فلما دخلوا الغار سقطت عليهم صخرة فقتلتهم فانطلق رجال ممن عرف الحال إلى الغار فرأوهم هلكى ، فعادوا يصيحون أنّ صالحاً أمرهم بقتل أولادهم ثم قتلهم . وقيل : إنما كان تقاسم التسعة على قتل صالح بعد عقر الناقة وإنذار صالح إياهم بالعذاب وذلك أنّ التسعة

الذين عقروا الناقة قالوا : تعالوا فلنقتل صالحاً فإن كان صادقاً عجلنا قتله وإن كان كاذباً ألحقناه بالناقة فأتوه ليلاً في أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فهلكوا فألَى أصحابهم فرأوهم هلكى فقالوا لصالح : أنت قتلتهم وأرادوا قتله فمنعهم عشيرته وقالوا ة إنه قد أنذركم العذاب فإن كان صادقاً فلا تزيدوا ربكم غضباً وإن كان كاذباً فنحن نسلمه إليكم فعادوا عنه .

فعلى القول الأول يكون التسعة الذين تقاسموا غير الذين عقروا الناقة والثاني

أصح والله أعلم .

وأما سبب قتل الناقة فقيل : إن قدار بن سالف جلس مع نفر يشربون الخمر فلمٍ

يقدروا على ماء يمزحون به خمرهم لأنه كان يوم شرب الناقة فحرض بعضهم بعضا

على قتلها، وقيل : إنّ ثموداً كان فيهم امرأتان يقال لاحداهما قطام وللآخرى قبال وكان قدار يهوى قطام ومصدع يهوى قبال ويجتمعان بهما ففي بعض الليالي قالتا لقدار ومصاغ لا سبيل لكما إلينا حتى تقتلا الناقة فقالا : نعم وخرجا وجمعا أصحابهما وقصدا الناقة وهي عك حوضها. فقال الشقي لأحدهم اذهب فاعقرها فأتاها فتعاظمه ذلك فأصرت عنه ، وبعث آخر باعظم ذلك ، وجعل لا يبعث أحداً إلا تعاظمه قتلها حتى مشى هو إليها فتطاول فضرب عرقوبها فوقعت تركض وكان قتلها يوم الأربعاء واسمه بلغتهم جبار، وكان هلاكهم يوم الأحد وهو عندهم أول فلما قتلت أتى رجل منهم صالحاً فقال : أدرك الناقة فقد عقروها فأقبل وخرجوا يتلقونه يعتذرون إليه يا نبي الله إنما عقرها فلان إنه لا ذنب لنا قال : أنظروا هل تدركون فصيلها؟ فإن أدركتموه فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه ولما رأى الفصيل أمه تضطرب قصد جبلاً يقال له القارة قصيراً فصعده وذهبوا يطلبونه فأوحى الله إلى الجبل فطال في السماء حتى ما يناله الطير ودخل صالح القرية ولما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم استقبل صالحاً فرِغاً ثلاثاً فقال صالح لكل رغوة أجل يوم (تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُم ثَلَاثَةَ أيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غيْر مَكْذُوب)[1] وآية العذاب أن وجوهكم تصبح في اليوم الأول مصفرة وتصبح في اليوم الثاني محمرة وتصبح في اليوم الثالث مسودة فلما أصبحوا إذا وجوههم كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فلما أصبحوا في اليوم الثاني إذا وجوههم محمرة، فلما أصبحوا في اليوم الثالث إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فتكفنوا وتحنطوا وكان حنوطهم الصبر والمر وكانت أكفانهم الأنطاع ثم ألقوا أنفسهم إلى

الأرض فجعلوا يقلبون أبصارهم إلى السماء والأرض لا يدرون من أين يأتيهم العذاب ؟ فلما أصبحوا في اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كالصاعقة، فتقطعت قلوبهم في صدورهم فاصبحوا في ديارهم جاثمين ، وأهلك الله من كان بين المشارق والمغارب منهم إلا رجلًا كان في الحرم فمنعه الحرم . قيل : ومن هو؟ قيل : هو أبو رغال وهو أبو ثقيف في قول ، ولما سار النبي صلى الله عليه وسلم [2] أتى على قرية ثمود فقال لأصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها، وأراهم مرتقى الفصيل في الجبل ، واراهم الفج الذي كانت الناقة ترد منه الماء .

وأما صالح عليه السلام فإنه سار إلى الشام فنزل فلسطين ، ثم انتقل إلى مكة

فأقام بها يعبد الله حتى مات [1] وهو ابن ثمان وخمسين سنة وكان قد أقام في قومه يدعوهم عشرين سنة .

وأمل أهل التوراة فإنهم يزعمون أنه لا ذكر لعاد وهود وثمود وصالح في التوراة،

قال : وأمرهم عند العرب في الجاهلية والاسلام كشهرة إبراهيم الخليل عليه السلام[2].

قلت : وليس إنكارهم ذلك بأعجب من إنكارهم نبوة إبراهيم الخليل ورسالته وكذلك انكارهم حال المسيح عليه السلام .

ذكر ابراهيم الخليل عليه السلام ومن كان في عصره من ملوك العجم

وهو إبراهيم بن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن أرغو[1] بن فالغ بن عابر بن لا
شالخ بن قينان بن أرفخشَذ[2] بن سام بن نوح عليه السلام .
واختلف في الموضع الذي كان فيه والموضع الذي ولد فيه فقيل : ولد بالسوس
من أرض الأهواز، وقيل : ولد ببابل ، وقيل : بكُوثَى ، وقيل بحران ولكن أباه نقله .
قال عامة أهل العلم : كان مولده في عهد نمروذ بن كوش ، ويقول عامة أهل
الأخبار: ان نمروذ كان عاملًا للازدهاق الذي زعم بعض مَنْ زعم أنّ نوحاً أرسل إليه .
وأما جماعة مَنْ سلف مِنْ العلماء فإنهم يقولون كان ملكاً برأسه ، قال ابن إسحاق : وكان ملكه قد أحاط بمشارق الأرض ومغاربها وكان ببابل . قال : ويقال : لم يجتمع مُلك الأرض الا لثلاثة ملوك نمروذ، وذي القرنين ، وسليمان بن داود، وأضاف غيره اليهم بختنصر وسنذكر بُطلان هذا القول .
فلما أراد الله أن يبعث إبراهيم حجة على خلقه ورسولًا إلى عباده ولم يكن فيما
بينه وبين نوح نبي إلا هود وصالح فلما تقارب زمان ابراهيم أتى أصحاب النجوم نمروذ فقالوا له : إنا نجد غلاماً يولد في قريتك هذه يقال له إبراهيم ، يفارق دينكم ، ويكسر أصنامكم في شهر كذا من سنة كذا ، فلما دخلت السنة التي ذكروا حبس نمروذ الحبالى عنده

إلا أم إبراهيم فإنه لم يعلم بحبلها لأنه لم يظهر عليها أثره فذبح كل غلام ولد في ذلك الوقت ، فلما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلاً إلى مغارة كانت قريبة منها، فولدت ابراهيم ، وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود، ثم سدت عليه المغارة، ثم

سعت إلى بيتها راجعة، ثم كانت تطالعه لتنظر ما فعل .
فكان يشب في اليوم ما يشب غيره في الشهر، وكانت تجده حياً يمص إبهامه
جعل الله رزقه فيها[1]. وكان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها فقالت : ولدت غلاماً فمات – فصدقها.
وقيل : بل علم آزر بولادة ابراهيم وكتمه حتى نسي الملك ذكر ذلك فقال آزر: إن
لي ابناً قد خبأته أفتخافون عليه الملك إن أنا جئت به ؟ فقالوا لا فانطلق ، فأخرجه من السرب ، فلما نظر إلى الدواب والى الخلق ولم يكن رأى قبل ذلك غير أبيه وأمه ، فجعل يسأل أباه عما يراه فيقول أبوه : هذا بعير أو بقرة أو غير ذلك فقال : ما لهؤلاء الخلق بد من .أن يكون لهم رب ؟ وكان خروجه بعد غروب الشمس فرفع رأسه إلى السماء فإذا هو بالكوكب وهو المشتري فقال : هذا ربي [2]، فلم يلبث أن غاب فقال لا أحب الآفلين . وكان خروجه فيٍ آخر الشهر فلهذا رأى الكوكب قبل القمر. وقيل : كان تفكر وعمره خمسة عشر شهراَ وقال لأمه وهو في المغارة أخرجيني انظر فأخرجته عشاء ، فنظر فرأى الكوكب وتفكر في خلق السموات والأرض وقال في الكوكب ما تقدم . فلما رأى القمر بازغاً قال : هذا ربي فلما غاب قال : (لئن لمٍ يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين) [3]فلما جاء النهار وطلعت الشمس رأى نورا أعظم من كل ما رأى فقال : هذا ربي هذا أكبر. فلما أفلت قال : يا قوم ! اني بريء مما تشركون . ثم رجع إبراهيم إلى أبيه وقد عرف ربه وبرىء من دين قومه إلا أنه لم ينادهم بذلك فأخبرته أمه بما كانت صنعت من كتمان حاله فسره ذلك ، وكان آزر يصنع الأصنام

التي يعبدونها ويعطيها ابراهيم ليبيعها فكان إبراهيم يقول مَنْ يشري ما لا يضره ولا ينفعه ، فلا يشتريها منه أحد، وكان يأخذها وينطلق بها إلى نهر فيصوب رؤوسها فيه ويقول : اشربي ، استهزاء بقومه . حتى فشا ذلك عنه في قومه غير أنه لم يبلغ خبره نمروذ فلما بدا لِإبرهيم أن يدعو

قومه إلى تَرْك ما هم عليه ويأمرهم بعبادة الله تعالى دعا أباه إلى التوحيد فلم يُجبه ودعا قومه فقالوا :مَنْ تعبد أنت ؟ قال : رب العالمين . قالوا : نمروذ؟ قال : بل أعبد الذي خلقني ، فظهر أمره .

وبلغ نمروذ أنّ إبراهيم أراد أن يُرِيَ قومه ضَعْفَ الأصنام التي يعبدونها ليُلزمهم الحجة فجعل يتوقع فرصة ينتهي بها ليفعل بأصنامهم ذلك فنظر نظرة في النجوم ، فقال : إني سقيم . أي طعين ليهربوا منه إذا سمعوا به ، وإنما يريد ابراهيم أن يخرجوا عنه ليبلغ من أصنامهم ، وكان لهم عيد يخرجون إليه جميعهم ، فلما خرجوا قال . هذه المقالة فلم يخرج معهم إلى العيد، وخالف إلى أصنامهم وهو يقول : (تالله لأكيدن أصنامكم) [1]، فسمعه ضعفاء الناس ومن هو في آخرهم ؛ ورجع إلى الأصنام وهي في بهو عظيم بعضها إلى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو وإذا هم قد جعلوا طعاماً بين يدي آلهتهم وقالوا : .نترك الآلهة إلى حين نرجع فتأكله فلما نظر إبراهيم إلى ما بين أيديهم من الطعام قال : ألا تأكلون ؟ فلما لم يجبه أحد قالى : مالكم لا تنطقون ؟ فراغ عليهم ضرباً باليمين فكسرها بفأس في يده حتى إذا بقي أعظم صنم منها ربط الفأس بيده ، ثم تركهن .

فلما رجع قومه ورأوا ما فعل بأصنامهمِ راعهم ذلك وأعظموه وقالوا : (مَنْ فَعَلَ

هَذَا بآلِهَتِنَا إنّه لَمِن الظالِمِيْن ؟ قَالُوا سَمِعْنَا فتًى يَذْكُرهُمْ يُقَالُ لَهُ إبْرَاهِيم " [2] يعنون يسبها ويعيبها ولم نسمع ذلك من غيره وهو الذي نظنه صنع بها هذا وبلغ ذلك نمروذ وأشراف قومه فقالوا : (فَأتوا بهِ عَلَى أعْين النَّاسِ لَعَلَهُم يَشْهَدُون) [3]ما نفعل به ، وقيل

: يشهدون عليه ، كرهوا أَن يأخذوه بغير بينة فلما أن به واجتمع له قومه عند ملكهم نمروذ وقالوا : (أ أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بَآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمْ ؟ قَالَ :بَل فَعَلَه كَبِيْرُهُم هَذَا فَاسْأَلُوهُم إِنْ كَانُوا يَنْطِقُون)[4] غضب من أنْ تعبدوا هذه الصغار وهو أكبر منها ، فكَسرها فارعووا ورجعوا عنه فيما ادعوا عليه من كسرها إلى أنفسهم فيما بينهم ، فقالوا : لقد ظلمناه وما نراه

إلا كما قال ثم قالوا: وعرفوا أنها لا تضر ولا تنفع ولا تبطش (لَقَد عَلِمْتَ مَا هَؤلَاء يَنْطِقُون)[1]أيْ لا يَتَكَلمُونَ فَيُخْبِرونا مَنْ صنع هذا بها وما تبطش بالأيدي فنصدقك يقول الله تعالى : (ثُم نُكِسُوا عَلَى رُؤوسِهم)[2] في الحُجة عليهم لإبراهيم ، فقال لهم إبراهيم – عند قولهم ما هؤُلاء ينطقون –: (أفَتَعْبُدُون مِنْ دُونِ الله مَآلَا يَنْفَعُكُم شَيْئاً وَلَا يَضُركُم أفٍ لَكُم وَيما تَعْبدُونَ مِنْ دُونِ الله أفَلَا تَعْقِلُون) (3) .

ثم إن نمروذ قال لابراهيم : أرأيت إلهك الذي تعبده وتدعو إلى عبادته ما هو؟

قال : (رَبيَ انَذِي يُحْي وُيمِيْت)[4]قال نمروذ : أنا أحي وأميت .

قال إبراهيم : وكيف ذلك ؟ قال : آخذ رجلَين قد استوجبا القتل فأقتل أحدهما فاكون قد أمَتُّه وأعفو عن الآخر فأكون قد أحييته . (فقال إبراهيم : إن الله يَأتِي بِالشمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأتِ بِهَا مِن المَغْرِبِ ، فَبُهِتَ)[5]عند ذلك نمروذ ولم يرجع إليه شيئاً .

ثم إنه وأصحابه أجمعوا على قتل إبراهيم فقالوا جَرَّقُوه وَانْصُرُوا آلهِتِكم .

قال عبد الله بن عمر: أشار بتحريقه رجل من أعراب فارس . قيل له : وللفرس

أعراب ؟ قال نعم الأكراد هم أعرابهم . قيل : كان اسمه هيزن فخُسف به فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة .

فأمر نمروذ بجمع الحطب من أصناف الخشب حتى إنْ كانت المرأة لتنذر بإنْ بلغت ما تطلب أن تحتطب لنار إبراهيم حتى إذا أرادوا أنْ يلقوه فيها قدموه وأشعلوا النار، حتى

إن كانت الطير لتمر بها فتحترق منْ شِذتِهَا وحرها .

فلما أجمعوا لقذفه فيها صاحت السماء والأرض وما فيها الا الثقلين إلى الله صيحة

واحدة أي ربنا : ابراهيم ليس في أرضك من يعبدك غيره يحرق بالنار فيك ، فأذن لنا في نصره . قال الله تعالى : إنْ استغاث بشئ منكم فلينصره وإنْ لم يدع غيري فأنا له . فلما رفعوه عنى رأس البنيان رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم أنت الواحد في السماء وأنت الواحد في الأرض حسبي الله ونعم الوكيل .

وعرض له جبريل وهو يوثق فقال : ألك حاجة يا ابراهيم ؟ قال : أما اليك فلا.

فقذفوه في النار فناداها الله فقال : يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم . وقيل :

ناداها جبريل فلو لم يُتبع بردها سلام لمات ابراهيم من شدة بردها فلم يبق يومئذ نار إلا طفئت ظنت أنها هي ، وبعث الله ملك الظل في صورة إبراهيم فقعد فيها إلى جنبه يؤنسه فمكث نمروذ أياماً لا يشك أن النار قد أكلت إبراهيم فرأى كأنه نظر فيها وهي يحرق بعضها بعضاً وإبراهيم جالس إلى جنبه رجل مثله فقال لقومه : لقد رأيت كأن ابراهيم حي ولقد شبه علي ابنوا لي صرحاً يشرف بي على النار فبنوا له واشرف منه فرأى ابراهيم جالساً والى جانبه رجل في صورته فناداه نمروذ : يا إِبراهيم إن الهك كبير الذي بلغت قدرته وعزته أنْ حال بينك وبين ما أرى، هل تستطيع أن تخرج منها؟

قال : نعم . قال : أتخشى إنْ أقمت فيها؟ قال لا.

فقام إبراهيم فخرج منها فلما خرج قال له : يا ابراهيم ! من الرجل الذي رأيت معك مثل صورتك ؟

قال : ذلك ملك الظل أرسله إلي ربي ليؤانسني .

قال نمروذ : إني مقرب إلى إلهك قرباناً لما رأيت مِنْ قدرته وعزته وما صنع بك حين أبيت إِلا عبادته . فقال إبراهيم : إذاً لا يقبل الله منك ما كنت على شيء من دينك . فقال : يا ابراهيم !لا أستطيع ترك ملكي . وقَرب أربعة آلاف بقرة وكف عن إبراهيم ومنعه الله منه .

وآمن مع إبراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله به على خوف ،من نمروذ وملئهم ، وآمن له لوط بن هاران وهو ابن أخي ابراهيم ، وكان لهم أخ ثالث يقال له

ناخور بن تارخ وهو أبو بتويل ، وبتويل أبو لابان وأبو ربقا امرأة إسحاق بن إبراهيم أم يعقوب ولابان أبو ليئة وراحيل زوجتي يعقوب وآمنت به سارة وهي ابنة عمه وهي سارة ابنة هاران الأكبر عم ابراهيم . وقيل كانت ابنة ملك حران فآمنت بالله تعالى مع ابراهيم .

ذكر هجرة إبراهيم عليه السلام ومن آمن معه

ثم إن إبراهيم والذين اتبعوا أمره أجمعوا على فِرَاق قومهم ، فخرج مُهَاجراً حتى

قدم مصر وبها فِرْعَون من الفراعنة الأولى كان اسمه سنان بن علوان بن عبيد بن

. عولج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح [1] ، وقيل : كان أخا الضحاك استعمله على ..مضر ، وكانت سارة من أحسن النساء وجهاً وكانت لا تعصى إبراهيم شيئاً ، فلما وصفت لفرعون أرسل إلى إبراهيم ، فقال : من هذه التي معك ؟ قال : أختي ، يعي في الإسلام وتخوف إنْ قال هي امرأتي أنْ يقتله [2] . فقال له : زينها وأرسلها إليّ

فأمر بذلك إبراهيم فتزينت وأرسلها اليه فلما دخلت عليه أهوى بيده إليها وكان إبراهيم حين أرسلها قام يصلي فلما أهوى إليها أخذ أخذاً شديداً فقال : ادير، الله ولا أضرك ، فدعت له فأرسل فاهوى إليها فاخذ أخذاً شديداً ، فقال : أدعي ولا أضرك فدعت له فأرسل ، ثم فعل ذلك الثالثة ، فذكر مثل المرتين فدعا أدنى حجابه ، فقال : إنك لم تأتني بإنسان وإنك أتيتني بشيطان ، أخرجها وأعطها هاجر . ففعل ، فأقبلت بهاجر ، فلما أحس إبراهيم بها انفتل من صلاته فقال : مهيم [1]؟فقالت : كفى الله كيد لا الكافرين وأخدم هاجر ، وكان أبو هريرة يقول : تلك أمكم يابني ماء السماء .

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث مرات اثنتين في ذات الله قوله " إني سقيم " وقوله " بل فعله كبيرهم هذا " وقوله فيِ سارة " هي أختي "[2].

ذكر ولادة اسماعيل عليه السلام وحمله إلى مكة

قيل كانت هاجر جارية ذات هيئة فوهبتها سَارَة لإبراهيم وقالت : خذها لعل الله

يرزقك منها ولداً وكانت سَارَة قد مُنِعَتْ الولد حتى أسنَت فوقع إبراهيم علىَ باجر فولدت إسماعيل ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم

ذمة ورحماً[1] يعني ولادة هاجر ، فكان إبراهيم قد خرج بها إلى الشام من مصر خوفاً من فرعون فنزل السبعٍ من أرض فلسطين ، ونزلى لوط بالمؤتفكة وهيِ من السبع مسيرة يوم وليلة فبعثه الله نبيا، وكان إبراهيم قد اتخذ بالسبع بئراً ومسجداً وكان ماء البئر معيناً[2] طاهراً، فآذاه أهل السبع فانتقل عنهم فنضب الماء فاتبعوه يسألونه العود إليهم فلم يفعل وأعطاهم سبعة اعنز وقال : إذا أوردتموها الماء ظهر حتى يكون معيناً. طاهراً فاشربوا منه ولا تغِترف منه امرأة حائض فخرجوا بالأعنز فلما وقفت على الماء ظهر إليها وكانوا يشربون منه إلى ،أن غرفت منه امرأة طامث فعاد الماء إلى الذي هو عليه اليوم ، وأقام ابراهيم بين الرملة وإيليا ببلد يقال له قط أو قط .

قال : فلما ولد إسماعيل حزنت سارة حزناً شديداً فوهبها الله إسحاق وعمرها سبعون سنة ، فعمر إبراهيم مائة وعشرون سنة ، فلما كبر إِسماعيل لإسحاق اختصما فغضبت سارة على هاجر فأخرجتها ثم أعادتها فغارت منها ، فأخرجتها وحلفت لتقطعن منها بضة فتركت أنفها وأذنها لئلا تشينها ثم خفضتها فمن ثم خفض النساء ، وقيل كان إسماعيل صغيراً وإنما أخرجتها سارة غيرة منها وهو الصحيح ، وقالت سارة لا تساكنني في بلد.

لم فأوحى الله إلى إبراهيم أن يأتي مكة وليس بها يومئذ نبت ، فجاء إبراهيم

بإسماعيل وأمه هاجر فوضعهما بمكة بموضع زمزم ، فلما مضى نادته هاجريا إبراهيم ! من أمرك أن تتركنا بأرض ليس فيها زرع ولا ضرع ولا ماء ولا زاد ولا أنيس ؟

قال ؟ ربي أمرني . قالت : فإنه لن يضيعنا .

1 فليا ولى قال : (ربنَا إنك تَعْلَمُ ما نُخْفِي وَمَا نُعْلن) [3]يعني من الحزن ، –

وقال :(رَبنَا[4]إنَي أسْكَنْتُ مِنْ ذُريتي بوَادٍ غَيْر ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتكَ المُحَرم رَبنَا لِيُقِيْمُوا

الصَّلَاةَ فَاجْعَل أفِئْدَةً مِنَ الناسِ تَهوِي إليهم)[1] الآية .

فلما ظمىء إسماعيل جعل يدحض الأرض برجله فانطلقت هاجر حتى صعدت

الصفا لتنظر هل ترى شيئاً فلم تر شيئاً فانحدرت إلى الوادي فسمعت حتى أتمت المروة فاستشرقت هل ترى شيئاً فلم تر شيئاً، ففعلت ذلك سبع مرار، فذلك م صل السعي ثم جاءت إسماعيل وهو يدحض الأرض بقدميه وقد نبعت العين وهي زمزم فجعلت تفحص الأرض بيدها عن الماء وكلما اجتمع أخذته وجعلته في سقائها قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم " يرحمها الله لو تركتها لكانت عَيْناً سائحة لما[2] .

وكانت جرهم بواد قريب من مكة ولزمت الطير الوادي حين رأت الماء فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادي قالوا : ما لزمته إلا وفيه ماء ، فجاؤوا إلى هاجر فقالوا : لو شئت لكنا معك فآنسناك والماء ماؤك ؟

قالت : نعم.

فكانوا معها حتى شب إسماعيل وماتت هاجر فتزوج إسماعيل امرأة من جرهم

فتعلم العربية منهم هو وأولاده فهم العرب المتعربة .

واستأذن إبراهيم سارة أنْ يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه أنْ لا ينزل فقدم وقد

ماتت هاجر فذهب إلى بيت إسماعيل فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت ليس ههنا ذهب يتصيد وكان اسماعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع .

قال إبراهيم : هل عندك ضيافة ؟ قالت ليس عندي ضيافة وما عندي أحد . فقال

إبراهيم : إذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له : فليغير عتبة بابه .

وعاد إبراهيم ، وجاء إسماعيل فوجد ريح أبيه فقال لامرأته : هل عندك أحد ؟

قالت : جاءني شيخ كذا وكذا كالمستخفة بشأنه ،، قال : فما قال لك ؟ قالت : قال :

اقرئي زوجك السلام وقولي له : فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى .

فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل فأذنت

له وشرطت عليه أن لا ينزل فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل ، فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ذهب ليتصيد وهو يجيء الآن إنْ شاء الله تعالى فانزل يرحمك الله فقال لها : فعندك ضيافة؟ قالت : نعم . قال : فهل عندك خبز أو بر أو شعير أو تمر؟ قال : فجاءت باللبن واللحم فدعا لهما بالبركة ولو جاءت يومئذ بخبز أو تمر أو بر أو شعير لكانت أكثر أرض الله من ذلك . فقالت : انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام بالإناء ، فوضعته عند شقه الأيمن ، فوضع قدمه عليه ، فبقي أثر قدمه فيه ، فغسلت شق رأسه الأيمن ، ثم حولت المقام إلى شقه الأيسر ، ففعلت به كذلك فقال لها : إذا جاء زوجك فاقرئيه عني السلام وقولي له : قد استقامت عتبة بابك ، فلما جاء اسماعيل وجد ريح أبيه ، فقال لامرأته : هل جاءك أحد؟ قالت : نعم : شيخ أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً فقال لي : كذا وكذا وقلت له : كذا وكذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدمه وهو يقرئك السلام ويقول : قد استقامت عتبة بابك قال : ذلك إبراهيم .

وقيل : إِن الذي أنبع الماء جبرائيل فإنه نزل إلى هاجر وهي تسعن في الوادي فسمعت حسه فقالت : قد اسمعتني فأغثني فقد هلكت أنا ومن معي فجاء بها إلى موضع زمزم ، فضرب بقدمه ، ففارت عيناً فتعجلت فجعلت تفرغ في شنها فقال لها لا تخافي الظمأ .

ذكر عمارة البيت الحرام بمكة

قيل : ثم أمر الله إبراهيم ببناء البيت الحرام فضاق بذلك ذرعاً فأرسل الله السكينة

وهي ريح خجوج وهي اللينة الهبوب لها رأسان ، فسار معها إبراهيم حتى انتهت إلى موضع البيت فتطوت عليه كتطوي الحجفة فأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة فبنى إبراهيم .

وقيل : أرسل الله مثل الغمامة له رأس فكلمه ، وقال : يا ابراهيم ، ابن على

ظلي أو على قَدْرِي ، لا تزد ولا تنقص ، فبنى .

وهذان القولان نقلا عن علي ،

وقال السدي : الذي دله على موضع البيت جبريل فسار إبراهيم إلى مكة فلما

وصلها وجد إسماعيل يصلح نبلاً له وراء زمزم فقال له : يا إسماِعيل ، إن الله قد أمرني أن ابني له بيتاً . قال اسماعيل : فأطع ربك ؟ فقال ابراهيم : قد أمرك أن تعينني على بنائه . قال : إذن أفعل. فقام معه فجعل إبراهيم يبنيه لإسماعيل يناوله الحجارة . ، ثم قال إبراهيم لاسماعيل : ائتني بحجر حَسَن أضعه –.جملى الركن فيكون للناس علماً.

فناداه أبو قبيس : إن لك عندي وديعة وقيل : بل جبريل أخبره بالحجر الأسود

فأخذه ووضعه موضعه وكان كلما بنيا دعوا الله ﴿رَبنَا تَقَبلْ مِنا، إنَّك أنْمتَ السمْيعُ

العَلِيمْ ﴾.[1]

فلما آرتفع البنيان وضعف الشيخ عن رفَع الحجارة،قام علن حجرٍ وهو مقام

إبراهيم فجعل يناوله ، فلما فرغ من بناء البيت أمره الله أن يؤذن في الناس بالحج ، فقال إبراهيم : يا رب ؟ وما يبلغ صوتي ؟ قال : أذن وعلي البلاغ ، فنادى : " أيها الناس ! إن الله قد كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فسمعه ما بين السماء والأرض وما في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فأجابه من آمن ممن سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة فأجيب لبيك لبيك .

ثم خرج بإسماعيل معه إلى التزوية فنزل به منى وبن معه من المسلمين فصلى

بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ثم بات حتى أصبح فصلى بهم الفجر ،ثم سار إلى عرفة فقام بهم هناك حتى إذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ، ثم راح بهم إلى الموقف مِنْ عرفة الذي يقف عبيه الإمام ، فوقف به علن الأراك ، فلما غربت الشمس دفع به ومن معه حتى أتى المزدلفة ، فجمع بها الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة ، ثم بات بها ومن معه حتى إذا طلع الفجر صلى الغداة ، ثم وقف على قزح حتى إذا أسفر دفع به وبمن معه يريه ويعلمه كيف يصنع حتى رمى الجمرة وأراه المنحر ، ثم نحر وحلق وأراه كيف يطوف ، ثم عادبه إلى منى ليريه كيف م رمى الجمار حتى فرغ من الحج وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبرائيل هو الذي أرى إبراهيم

كيف يحج ورواه عنه ابن عمر ولم يزل البيت على ما بناه إبراهيم عليه السلام إلى أن هدمته قريش سنة خمس وثلاثين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر قصة الذبح

[من هو الذبيح]

واختلف السلف من المسلمين في الذبيح فقال بعضهم : هو اسماعيل ، وقال –

بعضهم : هو إسحاق وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كلا القولين ، ولو كان فيهما صحيح لم لا نَعْدُة إلى غيره .

فأما الحديث في أن الذبيح إسحاق فقد روى الأحنف عن العباس بن عبد في اسلب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث ذكر فيه (وفديناه بذبح عظيم)[1] هو إسحاق وقد

روي هذا الحديث عن العباس من قوله لم يرفعه ، وأما الحديث الأخر في أن الذبيح اسماعيل فقد روى الصنابحي قال ِ: كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح فقال : على الخبير سقطتم كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال : يا رسول الله عد علي مما أفاء الله عليك يا بن الذبيحين فضحك صلى الله عليه وسلم فقيل لمعاوية : وما الذبيحان ؟ فقال : إن عبد المطلب نذر ان سهل الله حفر زمزم أن يذبح أولاده ، فخرج السهم على عبدالله أبي النبي صلى الله عليه وسلم ففداه بمائة بعير– وسنذكره إن شاء الله – والذبيح الثاني اسماعيل

ذكر من قال إنّه إسحاق

ذهب عمر بن الخطاب ، وعلي ، والعباس بن عبد الطلب ، وابنه عبدالله رضي

الله عنهم فيما رواه عنه عكرمة ، وعبدالله بن مسعود ، وكعب ، وابن سابط ، وابن أبي الهذيل ، ومسروق إلى أنّ الذَّبِيْح إسحاق عليه السلام

حَدَّث عَمْرو بن أبي سفيان بن أبي أسِيْد بن جارية الثقفي أن كعياً قال لأبي

هريرة : ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم ؟ قال : بلى . قال كعب : لما رأى إبراهيم " ذبح إسحاق قال الشيطان : والله لئن لم أفْتِنْ عند هذا آل إبراهيم لم أفتن أحداً منهم بعد ذلك أبداً فتمثل رجلًا يعرفونه فأقبل حتى إذا خرج إبراهيم بإسحاق ليذبَحَه دخل على سَارَة امرأة إبراهيم فقال لها : أين أصبح إبراهيم ،غادياً بإسحاق ؟ قالت : لبعض حاجته ، قال :لا والله إنما غدا به ليذبَحَه . قالت سارة : لم يكن ليذبح ولده . قال

الشيطان : بلى والله لأنه زعم أن الله قد أمره بذلك . قالت سارة لم : فهذا أحسن بأن يطيع ربه ، ثم خرج الشيطان فأدرك إسحاق وهو مع أبيه فقال له : إن إبراهيم يريد أنْ يذبحك . قال إسحاق : ما كان ليفعل . قال : بلى والله إنه زعم أن ربه أمره بذلك. قال إسحاق . فوالله لئن أمره ربه بذلك ليطيعنه .

فتركه ولَحِقَ إبراهيم فقال : أين أصبحت غادياً بابنك ؟–قال : لبعض حاجتي .

قال :لا والله إنما تريد ذبحه . قال : ولتم ؟قال : لانك زعمت أن الله أمرك بذلك . قال إبراهيم : فوالله إنْ كان الله أمر في بذلك لأفعلن ، فلما أخذ إبراهيِم إسحاق ليذبحه أعفاه الله من ذلك وفداه بذِبْحٍ عظيم .

وأوحى الله إلى إسحاق :إني معطيك دعوةً أستجيب لك فيها . قال إسحاق :

" اللهم فأيما عبد لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئاً فأدخله الجنة " . وقال عبيد بن عمير قال موسى : يا رب ! يقولون : يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ! فبم نالوا ذلك ؟ قال : إن إِبراهيم لم يعدل بي شيئاً قط إلّا آختارني ، لأن إسحاق جَادَ لي بالذبح وهو بغير ذلك أجود ، وإن يعقوب كلما زِدتُهُ بلاءً زادني حُسْنَ ظن بي .

[الغر يب]

(أسِيْد) بفتح الهمزة وكسر السين . (وجارية) بالجيم .

ذكر مَنْ قال إنّ الذبيح إسماعيل عليه السلام

روى سعيد بن جبير ، ويرسف بن مهران ، والشعبي ، ومجاهد ، وعطاء بن أبي

رباح كلهم عن ابن عباس أنه قال : إنَّ الذبيح اسماعيل ، وقال : زعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود ، وقال أبو الطفيل والشعبي ومجاهد والحسن ومحمد بن كعب القرظي : إنه إسماعيل . قال الشعبي : رأيت قرني الكبش في الكعبة . قال محمد بن كعب : إن الذي أمر الله إبراهيم بذبحه من ابنيه إسماعيل وإنا لنجد ذلك في كتاب الله في قصة الخبر عن إبراهيم وما أمر به من ذبحه ابنه انه إسماعيل ، وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم قال : (وَبَشرْنَاه بإسْحَاق نَبِتاً مِنَ

الصالِحِيْن) وبقول : (وَبَشرْنَاه بِإسْحَاق نَبِياً وَمِنْ وَرَاء إسحاق يَعْقُوب)[1] بإبن وابن ابن فلم يكن يأمره بذبح إسحاق وله فيه من اللّه عز وجل ما وعده وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل . فذكر ذلك محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة فقال : " إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه ، وإني لأراه كما قلت " .

ذكر السبب الذي مِنْ أجله أمِرَ إبراهيم بالذبح وصفة الذبح

قيل : أمر الله إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه فيما ذكر أنه دعا الله أنَّ يَهَبَ له ولداً لا ذكراً صالحاً فقال : رب هب لي من الصالحين ، فلما بشرته الملائكة بغلام حليم قال : إذن هو لله ذبيح ، فلما ولد الغلام وبلغ معه السعيَ قيل له ، أوف نذرك الذي نذرت .

وهذا على قول من زعم أنّ الذبيح إسحاق وقائل هذا يزعم : أن ذلك كان بالشام

علن ميلين من أيليِا .

وأما من زعم أنه إسماعيل فيقول إن ذلك كان بمكة .

قال محمد بن إسحاق : إن إبراهيم قال لابنه حين أمر بذبحه : يا بني ! خذ الحبل

والمدية ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب لاهلك فلما توجه اعترضه ابليس ليصده عن ذلك ، فقال : إليك عني يا عدو الله فوالله لأمضين لأمر الله .

فاعترض اسماعيل فأعلمه ما يريد ابراهيم يصنع به ، فقال : سمعاً لأمر ربي

وطاعة.

فذهب إلى هاجر، فأعلمها فقالت : إنْ كان ربه أمره بذلك فتسليماً لأمر
الله .
فرجع بغيظه لم يصب منهم شيئاً.
فلما خلا إبراهيم بالشعب وهو شعب ثبير قال له : يا بني ! إني أرى في المنام
أنّي أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا أبَت ! افعل ما تؤمر ستجدني إنْ شاء الله من الصابرين .

ثم قال له : يا أبت إنْ أردت ذبحي فاشدد رباطي لا يصيبك من دمي شيء ،

فينتقص أجري ، فإن الموت شديد ، وأشحذ شفرتك حتى تريحني فإذا اضجعتني فكبني على وجهي ، فإني أخشى ان نظرت في وجهي أنك تدركك رحمة فتحول بينك وبين أمر الله ، وإن رأيت أن ترد قميصي إلى هاجر أمي فعسى أن يكون أسلى لها عني فافعل ، فقال إبراهيم : نعم المعين أنت أي بني غلى أمر الله فربطه كما أمره ، ثم حد شفرته وتله للجبين ، ثم أدخل الشفرة لحلقه ، فقلبها الله لقفاها، ثم اجتذبها إليه ليفرغ منه ، فنودي أن : يا إبراهيم ! لقد صدقت الرؤيا هذه ذبيحتك فداء لإبنك فاذبحها ، وقيل : جعل الله على حلقه صفيحة نحاس . قال ابن عباس : خرج عليه كبش من الجنة قد رعى فيها أربعين خريفاً ، وقيل : هو الكبش الذي قربه هابيل ، وقال علي عليه السلام : كان كبشاً أقرن أعين أبيض ، وقال الحسن : ما فدى إسماعيل إلا بتيس من الأروى هبط عليه من ثبير فذبحه قيل : بالمقام وقيل : بمنى في المنحر.

ذكر ما امتحن اللّه به ابراهيم عليه السلام

بعد ابتلاء الله تعالى إبراهيم بما كان من نمروذ وذبح ولده بعد رجاء نفعه

ابتلاه الله بالكلمات التي أخبر انه ابتلاه بهن فقال تعالى : (واذا ابتلى إبراهيم ربه بكمات فأتمهن)[1] واختلف السلف من العلماء الأئمة في هذه الكلمات ، فقال ابن عباس من رواية عكرمة عنه في قوله تعالى : (وإذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن)[2] لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم وقال الله : (وإبراهيم الذي وفى)[3] قال : والكلمات عشر في براءة وهي (العابدون

الحامدون)[4] الآية ، وعشر في الأحزاب وهي (ان المسلمين والمسلمات)[5] الآية ، وعشر في المؤمنين من أولها إلى قوله تعالى : (والذين هم على صلاتهم يحافظون)[6] وقال آخرون : هي

عشر خصال قال ابن عباس من رواية طاوس وغيره عنه : الكلمات عشر وهي خمس في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس ؛ وخمس في الجسد وهي تقليم الأظفار وحلق العانة والختان ونتف الأبط وغسل أثر الغائط . وقال آخرون : قي مناسك الحج وقوله تعالى : (إني جاعلك للناس إماماً)[1] وهو قول أبي صالح ومجاهد . وقال آخرون هي ست وهي الكواكب والقمر والشمس والنار أ والهجرة والختان وذبح ابنه وهو قول الحسن قال : ابتلاه بذلك فعرف أن ربه دائم لا يزول فوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض وهاجر من وطنه وأراد ذبح ابنه وختن نفسه ، وقيل غير ذلك مما لا حاجة اليه في التاريخ المختصر وإنما ذكرنا هذا القدر لئلا يخلو من فصول الكتاب .

ذكر عدو اللّه نمروذ وهلاكه

ونرجع الآن إلى خبر عدو الله نمروذ وما آل اليه أمره في دنياه وتمرده على الله

تعالى واملاء الله له وكان أول جبار في الأرض ، وكان إحراقه ابراهيم ما قدمنا ذكره فأخرج ابراهيم عليه السلام من مدينته ، وحلف أنه يطلب إله إبراهيم ، فاخذ أربعة أفرخ نسور ، فرباهن باللحمٍ والخمر حتى كبرن وغلظن ، فقرنهن بتابوت ، وقعد في ذلك التابوت فاخذ معه رجلا ومعه لحم لهن ، فطرن به حتى إذا ذهبن ، أشرف ينظر إلى الأرض ، فرأى الجبال تدب كالنمل ، ثم رفع لهن اللحم ونظر إلى الأرض فرآها يحيط بها بحر كأنها فلك في ماء ، ثم رفع طويلاً فوقع في ظلمة فلم يرما فوقه وما تحته ففزع وألقى اللحم فاتبعته النسور منقضات ، فلما نظرت الجبال إليهن وقد أقبلن منقضات وسمعن حفيفهن فزعت الجبال وكادت

تزول ولم يفعلن ، وذلك قول الله تعالى :) وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُم لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ) [2]وكان طيرانهن من بيت المقدس ووقوعهن في جبل الدخان ، فلما رأى أنه لا يطيق شيئاً أخذ في بنيان الصرح فبناه حتى علا وارتقى فوقه ينظر إلى إله إبراهيم بزعمه وأحدث ولم يكن يحدث وأخذ الله بنيانهم من القواعد من أساس الصرح فسقط وتبلبلت الألسن يومئذ من الفزع ، فتكلموا بثلاثة وسبعين لساناً وكان لسان الناس قبل ذلك سريانياً[3].

هكذا روي أنه لم يحدث وهذا ليس بشيء فان الطبع البشري لم يخل منه إنسان

حتى الأنبياء صلوات الله عليهم وهم أكثر اتصالاً بالعالم العلوي وأشرف أنفساً ومع هذا فيأكلون ويشربون ويبولون ويتغوطون . فلو نجا منه أحد لكان الأنبياء أولى لشرفهم وقربهم من الله تعالى . وإن كان لكثرة ملكه فالصحيح أنه لم يملك مستقلاً ولو ملك مستقلاً لكان الاسكندر أكثر ملكاً منه ومع هذا فلم يقل فيه شيِء من هذا .

قال زيد بن أسلم : إن الله تعالى بعث إلى نمروذ بعد إبراهيم ملكاً يدعوه إلى الله

أربع مرات فأبى وقال : أرب غيري ؟ فقال له الملك : اجمع جموعك إلى ثلاثة ايام فجمع جموعه ، ففتح الله عليه باباً من البعوض ، فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها ، فبعثها الله عليهم ، فاكلتهم ولم يبق منهم الا العظام والملك كما هو لم يصبه شيء ، فأرسل الله عليه بعوضة ، فدخلت في منخره ، فمكث يضرب رأسه بالمطارق فأرحم الناس به من يجمع يديه ويضرب بهما رأسه ، وكان ملكه ذلك أربعمائة سنة وأماته الله تعالى وهو الذي بنى الصرح.

وقال جماعة : إن نمروذ بن كنعان ملك مشرق الأرض ومغربها وهذا قول يدفعه

أهل العلم بالسير وأخبار الملوك وذلك أنهم لا ينكرون أن مولد إبراهيم كان أيام الضحاك الذي ذكرنا بعض أخباره فيما مضى وأنه كان ملك شرق الأرض وغربها [1] وقول القائل : إن الضحاك الذي ملك الأرض هو نمروذ ليس بصحيح لأن أهل العلم بالمتقدمين

يذكرون أنّ نَسَب نمروذ في النبط معروف ، ونسب الضحاك في الفرس مشهور ، وإنما الضحاك استعمل نمروذ على السَّوَاد وما اتصل به يمنة ويسرة وجعله وولده عمالاً على ذلك وكان هو ينتقل في البلاد، وكان وطنه ووطن أجداده دنباوند من جبال طبرستان وهناك رمى به افريدون حين ظفريه .

وكذلك بختنصر ذكر بعضهم أنه ملك الأرض جميعها وليس كذلك وإنما كان

اصبهبذ[1] ما بين الأهواز إلى أرض الروم من غربي دجلة من قبل لهراسب لأن لهراسب كان مشتغلاً بقتال الترك مقيماً بازائهم ببَلخ [2] وهو بناها لما تطاول مقامه هناك لحرب الترك ، ولم يملك أحد من النبط شبرا من الأرض مستقلًا برأسه فكيف الأرض جميعها ؟ ! وإنما تطاولت مدة نمروذ بالسواد، فمكث اربعمائة سنة ، ثم دخل من نسله بعد هلاكه جيل يقال له نبط بن قعون ملك بعده مائة سنة ، ثم كداوص بن نبط ثمانين سنة ، ثم بالش بن كداوص مائة وعشرين سنة ، ثم نمروذ بن بالش سنة وشهراً فذلك سبعمائة سنة وسنة ، وشهد أيام الضحاك ، وظن الناس في نمروذ ماذ كرناه فلما ملك افريدون وقهر الازدهاق قتل نمروذ بن بالش وشرد النبط وقتل فيهم مقتلة عظيمة[3] .

ذكر قصة قوم لوط

قد ذكرنا مهاجر لوط مع إبراهيم عليه السلام إلى مصر وعَوْدِهم إلى الشام ومقام

لوط بسَدُوم فلما أقام بها أرسله الله إلى أهلها ، وكانوا أهل كفر بالله تعالى وركوب فاحشة كما قال تعالى : (لَتَأتُونَ الفَاحِشَةَ مَاسَبَقَكُم بِهَا مِنْ أحَدٍ مِنَ العَالَمِيْن * أئِنَكُم لَتَأتُونَ الزجَالَ وتَقْطَعُونَ السبِيْلَ وَتَأتُونَ في نَادِيكُم المُنكَر)[1] فكان قطعهم السبيل أنهم. كانوا يأخذون المسافر إذا مرّ بهم ويعملون به ذلك العمل الخبيث وهو اللواطة ، وأما إتيانهم المنكر في ناديهم فقيل : كانوا يحذفون مَنْ مَر بهم ويسخرون منهم ، وقيل : كانوا يتضارطون في مجالسهم ، وقيل : كان يأتي بعضهم بعضاً في مجالسهم ، وكان لوط يدعوهم إلى عبادة الله ، وينهاهم عن الأمور التي يكرهها الله منهم من قطع السبيل وركوب الفواحش وإتيان الذكور في الأدبار ، ويتوعدهم علن إصرارهم وتَرْك لا التوبة بالعذاب الأليم ، فلا يزجرهم ذلك ، ولا يزيدهم وَعْظُه إلا تمادياً واستعجالاً لعقاب الله انكاراً منهم لوعيده ، ويقولون له : ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين حتى سأل لوط ربه النصرة عليهم فلما تطاول عليه أمرهم وتماديهم في غيهم .

فبعث الله – لما أراد هلاكهم ونصر رسوله – جبرائيل وملكين آخرين معه أحدهما

ميكائيل والآخر إسرافيل فاقبلوا – فيما ذُكِرَ – مشاة في صورة رجال ، وأمرهم أن يبدأوا بإبراهيم وسَارَة ويبشروه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب .

فلما نزلوا علن إبراهيم وكان الضيف قد أبطأ عنه خمسة عشر يوماً حتّى شقَّ ذلك

عليه – وكان يضيف من نزل به وقد وسع الله عليه الرزق – فرح بهم ورأى ضيفاً لم ير مثلهم حُسْناً وجَمَالاً ، فقال لا يخدم هؤلاء القوم أحذ إلا أنا بيدي ، فخرج إلى أهله

فجاء بعجل سمين قد حَنَذَه أي أنضجه ، فَقَربه إليهم ، فأمسكوا أيديهم عنه (فَلَمَّا
رأى أيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إلَيْه نَكِرَهُمْ وَأوْجَسَ مِنْهُم خِيْفَةً قَالُوا : لَا تَخَفْ إنَّا أرْسِلْنَا إلَى قَوْم لُوطٍ وآمْراتهُ) سارة (قائمة فَضَحِكَتْ) لما عرفت من أمر الله ولما تعلم من قوم لوط (فَبَشرْنَاهَا بإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاء إسحاق يَعْقُوب) فـ (قالت) وصكت وجهها ([يا وَيْلَتَى] أ أَلِدُ وأنا عَجُوزٌ)إلى قوله ﴿حَمِيْد مَجِيْد﴾[1] وكانت ابنة تسعين سنة وإبراهيم ابن عشرين ومائة .

فلما ذهب عن إبراهيم الرَوْعُ وجاءته البشرى ذهب يجادل جبرائيل في قوم لوط

فقال له : أرأيت إنْ كان فيهم خمسون من المسلمين ؟ قالوا : وإنْ كان فيهم خمسون من المسلمين لم يعذبهم . قال : وأربعون ؟ قالوا : وأربعون . قال : وثلاثون حتى بلغ أ عشرة . قالوا : لإنْ كان فيهم عشرة . قال :ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير . ثم ني قال : (إِنَّ فِيْهَا لُوطاً قالوا نَحْنُ أعْلَمُ بِمَنْ فِيْهَا لنُنَجِّيَنهُ وأهْلَهُ إلَاّ آمْرَأته كَانَتْ مِن الغَابِرِيْن)[2] .

ثم مضت الملائكة نحو سَدُوم قرية لوط فلما انتهوا إليها لقوا لوطاً في أرض له يعمل فيها- وقد قال الله تعالى لهم لا تهلكوهم حتى تُشْهِدوا عليهم لوطاً أربع شهادات - فأتوه فقالوا : أنّا مضيفوك الليلة ، فانطَلَق بهم فلما مشى ساعة [لتفت إليهم فقال لهم : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ والله ما أعلم على ظهر الأرض إنسانا أخبث منهم حتى قال ذلك أربع مرات .

وقيل : بل لقوا ابنته فقالوا : يا جارية ، هل من منزل ؟ قالت : نعم مكانكم لا

تدخلوا حَتَى آتيكم – خافت عليهم من قومها ، فأتتْ أباها فقالت : يا أبتاه أدْرِك فِتْيَاناً على باب المدينة ما رأيت أصْبَحَ وُجُوهاً منهم لئلا يأخذهم قومك فيفضحوهم ، وكان قومه قد نَهوه أنْ يضيف رجلًا، فجاء بهم فلم يعلم إلا أهل بيت لوط ، فخرجت امرأته فأخبرتْ قومها وقالت لهم : قد نزل بنا قوم ما رأيت أحسن وجوهاً منهم ولا أطيب رائحة؛ فجاءه قومه يُهْرَعُون اليه ، فقال : يا قوم ! اتقوا الله ولا تخزوني في ضَيْفِي أليس منكم رجل رشيد؟ فنهاهم ورغبهم .

وقال :هَؤلَاء بَنَاتي هُنَ أطْهَرُ لَكُم مما تريدون . قالوا :لَقَد عَلِمْتَ مَالَنَا فِي
بَنَاتك مِنْ حَقٍّ ، وَإنكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيْدُ أولم ننهك عن العالمين ؟ فلما لم يقبلوا منه قال : لو أن لي بكم قوة أو آوي إلن ركن شديد – يعني لو أن لي أنصاراً أو عشيرة يمنعوني منك . فلما قال ذلك وجد عليه الرسل فقالوا : إن ركنك لشديد ولم يبعث الله نبياً إلا في ثروة من قومه ومنعة من عشيرته . وأغلق لوط الباب فعالجوه ، وفتح لوط الباب فدخلوا واستأذن جبرائيل ربه في عقوبتهم فأذن له فبسط جناحه ، ففقأ أعينهم وخرجوا يدوس بعضهم بعضاً عمياناً يقولون : النجاء النجاء فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض . وقالوا للوط : إنّا رُسُلُ رَبَكَ لَن يَّصِلُوا إليْكَ فَاَسْرِ بِأهْلِكَ بِقِطْعٍ من اللَيْلِ واتَّبع أدْبَارَهُم وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُم أحَد وَامْضُوا حَيْثُ تؤمَرُون .

فاخرجهم الله إلى الشام وقال لوط : أهلكوهم الساعة . فقالوا: لن نؤمر إلا بالصبح أليس الصبح بقريب ؟

فلما كان الصبح أدخل جبرائيل – وقيل ميكائيل – جناحه في أرضهم وقراهم
الخمس . فرفعها حتى سمع أهل السماء صياح ديكتهم ونباح كلابهم ، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها ، وأمطر عليهم حجارة من سِجَيْل ، فأهلكتْ من لم يكن بالقرى ،وسمعت امرأة لوط الهدة فقالت : واقوماه ! فأدركها حجر فقتلها ونجى الله لوطاً وأهله إلا امرأته وذكر أنه كان فيها أربعمائة ألف ، وكان إبراهيم يتشرف عليها ويقول : سدوم يوماً هالك .

ومدائن قوم لوط خمس : سدوم وصبعة وعمرة ودوما وصعوة ، وسدوم هي القرى العظمى .

[الغريب]

)قوله يُهْرَعُون إليه):هو مَشْيٌ بين الهَرْوَلة والجمز[1].

ذكر وفاة سارة زوج إبراهيم عليه السلام وذكر أولاده وأزواجه

لا يدفع أحد من أهل العلم أن سارة توفيت بالشام ولها مائة وسبع وعشرون سنة

وقيل : إنها كانت بقرية الجبابرة من أرض كنعان ، وقيل : عاشت هاجر بعد سارة مدة والصحيح أنّ هاجر توفيت قبل سارة كما ذكرنا في مسير إبراهيم إلى مكة وهو الصحيح إن شاء الله تعالى .

فلما ماتت سارة تزوج بعدها تطورا ابنة يقطن امرأة من الكنعانيين فولدتْ له ستة

نفر : يقشان ، وزمران ، ومدين ، ومدان ، ونشق ، وسوح [1] وكان جميع أولاد

إبراهيم مع إسماعيل لإسحاق ثمانية نفر وكان إسماعيل بكره .

وقيل في عدد أولاده غير ذلك ، فالبربر من ولد يقشان ، وأهل مدين قوم شعيب من ولد مدين ، وقيل : تزوج بعد قطورا امرأة أخرى اسمها حجون ابنة أهير .

ذكر وفاة ابراهيم وعدد ما أنزل عليه

قيل : لما أراد الله قبض روح إبراهيم أرسل إليه ملك الموت في صورة شيخ

هرم ، فرآه إبراهيم وهو يطعم الناس وهو شيخ كبير في الحر فبعث إليه بحمار فركبه حتى أتاه فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فاه فيدخلها في عينه وأذنه ثم يدخلها فاه فإذا دخلت جوفه خرجت من دبره ،وكان إبراهيم سأل ربه أن لا يقبض روحه ، حتى يكون هو الذي يسأله الموت ، فقال : يا شيخ مَا لَكَ تصنعُ هذا؟ قال : يا إبراهيم الكِبَر . قال : ابن كم أنت ؟ فزاد على عمر ابراهيم سنتين ، فقال ابراهيم : إنما بيني وبين أنْ أصير هكذا سنتان اللهم اقبضني اليك ، فقام الشيخ وقبض روحه ومات وهو ابن مائتي سنة . وقيل : مائة وخمس وسبعين سنة .

وهذا عندي فيه نظر لان إبراهيم لا يخلو أن يكون قد رأى من هو أكبر منه بسنتين أو أكثر من ذلك فإنَ مَنْ عاش مائتي سنة كيف لا يرى مَنْ هو أكبر منه بهذا القدر – القريب . ولكن هكذا رُوِيَ . ثم إنه قد بلغه عُمر نوح ولم يصبه شيء مما رأى بذلك الرجل .

[صحف إبراهيم]

وروى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " وأنزل الله على ابراهيم عشر صحائف ،قال : قلت : يا رسول الله ! فما كانت صحف ابراهيم ؟ قال : كانت أمثالاً كلها–أيها

الملك المسلط المبتلي المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض ، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلومٍ فإني لا أردها ولو كانت من كافر، ، وكان فيها أمثال منها : وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات : ساعة يناجي فيها ربه . وساعة يفكر فيها في صنع الله ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال في المطعم والمشرب ، وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاده أو مرمة لمعاشه أو لذة في غير محرم ، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شانه حافظاً للسانه ، فى من حسب كلامه من عمله قل إلا فيما يعنيه .

وهو أول من اختتن ، وأول من أضاف الضيف ، وأول من اتخذ السراويل إلى

غير ذلك من الأقاويل .

ذكر خبر ولد إسماعيل بن إبراهيم

قد ذكرنا فيما مضي سبب إسكان اسماعيل الحرم وتزوجه امرأة من جرهم وفراقه لا إياها بأمر ابراهيم ، ثم تزوج أخرى وهي السيدة بنت مضاض الجرهمي وهي التي قال لها : قولي لزوجك : قد رضيت عتبة بابك فولدت لاسماعيل اثني عشر رجلًا نابت وقيذار ، واذيل ، وميشا ، ومسمع ، ورما ، وماش . وآزر . وقطورا . وفاقس. وطميا . وقيدمان ، وكان عمر إسماعيل فيما يزعمون سبعاً وثلاثون ومائة سنة : ومن نابت وقيذار بني اسماعيل نشر الله العرب .

وأرسله الله تعالى إلى العماليق وقبائل اليمن وقد ينطق أولاد إسماعيل بغير

الألفاظ التي ذكرت.

ولما حضرت اسماعيل الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق أنْ يزوج ابنته من .

العيص بن إسحاق ومن يدفن عند قبر م مه هاجر بالحجر.

ذكر إسحاق بن إبراهيم وأولاده

قيل : ونكح إسحاق رفقا بنت بتويل فولدت له عيص ويعقوب توأمين وان عيص

كان أكبرهما وكان عمر إسحاق لما ولد له ستين سنة؛ ثم نكح عيص بن إسحاق نسمة بنت عمه اسماعيل فولدت له الروم بن عيص وكل بني الأصفر من ولده ، وزعم بعض الناس أن اشبان من ولده ؛ ونكح يعقوب بن إسحاق – وهو إسرائيل – ابنة خاله ليا بنت

لبان بن بتويل فولدت له روبيل وكان أكبر ولده وشمعون ولاوي ويهوذا وزبالون ولشحر ، وقيل ، ويشحر ، ثم توفيت ليا فتزوج اختها راحيل؛ فولدت له يوسف وبنيامين وهو بالعربية شداد وولد له من سريتين أربعة نفر دان وتفتالي وجاد وأشر فكان ليعقوب اثنا عشر رجلًا .

قال السري تزوج إسحاق بجارية فحملت بغلامين فلما أرادت أن تضع أراد

يعقوب أن يخرج قبل عيص ، فقال عيص والله لئن خرجت قبلي لأعترضن في بطن أمي م ولأقتلنها فتأخر يعقوب وخرج عيص ، وأخذ يعقوب بعقب عيص ، فسمي يعقوب وسمي أخوه عيص لعصيانه ، وكان عيص أحبهما إلى أبيه ويعقوب أحبهما إلى أمه ، لأ وكان عيص صاحب صيد فقال له إسحاق لما كبر وعمي : يا بنف ! أطعمني لحم صيد واقترب مني أدع لك بدعاء دعا لي به أبي وكان عيص رجلًا أشعر ، وكان يعقوب أجرد وسمعت أمهما ذلك ، فقالت ليعقوب : يا بني ! اذبح شاة واشوها والبس جلدها وقربها إلى أبيك ، وقل له : أنا ابنك عيص ففعل ذلك يعقوب فلما جاء قال : يا أبتاه ! كل قال : من أنت ؟ قال أنا أبنك عيص فمسحه إسحاق فقال : المس مس عيص والريح ريح ، يعقوب فقالت أمه :إنه عيص فكل فأكل ودعا له أن يجعل الله في ذريته الأنبياء والملوك ، لم وقام يعقوب وجاء عيص وكان في الصيد، فقال لأبيه : قد جئتك بالصيد الذي طلبت ،

فقالى يا بني ! قد سبقك أخوك فحلف عيص ليقتلن يعقوب ، فقال يا بني قد بقيت لك دعوة فدعا له أن تكون ذريته عدد التراب وأن

لا يملكهم غيرهم وهرب يعقوب خوفاً من أخيه إلى خاله وكان يسري بالليل ويكمن بالنهار فلذلك سمي اسرائيل [1] .

ثم ان يعقوب تزوج ابنتي خاله وجمع بينهما فلذلك قال الله تعالى : (وأن

تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف)[2] وولد له منهما ، فماتت راحيل في نفاسها ببنيامين وأراد يعقوب الرجوع إلى بيت المقدس ، فاعطاه خاله قطيع غنم ، فلما ارتحلوا لم يكن لهم نفقة؛ فقالت زوجة يعقوب ليوسف : اسرق صنماً من أصنام

أبي نستنفق منه فسرق صنماً من أصنام أبيها وأحب يعقوب يوسف وأخاه

بنيامين حباً شديداً ليتمهما ، وقال يعقوب لراع من الرعاة : إِذا أتاكم أحد يسألكم من أنتم ؟ فقولوا : نحن ليعقوب عبد عيص فلقيهم عيص فسألهم ، فأجابه الراعي بذلك الجواب فكف عيص عن يعقوب ونزل يعقوب بالشام .

ومات إسحاق بالشام وعمره مائة وستون سنة ودفن عند أبيه إبراهيم عليه السلام .

قصة أيوب عليه السلام

وهو رجل مون الروم من ولد عيص وهو أيوب بن موص بن رازج بن عيص بن
إسحاق بن إبراهيم ، وقيل موص بن روعيل بن عيص ، وكانت زوجته التي أمر أن ! يضربها بالضغث ليا ابنة يعقوب بن إسحاق ، وقيل : هي رحمة ابنة افرايم بن يوسف ،وكانت أمه من ولد لوط ، وكان دينه التوحيد والإصلاح بين الناس ، وإذا أراد حاجة سجد ثم طلبها .

وكان من حديثه وسبب بلائه أن إبليس سمع تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب حين ذكره الله ، فحسده وسأل الله أن يسلطه عليه ليفتنه عن دينه ، فسلطه على ماله حسب ، فجمع إبليس عظماء أصحابه من العفاريت ، وكان لأيوب البثنية
جميعها من أعمال دمشق بما فيها وكان له فيها ألف شاة برعاتها وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ، ويحمل آلة الفدان أتان . ولكل أتان ولد لإثنان وما فوق ذلك . فلما جمعهم إبليس قال : ما عندكم من القوة والمعرفة ؟ فإني قد تسلطت على مال أيوب ، فقال كل منهم قولاً ، فارسلهم فاهلكوا ماله كله وأيوب يحمد الله ولا يرجع عن الجد في عبادته والشكر له على ما أعطاه والصبر على ما ابتلاه ،فلما رأى ذلك إبليس من أمره سأل الله ان يسلطه على ولده فسلط ولم يجعل له سلطاناً على جسده ولا عقله وقلبه فاهلك ولده كلهم ، ثم جاء اليه متمثلاً بمعلمه الذي كان يعلمهم الحكمة جريحاً مشدوخاً يرققه حتى رق أيوب فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه فسر بذلك إبليس ، ثم إن أيوب ندم لذلك وجد واستغفر ، فصعدت

حفظته من الملائكة بتوبته إلى الله قبل ابليس ، فلما لم يرجع أيوب عن عبادة ربه والصبر على ما بلاه به سأل الله تعالى أد يسلطه على جسده فسلطه عليه خلا لسانه وقلبه وعقله فإنه لم يجعل له على ذلك سلطاناً فجاءه وهو ساجد ، فنفخ في منخره نفخة

اشتعل منها جسده وصار أمره إلى أن انثر لحمه وامتلأ جسده دوداً فإن كانت الدودة تسقط من جسده فيردها اليه ، ويقول : كلي من رزق الله وأصابه الجذام ، وكان أشد من ذلك عليه أنه كان يخرج في جسده مثل ثدي المرأة ثم يتفقأ وأنتن حتى لم يطق أحد أن يشم ريحه ، فأخرجه أهل القرية منها إلى الكناسة خارج القرية لا يقربه أحد إلا زوجته وكانت تختلف إليه بما يصلحه فبقي مطروحاً على الكناسة سبع سنين ما يسأل الله أن يكشف ما به وما على وجه الأرض أكرم على الله منه .

وقيل : كان سبب بلائه ان ارض الشام أجدبت فارسل فرعون إلى أيوب ان هلم

الينا فإن لك عندنا سعة ، فأقبل بأهله وخيله وماشيته فاقطعهم فرعون القطائع ، ثم إن شعيباً النبي دخل إلى فرعون ، فقال : يا فرعون ! أما تخاف أن يغضب الله غضبة فيغضب لغضبه أهل السماء وأهل الأرض والبحار والجبال ؟ وأيوب ساكت لا يتكلم؛ فلما خرجا أوحى الله إلى أيوب يا أيوب سكت عن فرعون لذهابك إلى أرضه استعد للبلاء ، فقال أيوب : أما كنت أكفل اليتيم وآوي الغريب وأشبع الجائع واكفت الأرملة ، فمرت سحابة يسمع فيها عشرة آلاف صوت من الصواعق يقولون : من فعل ذلك يا أيوب ! فاخذ تراباً فوضه على رأسه وقال : أنت يا رب فأوحى الله اليه استعد للبلاء قال : فديني قال : اسلمه لك قال : فما أبالي ، وقيل كان السبب غير ذلك وهو نحو ما ذكرناه .

فلما ابتلاه الله واشتد البلاء قالت امرأته : إنك رجل مجاب الدعوة فادع الله أن

يشفيك فقال : كنا في النعماء سبعين سنة فلنصبر في البلاء سبعين سنة والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة ، وقيل : إنما أقسم ليجلدنها لأن إبليس ظهر لها ، وقال : بم أصابكم ما أصابكم ؟ قالت : بقدر الله . قال : وهذا أيضاً بقدر الله فاتبعيني فاتبعته فأراها جميع ما ذهب منهم في واد وقال : اسجدي لي وأرد عليكم فقالت : إن لي زوجاً استأمره فلما أخبرت أيوب قال : ألم تعلمي أن ذلك الشيطان ؟ لئن شفيت لأجلدنك مائة جلدة وأبعدها ، وقال لها : طعامك وشرابك عليَّ حرام لا أذوق مما تأتينني به شيئاً ،فابعدي عني فلا أراك فذهبت عنه ، فلما رأى أيوب أن امرأته قد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجداً ، وقال : رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين كرر ذلك فقيل له : ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك هذا مغتسل .

بارد وشراب ورد الله اليه جسده وصورته . وأما امرأتَه فقالت : كيف أتركه وليس عنده أ أحد ، يموت جوعاً وتأكله السباع ؟ فرجعت اليه ، فرأت أيوب وقد عوفي فلم تعرفه لم فعجبت حيث لم تره على حاله ، فقالت له : با عبدالله ! هل رأيت ذلك الرجل المبتلي الذي كان ههنا؟ قال : وهل تعرفينه إذا رأيتيه ؟ قالت نعم . قال : هو أنا فعرفته ، وقيل : إنما قال مسني الضر لما وصل الدود إلى لسانه وقلبه وخاف أن يبطل عن ذكر الله تعالى والفكر . ورد الله اليه أهله ومثلهم معهم ، قيل هم باعيانهم ، وقيل : رد الله اليه امرأته ورد ،اليها شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكراً وأنزل الله اليه ملكاً فقال : يا أيوب ! إن الله يقرئك السلام لصبرك على البلاء اخرج إلى أندرك فخرج اليه فبعث الله سحابة فألقت عليه جراداً من ذهب وكانت الجرادة تذهب فيتبعها حتى يردها في اندره . فقال الملك : أما تشبع من الداخل حتى تتبع الخارج ؟ فقال : إن هذه البركة من بركات ربي لست أشبع منها ، وعاش أيوب بعد أن رفع عنه البلاء سبعين سنة .

ولما عوفي أمره الله أن يأخذ عرجوناً من النخل فيه مائة شمراخ فيضرب به زوجته ليبرمن يمينه ففعل ذلك.

وقول أيوب (رَبِّ إنِّي مسنِيَ الضُرُ)[1] دعاء ليس بشكوى ودليله : قوله تعالى : (فاستجبنا له " وكان من دعاء أيوب أعوذ بالله من جار عينه تراني إن رأى

حسنة سترها وإن رأى سيئة ذكرها .

وقيل كان سبب دعائه انه قد اتبعه ثلاثة نفر على دينه اسم أحدهم بلدد والآخر

اليفز والثالث صافر فانطلقوا اليه وهو في البلاء فبكتوه أشد تبكيت ، وقالوا له : لقد اذنبت ذنباً ما أذنبه أحد فلهذا لم يكشف العذاب عنك وطال الجدال بينهم وبينه فقال فتى كان معهم لهم كلاماً يرد عليهم ، فقال : قد تركتم من القول أحسنه ومن الرأي أصوله ومن الأمر أجمله ، وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم ،فهل تدرون حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ؟ ومن الرجل الذي عبتم ؟ أم تعلموا – أن أيوب نبي الله وخيرته من خلقه يومكم هذا ؟ ثم لم تعلموا ولم يعلمكم الله أنه

سخط شيئاً من أمره ، ولا أنه نزع شيئاً من الكرامة التي أكرم الله بها عباده ، ولا أن أيوب فعل غير الحق في طول ما صحبتموه ، فإن كان البلاء هو الذي ازرى به عندكم ووضعه في نفوسكم وقد علمتم ان الله يبتلي النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولشر بلاؤه لأولئك دليلًا على سخطه عليهم ولا على هوانهم عليه ولكنها كرامة وخيرة لهم وأطال في هذا النحو من الكلام . ثم قال لهم : وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يكل ألسنتكم ويكسر قلوبكم ويقطع حجتكم ألم تعلموا أن لله عباداً آسكتتهم خشيته عن الكلام من غير عي ولا بكم ؟ وانهم لهم الفصحاء الألباء العالمون بالله وآياته ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم وطاشت أحلامهم وعقولهم فزعاً من الله وهيبة له فإذا أفاقوا استبقوا إلى الله بالأعمال الزاكية يعدون أنفسهم مع الظالمين وانهم لا برار ، ومع المقصرين وانهم لأكياس أَلَقياء، ولكنهم لا يستكثرون لله عز وجل الكثير ولا يرضون له القليل ولا يدلون عليه بالأعمال فهم أينما لقيتهم خائفون مهيمون وجلون .

فلما سمع أيوب كلامه قال : إن الله يزرع الحكمة بالرحمة فيِ قلب الصغير والكبير فمتى كانت في القلب ظهرت على اللسان ولا تكون الحكمة من قبل السن

والشيبة ولا طول التجربة وإذا جعل الله تعالى عبداً حكيماً عند الصبا لم تسقط منزلته عند الحكام ثم أقبل على الثلاثة فقال : رهبتم قبل أن تسترهبوا وبكيتم قبل أن تضربوا لا كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عني بأموالكم لعل الله أن يخلصني ؟ أو قربوا قرباناً لعل ، الله أن يتقبل ويرضى عني ؟وأنكم قد أعجبتكم أنفسكم

فظننتم أنكم عوفيتمٍ بإحسانكم فبغيتم وتعززتم، لو صدقتم ونظرتم بينكم وبين ربكم لوجدتم لكم عيوبا سترها الله بالعافية وقد كنت فيما خلا والرجال يوقروننني وأنا مسموع كلامي معروف من حقي مستنصف من خصمي فأصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم ، فأنتم أشد علي من مصيبتي .

ثم أعرض عنهم وأقبل على ربه مستغيثاً به متضرعاً اليه . فقال : رب ! لأي شيء خلقتني ؟ ليتني إن كرهتني لم تخلقني ياليتني كنت حيضة ملقاة ، وياليتني عرفت الذنب الذي اذنبت فصرفت وجهك الكريم عني ، لو كنت امتني فالموت أجمل بي ؟ ! ألم أكن للغريب داراً ، وللمسكين قراراً ، ولليتيم ولياً ، وللأرملة قيماً؟ إلهي ! أنا عبد

ذليل ان أحسنت فالمن لك وإن أسأت فبيدك عقوبتي ؟ جعلتني للبلاء غرضاً فقد وقع عليّ البلاء لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي ؟ذهب المال فصرت أسأل بكفي فيطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة فيمنها علي ويعيرني . هلك أولادي ولو بقي أحدهم أعانني ، قد ملني أهلي وعقني أرحامي فتنكرت معارفي ، ورغب عني صديقي ؟ وجحدت حقوقي ، ونسيت صنائعي ، اصرخ فلا يصرخونني واعتذر فلا يعذرونني دعوت غلامي فلم يجبني ، وتضرعت إلى أمتي فلم ترحمني ، ! لإن قضاءك هو الذي آذاني واقمأنى ، لإن سلطانك هو الذي أسقمني ، فلو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم ملء فمي ، ثم كان ينبغي للعبد أن يحاج مولاه عن نفسه لرجوت أن تعافيني عند ذلك ولكنه القاني وعلا عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه ، لا نظر إلي فرحمني ، ولا دنا مني فأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي .

فلما قال أيوب ذلك أظلتهم غمامة ونودي منها يا أيوب إن الله يقول : قد دنوت

منك ولم أزل منك قريباً فقم فأدل بحجتك وتكلم ببراءتك وقم مقام جبار فإنه لا ينبغي أن يخاصمني إلا جبار، تجعل الزيار في فم الأسد واللجام في فم التنين وتكيل مكيالاً من النور وتزن مثقالاً من الريح وتصرصرة من الشمس وترداماس ، لقد منتك نفسك امراً لا تبلغه بمثل قوتك أردت أن تكابرني بضعفك ؟ أم تخاصمني بعيبك ؟ أم تحاجني بخطلك أين أنت مني يوم خلقت الأرض ؟ هل علمت بأي مقدار قدرتها ؟ أين كنت معي يوم رفعت السماء سقفاً في الهواء لا بعلائق ولا بدعائم تحملها ؟هل تبلغ حكمتك أن تجري

نورها أو تسير نجومها أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها ؟ وذكر أشياء من مصنوعات الله .

فقال أيوب : قصرت عن هذا الأمر ليت الأرض انشقت لي فذهبت فيها ولم

أتكلم بشيء يسخطك ! إلهي اجتمع على البلاء وأنا أعلم أن كل الذي ذكرت صنع

يديك وتدبير حكمتك لا يعجزك شيء ولا تخفى عليك خافية . تعلم ما تخفي

القلوب ، وقد عملت في بلائي ما لم أكن أعلمه ، كنت أسمع بسطوتك سمعاً ، فأما

الآن فهو نظر العين إنما تكلمت بما تكلمت به لتعذرني وسكت لترحمني ، وقد وضعت يدي على فمي ، وعضضت على لساني ، والصقت بالتراب خدي فدسست فيه وجهي

فلا أعود لشيء تكرهه ودعا.

فقال الله : يا أيوب نفذ فيك حكمي وسبقت رحمتي غضبك قد غفرت لك ورددت عليك اهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وعبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين ؟ فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء.، وقرب عن أصحابك قرباناً واستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك ، فركض برجله فانفجرت له عين ماء فاغتسل فيها ، فرفع الله عنه البلاء . ثم خرج فجلس وأقبلت امرأته فسألته عنه فقال هل تعرفينه ، قالت نعم مالي لا أعرفه ؟ فتبسم فعرفته بضحكه ، فاعتنقته ولم تفارقه من عناقه حتى مر بهما كل مال لهما وولد .

وإنما ذكرته قبل يوسف وقصته لما ذكر بعضهم من أمره وأنه كان نبياً في عهد يعقوب ؟ وذكر أن عمر أيوب كان ثلاثاً وتسعين سنة وأنه أوصى عند موته إلى ابنه حوصل ؛ وأن الله بعث بعده ابنه بشر بن أيوب نبياً وسماه ذا الكفل وكان مقيماً بالشام حق مات وكان عمره خمساً وسبعين سنة فأوصى إلى ابنه عيدان وإن الله بعث بعده شعيب بن صفيون بن عنقا بن نابت بن مدين بن إبراهيم عليه السلام.

ذكر قصة يوسف عليه السلام [1]

ذكروا أن إسحاق توفي وعمره ستون ومائة سنة ، وقبره عند أبيه إبراهيم قبره ابناه يعقوب وعيص في مزرعة جيرون وكان عمر يعقوب مائة وسبعاً وأربعين سنة وكان ابنه يوسف قد قسم له ولأمه شطر الحسن ،وكان يعقوب قد دفعه إلى أخته ابنة إسحاق تحضنه ، فأحبته حباً شديداً ، وأحبه يعقوب أيضاً حباً شديداً ، فقال لأخته : يا أخية ! سلمي إلف يوسف فوالله ما أقدر أن يغيب عني ساعة ، فقالت والله ما أنا بتاركته ساعة فأصر يعقوب على أخذه منها ، فقالت أتركه عندي أياماً لعل ذلك يسليني ، ثم عمدت إلى منطقة إسحاق وكانت عندها لأنها كانت أكبر ولده فحزمتها على وسط يوسف ، ثم قالت : قد فقدت المنطقة فانظروا من أخذها فالتمست فقالت اكشفوا أهل البيت في فكشفوهم فوجدوها مع يوسف ، وكان من مذهبهم ان صاحب السرقة يأخذ السارق له أ لا يعارضه فيه أحد فأخذت يوسف فأمسكته عندها حتى ماتت ، وأخذه يعقوب بعد موتها فهذا الذي تأول اخوة يوسف (أن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) وقيل في سرقته غير هذا وقد تقدم.
فلما رأى أخوة يوسف محبة أبيهم له وإقباله عليه حسدوه وعظم عندهم .

ثم إن يوسف رأى في منامه كأن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر تسجد له ،

فقصها على أبيه ، وكان عمره حينئذ اثنتي عشرة سنة فقال له أبوه : يا بني (لَا تَقْصُ رُؤَياكَ عَلَى إخوتكَ فَيَكِيْدُوا لَكَ كَيْداً إن الشيْطَانَ لِلإنْسَانِ عَدُو مُبِين)[2] ثم عبر له

رؤياه فقال : وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ، وسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لأبيه فقال لها يعقوب : اكتمي ما قال يوسف ولا تخبري أولادك قالت : نعم فلما أقبل أولاد يعقوب من الرعي أخبرتهم بالرؤيا فازدادوا حسداً وكراهة له وقالوا : ما عني بالشمس غير أبينا ولا بالقمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا. إن ابن راحيل يريد أن يتملك علينا ويقول : أنا سيدكم وتآمروا بينهم أن يفرقوا بينه وبين أبيه وقالوا : (لَيُوسُفُ وَأخُوهُ أحَب إلَى أبِيْنَا مِنا وَنَحْنُ عُصْبة إن آبَانا لَفِي ضَلَالٍ مُبِيْن)[1] في خطأ بَين . في إيثارهما علينا (اقْتلوا يُوسُفَ أو اطْرَحُوه أرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أبيكُم وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالحِينْ)[2] أي تائبين فقال قائل منهم وهو يهوذا – وكان أفضلهم وأعقلهم لا تقتلوا يوسف فإن القتل عظيم وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة وأخذ عليهم العهود أنهم لا يقتلونه فأجمعوا عند ذلك أن يدخلوا على يعقوب ويكلموه في إرسال يوسف معهم إلى البرية وأقبلوا إليه ووقفوا بين يديه ؛ وكذلك كانوا يفعلون إذا أرادوا منه حاجة فلما رآهم قال : ما حاجتكم ؟ (قَالُوا يَا أبَانَا مَالَكَ لَا تَأمَنا عَلَى يُوسُفَ وَإنّا لَه لناصِحُون)[3] نحفظه حتى نرده ، أرسله معنا إلى الصحراء يرتع ويلعب وإنا له لحافظون ، فقال لهم يعقوب : (إنَي لَيَحْزُنُني أنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأخَافُ أنْ يأكُلَه الذئبُ وَأنتم عنه غَافِلُون)[4] [5] لا تشعرون .

وإنما قال لهم ذلكَ لأنه كان رأى في منامه كان يوسف على رأس جبل وكأن عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليقتلوه وإذا ذئب منها يحمي عنه وكأن الأرض انشقت فذهب فيها فلم يخرج منها إلا بعد

ثلاثة أيام فلذلك خاف عليه الذئب فقال له بنوه : ﴿لَئِنْ أَكَلَه الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إنَا إذاً لَخَاسِرُون ﴾[6] .

فلما سمع يعقوب ذلك اطمأن إليهم فقال يوسف : يا أبت ارسلني معهم قال : أو تحب ذلك ؟ قال : نعم فأذن له فلبس ثيابه وخرج معهم وهم يكرمونه فلما برزوا إلى

البرية اظهروا له العداوة وجعل بعض أخوته يضربه فيستغيث بالأخر فيضربه فجعل لا يرى منهم رحيماً فضربوه حتى كادوا يقتلونه وجعل يصيح يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما يصنع بابنك بنو الاماء فلما كادوا يقتلون قال لهم يهوذا : أليس قد أعطيتمونى موثقاً أن لا ، تقتلوه ؟ فانطلقوا به إلى الجب فأوثقوه كتافاً ونزعوا قميصه والقوه فيه فقال : يا أخوتاه ردوا على قميصي أتوارى به في الجب فقالوا : ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً يؤانسونك قال : إني لم أر شيئاً فدلوه في الجب ، فلما بلغ نصفه ألقوه وأرادوا أن يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ، ثم أوى إلى صخرة فأقام عليها، ثم نادوه فظن أنهم قد رحموه فأجابهم ، فأرادوا أن يرضخوه بالحجارة، فمنعهم يهوذا ، ثم أوحى الله إليه (لَتُنبَئَنَّهُم بِأمرِهِم هَذَا وَهُم لَا يَشْعُرُون)[1] بالوحي .

وقيل لا يشعرون أنه يوسف والجب بأرض بيت المقدس معروف . ثم عادوا إلى أبيهم عشاء يبكون فقالوا : (يَا أبَانَا إنا ذَهَبْنا نَسْتَبق وَتَركْنا يُوسُف عِنْد مَتَاعِنا فأكَله الذئبُ)[2] ، فقال لهم أبوهم :(بَلْ سَوَّلَتْ لَكُم أنفُسُكُم أمْراً فصبر لى جميلٌ)[3] . ثم قال لهم : أروني قميصه فأروه فقال : تالله ما رأيت ذئباً أحلم من هذا ! أكل ابني ولم يشقّ قميصه ؟!، ثم صاح وخر مغشياً عليه ساعة، فلما أفاق بكى بكاء طويلاً فأخذ القميص يقبله ويشمه .

وأقام يوسف في الجب ثلاثة أيام وأرسل الله ملكاً فحل كتافه . ثم جاءت سيارة

فأرسلوا واردهم وهر الذي يتقدم إلى الماء فأدلى دلوه إلى البئر، فتعلق به يوسف . فأخرجه من الجب ، وقال : (يَا بُشْرَى هذا غلام)[4] أي تباشروا[5]، وقيل : بشرى اسم الغلام (وأسَرُوه بِضَاعَة)

يعني الوارد وأصحابه خافوا أن يقول اشتريناه فيقول الرفقة: أشركونا فيه فقال . إن أهل الماء استبضعونا هذا الغلام ، وجاء يهوذا بطعام ليوسف فلم يره في الجب فنظر فرآه عند مالك في المنزل فاخبر اخوته بذلك فاتوا مالكاً

وقالوا هذا عبد ابق منا وخافهم يوسف فلم يذكر حاله ، واشتروه من اخوته بثمن بخس قيل : عشرون درهماً، وقيل : أربعون درهماً، وذهبوا به إلى مصر فكساه مالك وعرضه للبيع فاشتراه قطفير وقيل اطفير وهو العزيز، وكان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العمالقة . قيل إن هذا الملك لم يمت حتى آمن بيوسف ومات ويوسف حي . وملك بعده قابوس بن مصب فدعاه يوسف فلم يؤمن .

فلما اشترى يوسف وأتى به إلى منزله قال لامرأته –واسمها – راعيل : (أكْرِمي

مَثْوَاه عَسَى أنْ يَنْفَعَنا)[1] إذا فهم الأمور بعض ما نحن بسبيله (أوْ نَتخِذَهُ وَلَداً)، وكان لا يأتي النساء وكانت أمرأته حسناء ناعمة في مُلْكٍ ودُنْيَا.

فلما خلا من عمر يوسف ثلاث وثلاثون سنة آتاه الله العلم والحكمة قبل النبوة، وراودته راعيل عن نفسه وأغلقت الأبواب عليِه وعليها وَدَعَتْه إلى نَفسها، (فَقَالَ مَعَاذَ الله إنّهُ رَبي)[2] يعني أن زوجك سيدي (أحْسَنَ مَثْوَايَ إنه لا يُفْلِح الظَّالِمُون) يعني إن خيانته ظُلم .

وجعلت تَذْكُرُ محاسنَه وتشوِّقه إلى نفسِها، فقالت له : يا يوسف ما أحسن

شَعْرِك ؟ ! قال:هو أول ما ينتثر من جسدي . قالت : يا يوسف ما أحسن عينيك ! قال : هى أول ما يسيل من جسدي ، قالت : ما أحسن وجهك ؟ ! قال ج هو للتراب .

فلم تزل به حتى همَت وهم بها وذهب ليحل سراويله [3] فإذا هو بصورة يعقوب قد

عض على اصبعه يقول : يا يوسف ! أتواقعها، إنما مَثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق ، ومثلك إذا واقعتها مثله إذا مات وسقط إلى الأرض [1] . وقيل : جلس بين رجليها فرأى في الحائط (ولاَ تَقْرَبُوا الزنَا إنه كَانَ فَاحِشَةً ومَقْتاً وسَاء سَبِيلاَ)[2] ، فقام حين رأى برهان ربه هارباً يريد الباب ، فأدركته قبل خروجه من الباب ، فجذبت قميصه من قبل ظهره ، فقدته (وَألْفَيَا سيدَهَا لَدَى البَابِ)[3] وابن عمها معه، (فَقالَتْ) له (مَا جَزَاءُ منْ أرَادَ بأهْلِكَ سُوءاً إلّا أن يُسْجَنَ) قال يوسف بل (هِيَ رَاوَدَتْني عَن نفْسِي) فهربتُ منها فأدركتني فقدتْ قميصي قال لها ابن عمها : تبيان هذا في القميص ، فإنْ كان قُد من قُبُلٍ فصدقتْ ، وإن كان قُدّ من دُبُر فكذبتْ ، فأتن بالقميص فوجده قد من دبر، فقال : (إنه مِنْ كَيْدِكُنَ إن كَيْدَكُن عَظِيم) .

وقيل كان الشاهد صبيا في المهد . قال ابن عباس : " تكلم أربعة في المهد وهم

صغار: ابن ماشطة امرأة فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج. وعيسى بن مريم . "

وقال : زوجها ليوسف : (أعْرِضْ عَنْ هَذَا)[4] أي ذِكْر ما كان منها فلا تذكره

لأحد، ثم قال لزوجته : (اسْتَغْفِرِي لذنبك إنكِ كنتِ من الخاطئين)[5] .

وتحدث النساء بأمر يوسف وامرأة العزيز، وبلغ ذلك امرأة العزيز (فَأرْسَلَتْ

إليهن وأعتدتْ لهن مُتكَأً)[6] يتكئن عليه وسائد، وحضرن وقدمت لهن أترنجا، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً لقطع الأترنج ، وقد

أجلست يوسف في غير المجلس الذي هن فيه ، وقالت له : (أخرج عليهن) فخرج (فَلما رأيْنه أكْبَرْنه) وأعظمنه (وقَطعنَ أيديَهُن) بالسكاكين ولا يشعرن (وقَلْنَ حَاشَ للهِ مَا هَذَا بَشَراً إنْ هَذَا إلا مَلَكٌ كَرِيمْ)[7] ، فلما حل بهن ما حل مِن قطعِهِن أيديَهُن وذهاب عقولهِن وعرفن

خطأهُن فيما قلن أقرت على نفسها وقالت : (فَذَلِكُن الذي لمتُنني فِيه وَلَقَد رَاوَدتُهُ عَنْ نفسِهِ فَاسْتعْصَم وَلئِن لم يَفْعَلْ ما آمرُهُ ليُسْجَنَن وَلَيَكونن مِنَ الصاغِرِين)[1]. فاختار يوسف السجن على معصية الله ، فقال : (رَبى السجنُ أحَبُّ إلي مِما يدعُونَنِي إلَيْه وإلا تصْرِف عَنّي كَيْدهن أصْبُ إليهن وأكنْ مِنَ الجَاهلينْ فَاسْتَجَابَ له رَبُّه فصَرَف عنه كيدَهُن)[2].

ثم بدا للعزيز من بعد ما رأى الآيات . من القميص . وخمش الوجه . وشهادة

الطفل . وتقطيع النسوة أيديهن في ترك يوسف مطلقاً، وقيل : إِنها شكت إلى زوجها وقالت : إنّ هذا العبد قد فضحني في الناس يخبرهم أنني راودته عن نفسه فسجنه سبع سنين .

فلما حُبِس يوسف أدْخَلَ معه السجن فتيان من أصحاب فرعون مصر: أحدهما صاحب طعامه والأخر صاحب شرابه لأنهما نقل عنهما أنهما يريدان أنْ يسما الملك .

فلما دخل يوسف السجن قال : إني أعبر الأحلام ، فقال أحد الفتيين للآخر: هلم فلنجربه ؟ قال الخباز: إنيِ أرَانِي أحمل فوق رأسى خبزاً تأكلُ الطيرُ منه ؟ وقال الآخر : إني أراني أعصر خمراً . فقالى لهما يوسف (لَا يَأتِيَكُما طَعَامٌ تُرْزَقانِه إِلّا نَبأتُكُمَا بتأويلِه قَبْلَ أنْ يَأتِيَكُما)[3] كره أنْ يعبر لهما ما سألاه عنه وأخذ في عير ذلك وقال : (يا صَاحِبَي السجْنِ ! أأرَبابٌ متَفرقُونَ خَيْرٌ أم الله الواحِدُ القَفَار)؟

وكان اسم الخباز " مجلت "ا واسم الأخر " نبو " فلم يَدَعاه حتى أخبرهما بتأويل

ما سألاه عنه ، فقال : أما أحدكما – وهو الذي رأى . أنه يعصر الخمر– فيسقي ربه خمراً يعني سيده الملك ، وأما الآخر فيصْلَبُ فتأكلُ الطيرُ من رأسه.

فلما عبر لهما قالا: ما رأينا شيئاً. قال :قُضِيَ الأمر الذي فيه تستفتيان . ثم قال لنبو وهو الذي ظن أنه ناج منهما : اذكرني عِنْدَ رَبكَ الملك ، وأخْبِرْهُ أني محبوسٌ ظُلْماً . فأنساه الشيطان ذِكْرَ ربه غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان . فأوحى الله إليه :

يا يوسف ! اتخذت من دوني وكيلًا لاطيلن حبسك فلبث في السجن سبع سنين[1]. ثم إن الملك وهو الريان بن الوليد بن الهروان بن إراشة بن قاران بن عمرو بن

عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح رأى رؤيا هائلة : رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ورأى سبع سنبلات خضر وأخر يابسات فجمع السحرة والكهنة والحازة والعافة فقصها عليهم فقالوا (أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بتأوِيلِ الأحلام بعَالمِين .وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أمة)[2] أي حِيْن (أنَا أنبَئكم بتأويله فأرْسِلُون) . ؟ فأرسلوه إلى يوسف فقص عليه الرؤيا فقال (تَزْرَعُونَ سَبْعَ سَنِيْنَ دَأباً فما حَصَدْتُم فَذَرُوه فِي سُنْبُلِهِ إلا قَلِيلاً ممَا تَأكُلُون .ثُم يأتي مِنْ بَعْدِ ذَلك سَبْغ شِدَادُ يَأكُلْنَ مَا قَدمْتُم لهن إلا قليلا مما تحصنون . ثم يأتي من بعد ذلك عامٌ فيه يُغَاثُ الناسُ وفيه يعصرون)[3] فان البقر السمان سنون مخاصيب والبقرات العجاف السنون المحول ، وكذلك السنبلات الخضر واليابسات فعاد " نبو " إلى الملك فأخبره ، فعلم أن قول يوسف حق ،فقال :أئتوني به .

فلما أتاه الرسول ودعاه إلى الملك لم يخرج معه وقال : (أرْجِعْ إلَى رَبكَ فَاسْألْهُ مَا بَالُ النسْوَةِ اللاتِي قَطعْنَ أيْدِيَهُنَّ)[4] فلما رجع الرسول من عند يوسف سأل الملك أولئك النسوة، فقلن : حاش لله ما علمنا عليه من سؤ ولكن أمرأة العزيز خبرتنا أنها ، راودته عن نفسه . فقالت امرأة العزيز: أنا راودته عن نفسه . فقال يوسف : إنما رددتُ الرسُلَ ليعلم سيدي أنّي لم أخنه بالغيب في زوجته . فلما قال ذلك قال له جبرائيل : ولا

حين هممت بها؟فقال يوسف (وَمَا أبَرىءُ نَفْسِي إنَ النفْسَ لأمارَة بالسُّوءِ)[1].

فلما ظهر للملك براءة يوسف وأمانته قال : (ائتُوني به أسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي)[2] ،

ما جاءه الرسول خرج معه ، ودعا لأهل السجن ، وكتب على بابه : هذا قبر الأحياء، وبيت الأحزان ،وتجربة الأصدقاء،وشماتة الأعداء.

ثم اغتسل ،ولبس ثيابه ،وقصد الملك ،فلما وصل إليه وكَلمه قال : (إنكَ اليوْمَ لديْنا مكيْن أمِيْن)[3] فقال يوسف : (أجْعَلْنِي عَلَى خَزَائنِ الأرْض)[4] فاستعمله بعد سنة،ولو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعملَه من ساعته ، فسلم خزائنه في ما إليه بعد سنة[5]،وجعل القضاء إليه وحكمه نافذاً،ورد إليه عمل قطفير سيده بعد

أن هلك وكان هلاكه في تلك الليالي ، وقيل : بل عزله فرعون وولى يوسف عمله والأول أصح لأن يوسف تزوج امرأته على ما نذكره.

ولما ولي يوسف عمل مصر دعا الملك الريان إلى الإيمان فآمن ، ثم توفي .

ثم ملك بعده مصر قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن قاران بن عمرو بن عملاق ، فدعاه يوسف إلى الإيمان فلم يؤمن ، وتوفي يوسف في ملكه .

ثم إن الملك الريان زوج يوسف راعيل امرأة سيده فلما دخل بها قال : أليس هذا خيراً مما كنت تريدين ؟ فقالت : أيها الصديق لا تلمني فإني كنت امرأة حسناء جميلة في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك فغلبتني نفسي ووجدها بكراً فولدت له ولدين افرايم ومنشا .

فلما ولي يوسف خزائن أرضه ومضت السنون السبع المخصبات وجمع فيها الطعام في سنبله ودخلت السنون المجدبة وقحط الناس ، وأصابهم الجوع وأصاب بلاد ، يعقوب التي هو بها، فبعث بنيه إلى مصر، وأمسك بنيامين أخا يوسف لأمه ، فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون ، وإنما أنكروه لبعد عهدهم منه ولتغير لبسه فإنه لبس ، ثياب الملوك ، فلما نظر إليهم قال : أخبروني ما شأنكم ؟ قالوا: نحن من الشام جئنا نمتار الطعام ، قال : كذبتم أنتم عيون فأخبروني خبركم ، قالوا : نحن عشرة أولاد رجل واحد صديق كنا اثني عشر وأنه كان لنا أخ فخرج معنا إلى البرية فهلك ، وكان أحبنا إلى أبينا قال : فإلى من سكن أبوكم بعده قالوا : إلى أخ لنا أصغر منه ، قال : فأتوني به أنظر إليه ﴿فَإِنْ لَمْ

تَأتُوني بهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُون)[1] قالوا : سنراود عنه أباه ، قال : فاجعلوا بعضكمَ عندي رهينة حتى ترجعوا فوضعوا شمعون أصابته القرعة .

وجهزهم يوسف بجهازهم ، وقال : لفتيانه : اجعلوا بضاعتهم – يعني ثمن الطعام – في رحالهم لعلهم يرجعون لما علم أن أمانتهم وديانتهم تحملهم عنى رد البضاعة فيرجعون اليه لأجلها . وقيل بَرَدَ مالهم لأنه خشيَ أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به مرة أخرى فإذا رأوا معهم بضاعة عادوا ، وكان يوسف حين رأى ما بالناس من الجهد قد آسى بينهم وكان لا يحمل للرجل إلا بعيراً .

فلما رجعوا إلى أبيهم بأجمالهم ، قالوا : يا أبانا إن عزيز مصر قد أكرمنا كرامة لو أنه بعض أولاد يعقوب ما زاد على كرامته ، وأنه ارتهن شمعون ، وقال : ائتوني بأخيكم الذي عطف عليه أبوكم بعد أخيكم (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون) قال : (هَلْ آمَنُكُم عَلَيْه إلّا كَمَا أمِنْتُكُمْ عَلَى أخِيْه مِنْ قَبْل)[1] .

)ولما فَتَحُوا متَاعَهُم وَجَدُوا بِضَاعَتَهُم رُدَّتْ إلَيْهم قَالُوا :يَا أبَانَا مَا نَبْغِي هَذِه بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إلينا وَنَمِيرُ أهْلَنَا وَنَحْفَظُ أخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيْر)[2]!

قال يعقوب : (ذَلِكَ كَيْل يَسِيْر)[3]. فقال يعقوب : (لَنْ أرْسِلَهُ مَعَكُم حَتى

تُؤتُوني مَوْثقاً مِنَ اللّه لَتَاتُنَّنِي بِهِ إلا أنْ يُحَاطَ بِكُم فَلَما أتَوْه مَوثقَهُم ، قال اللّهُ عَلَن مَا نَقُولُ وَكِيل)[4].

ثم أوصاهم أبوهم بعد أن أذن لأخيهِم في الرحيل معهم وقال : (يَا بَنِيّ ! لاَتَدْخُلُوا مِن بَاب وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أبْواب مُتَفرَقة)[5] خاف عليهم العين وكانوا ذوي صورة حسنة ففعَلوا كما أمرهم أبوهم ، (وَلَمّا دَ خَلُوا عَلَن يُوسُف آوَى إلَيْه أخَاه "[6] ، وعرفه وأنزلهم منزلاً وأجرى عليهم الوظائف ، وقدم لهم الطعام وأجلس كل

اثنين على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى، وقال : لو كان أخي يوسف حياً لأجلسني معه ، فقال

يوسف : لقد بقي أخوكم هذا وحيداً فأجلسه معه وقعد يؤاكله ، فلما كان الليل جاءهم لا بالفرش ، وقال لينم كل أخوين منكم على فراش وبقي بنامين وحده ، فقال : هذا ينام معي فبات معه على فراشه فبقي يشمه ويضمه إليه حتى أصبح وذكر له بنيامين حزنه على يوسف ، فقال له : أتحب أن أكون أخاك عوض أخيك الذاهب ؟ فقال بنيامين : ومن يجد أخاً مثلك ؟ ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام إليه فعانقه ، وقال له : إني أنا أخوك يوسف فلا تبتئس بما فعلوه بنا فيما مضى فإن الله قد أحسن إلينا ولا تعلمهم بما علمتك .

وقيل لما دخلوا على يوسف نقر الصواع ، وقال إنه يخبرني أنكم كنتم اثني عشر

رجلَاَ وأنكم بعتم أخاكم . فلما سمعه بنيامين سجد له ، وقال : سل صاعك هذا عن . أخي أحيّ هو؟ فنقره ، ثم قال : هو حي وستراه . قال : فاصنع بي ما شئت فإنه إنْ علم بي سوف يستنقذني . قال : فدخل يوسف فبكى، ثم توضأ وخرج إليهم . قال : فلما ؟! حمل يوسف إبل اخوته من الميرة جعل الاناء الذي يكيل به الطعام وهو الصواع وكان من فضة في رحل أخيه ، وقيل : كان إناء يشرب فيه ولم يشعر أخوه بذلك . وقيل : إنّ ! بنيامين لما علم أن يوسف أخوه قال لا أفارقك قال يوسف أخاف غم أبوينا ولا يمكنني حبسك إلا بعد أن أشهرك بأمر فظيع قال : افعل ، قال : فإني أجعل الصواع في رحلك ، ثم أنادي عليك بالسرقة لآخذك منهم قال : افعل فلما ارتحلوا أذن مؤذن : أيتها العير إنكم لسارقون ، قالوا : (تَالله لَقَد عَلِمْتُم مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأرْضِ وَمَا كُنَا سَارِقِيْن)[1] لأننا رددنا ثمن الطعام إلى يوسف ، فلما قالوا ذلك قالوا : فما جزاؤه

إن كنتم كاذبين ؟ قالوا : جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه تأخذونه لكم فبدأ بأوعيتهم ففتشها قبل وعاء أخيه ، ثم استخرجها من وعاء أخيه ، فقالوا : إن يسرق فقد سرق أخ له

من قبل يعنون يوسف وكانت سرقته حين سرق صنماً لجده أبي أمه فكسره فعيروه بذلك ، وقيل ما تقدم ذكره من المنطقة .

فلما استخرجت السرقة من رحل الغلام قال إخوته : يا بني راحيل لا يزال لنا

منكم بلاء، فقال بنيامين : بل بنو راحيل ما يزال لهم منكم بلاء : وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم ، فاخذ يوسف أخاه بحكم إخوته ، فلما رأوا

أنهمٍ لا سبيل لهم عليه سألوه أن يتركه لهم ، وقالوا : (يَا أيهَا العَزِيزُ! إن لَهُ أباً شَيْخاً كَبيرا فخُذْ أحَدَنَا مَكَانَه)[1] فقال : (مَعَاذَ الله أنْ نأخُذَ إلا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنا عِنْدَه)[2] فلَما أيسوا من خلاصه خلصوا نجيا لا يختلط بهم غيرهم ، فقال كبيرهم وهو شمعون – وقيل روبيل (أَلَمْ تَعْلَمُوا أنَ أبَاكُم قَد أخَذَ عَلَيْكُم مَوْثقاً مِنَ الله)[3] أن نأتيه بأخينا إلا أن يحاط بنا ؟ ومن قبل هذه المرة ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي بالخروج ، وقيل بالحرب فارجعوا إلى أبيكم فقصوا عليه خبركم فلما رجعوا إلى أبيهم فاخبروه بخبر بنيامين وتخلف شمعون قال : (بَلْ سَوَلَتْ لَكُمْ أنْفُسُكُمْ أمراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى الله أنْ يَأتِيني بهم جميْعاً)[4] بيوسف وأخيه وشمعون ، ثم ، أعرض عنهم وقال : واحزناه ، على يوسف (وَابيضَّتْ عَيْنَاهُ من الحُزْنِ فهو كُظِيم)[5] مملوء من الحزن والغيظ ، فقال له بنوه : تالله لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أي دنفاً أو تكون من الهالكين ، فأجابهم يعقوب فقال : (إنَما أشْكُو بَثي وَحُزْنِي إلى الله وَأعْلَمُ مِن الله مَا لَا تَعْلَمُون)[6] مش صدق رؤيا يوسف وقيل : بلغ من وجد يعقوب وجد سبعين ثكلى[7] وأعطي على ذلك أجر مائة شهيد .

قيل : دخل على يعقوب جار له فقال : يا يعقوب : قد انهشمت وفنيت . لم تبلغ

من السن ما بلغ أبوك ، فقال هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف . فأوحى الله إليه أتشكوني إلى خلقي ؟ قال : يا رب خطيئة فاغفرها قال : قد غفرتها لك فكان يعقوب إذا سئل بعد ذلك قال : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله فأوحى الله إليه لو كانا

ميتين لأحببتهما لك إنما ابتليتك لأنك قد شوقي وقترت على جارك ولم تطعمه[8].

وقيل كان سبب ابتلائه أنه كان له بقرة لها عجول فذبح عجولها بين يديها وهي

تخور فلم يرحمها يعقوب فابتلى بفقد أعز ولده عنده . وقيل ذبح شاة فقام ببابه مسكين

فلم يطعمه منها فأوحى الله إليه في ذلك وأعلمه أنه سبب ابتلائه فصنع طعاماً ونادى من كان صائماً فليفطر عند يعقوب[1].

ثم إنّ يعقوب أمر بنيه الذين قدموا عليه من مصر بالرجوع إليها وتحسس الأخبار

عن يوسف وأخيه فرجعوا إلى مصر فدخلوا على يوسف ، وقالوا : (يَا أَيُّها العَزِيْزُ مَسنَا وَأَهْلُنَا الضرُّ، وَجِئْنَا بِبِضاعَةٍ مُزْجَاةٍ)[2] يعني قليلة)فَأَوْفِ لَنا الكَيْلَ " قيل : كانت بضاعتهم دراهم زيوفا [3]، وقيل : كانت سمناً وصوفاً، وقيل غير ذلك وتصدق علينا بفضل ما بين الجيد والردىء؟ وقيل : برد أخينا علينا فلما سمع كلامهم غلبته نفسه فارفض دمعه باكياً، ثم باح لهم بالذي كان يكتم .

وقيل : إنما أظهر لهم ذلك لأن أباه كتب إليه حين قيل له إنه أخذ ابنه لأنه سرق

كتاباً :

من يعقوب اسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله [4] بن ابراهيم خليل الله إلى عزيز مصر المظهر العدل . أما بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء، أما جدي فشدت يداه ورجلاه وألقي في النار فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وأما أبي فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على حلقه ليذبح ففداه الله ، وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلى فذهب به اخوته إلى البرية فعادوا ومعهم قميصه ملطخاً بدم وقالوا أكله الذئب ، وكان لي ابن اخر أخوه لأمه فكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا إنه سرق وأنك حبسته ، وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً فإن رددته عليّ وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك .

فلما قرأ الكتاب لم يتمالك أن بكى وأظهر لهم فقال : ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَا فَعَلْتُمْ بيُوسف وَأخِيْه إذْ أنْتُم جَاهِلون .قَالُوا : أئِنك لأنتَ يُوسُف . قال أنَا يُوسُف وَهَذا أخِي قَد مَنَّ اللَهُ عَلَيْنا﴾[5] بأن جمع بيننا فاعتذروا وقالوا : ﴿تَالله لَقد آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنا وإنْ كُنّا لَخَاطِئِيْن قَالَ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكم اليَوم ﴾[6] أي لا أذكر لكم ذنبكم يغفر الله لكم ، ثم

سألهم عن أبيه فقالوا : لما فاته بنيامين عمي من الحزن فقال : اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين ، فقال يهوذا أنا أذهب به لأني ذهبت إليه بالقميص ملطخاً بالدم وأخبرته أن يوسف أكله الذئب فأنا أخبره أنه حي فأفرحه كما أحزنته وكان هو البشير.

(ولما فصلت العير) عن مصر حملت الريح إلى يعقوب ريح يوسف وبينهما ثمانون فرسخاً يوسف بمصر ويعقوب بأرض كنعان ؛ فقال : (إني لأجِدُ رِيْحَ يُوسُف لوْلَا أنْ تُفَنَدون)[1]. فقال له من حضره . من أولاده : (تَالله إنّك) من ذكر يوسف (لَفِي ضَلَالِكَ القَدِيْم ، فَلَمّا أنْ جَاءَ البَشِيْر)[2] بقميص يوسف (ألْقَاه) على وجه يعقوب فعاد بصيراً وقال : (ألَمْ أقُل لَكُمْ إني أعْلَمُ مِنَ الله مَالَا تَعْلَمُون)[3] يعني تصديق الله تأويل رؤيا يوسف ، (وَلَما أنْ جَاءَ البَشِير) قال له يعقوب كيف تركت يوسف ؟ قال : تركته ملك مصر. قال : ما أصنع بالملك ؟ على أي دين تركته ؟ قال : تركته على الاسلام قال : الآن تمت النعمة ، فلما رأى من عنده من أولاده قميص يوسف وخبره قالوا له : (يَا أبَانَا اسْتَغْفِر لَنَا ذُنُوبَنَا . قال سَوْفَ أسْتَغْفِر لَكُم)[4] أخر الدعاء إلى السحر من ليلة الجمعة .

ثم ارتحل يعقوب وولده فلما دنا من مصر خرج يوسف يتلقاه ومعه أهل مصر،

وكانوا يعظمونه ، فلما دنا أحدهما من صاحبه نظر يعقوب إلى الناس والخيل وكان يعقوب يمشي ويتوكأ على ابنه يهوذا فقال له يا بني ! هذا فرعون مصر؟ قال لا هذا ابنك يوسف فلما قرب منه أراد يوسف أن يبدأه بالسلام فمنع من ذلك ، فقال يعقوب :

(السلام عليك يا مُذْهِبَ الأحزان) لأنه لم يفارقه الحزن والبكاء مدة غيبة يوسف عنه. قال : فلما دخلوا مصر رفع أبويه يعني أمه وأباه ، وقيل : كانت خالته وكانت أمه قد ماتت وخر له يعقوب وأمه وأخوته سجداً وكان السجود تحية الناس للملوك : ولم يرد بالسجود وضع الجبهة على الأرض فإن ذلك لا يجوز إلا لله تعالى وإنما أراد الخضوع

والتواضع والانحناء على السلام كما يفعل الآن بالملوك ، والعرش السرير.

وقال : (يَا أَبَتِ هَذَا تأوِيْلُ رُؤيَايَ مِنْ قَبْلُ قَد جَعَلَهَا رَبي حَقا)[1]

وكان بين رؤيا

يوسف ومجيء يعقوب أربعون سنة، وقيل ثمانون سنة فانه ألقي في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة، ولقيه وهو ابن سبع وتسعين سنة، وعاش بعد جمع شمله ثلاثاً وعشرين سنة، وتوفي وله مائة وعشرون سنة، وأوصى إلى أخيه يهوذا، وقبل كانت غيبة يوسف عن يعقوب ثماني عشرة سنة وقيل : إن يوسف دخل مصر وله سبع عشرة سنة واستوزره فرعون بعد ثلاث عشرة سنة من قدومه إلى مصر، وكانت مدة غيبته عن يعقوب اثنتين وعشرين سنة، وكان مقام يعقوب بمصر وأهله معه سبع عشرة سنة، وقيل غير ذلك والله م أعلم .

ولما مات يعقوب أوصى إلى يوسف أن يدفنه مع أبيه إسحاق ففعل يوسف فسار به

إلى الشام فدفنه عند أبيه ، ثم عاد إلى مصر، وأوصى يوسف أنْ يحمل من مصر ويدفن عند آبائه فحمله موسى لما خرج ببني اسرائيل ، وولد يوسف افرايم ومنشا فولد لافرايم نون ولنون يوشع فتى موسى؛ وولد لمنشا موسى قيل موسى بن عمران ، وزعم أهل التوراة أنه موسى الخضر، وولد له رحمة امرأة أيوب في قول .

قصة شعيب عليه السلام

قيل : إن اسم شعيب يثرون بن ضيعون بن عنقا بن نابت بن مدين بن ابراهيم ،

وقيل : هو شعيب بن ميكيل من ولد مدين ، وقيل : لم يكن شعيب من ولد ابراهيم ، وإنما من ولد بعض من آمن لم بابراهيم وهاجر معه إلى الشام ، ولكنه ابن بنت لوط فجدة شعيب ابنة لوط ، وكان ضرير البصر وهو معنى قوله تعالى (وإنا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعيفاً)[1] أي ضرير البصر.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكره قال : " ذاك خطيب الأنبياء " بحسن مراجعته قومه ؟ وإن الله أرسله إلى أهل مدين وهم أصحاب الأيكة والأيكة شجر ملتف ، وكانوا أهل كفر بالله ، وبخس للناس في المكاييل والموازين وإفساد أموالهم ، وكان الله وسع عليهم في الرزق ، وبسط لهم في العيش استدراجاً لهم منه مع كفرهم بالله ؛ فقال لهم شعيب ، (يَا قَوْم ! اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكم مِن إلهٍ غَيْرُهُ ، وَلَا تنقصُوا المِكْيَال والمِيْزَان إنّي أَراكُم بخيْرٍ ، وإني أخَافُ عَلَيْكُم عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيْط)[2] .

فلما طال تماديهم في غيهم وضلالهم ولم يزدهم تذكير شعيب إياهم وتحذيره

عذاب الله إياهم إلا تمادياً؟ ولما أراد إهلاكهم سلط عليهم عذاب يوم الظلة وهو ما ذكره ابن عباس في تفسير قوله تعالى : (فَأخَذَهُمٍ عَذَابُ يَوْم الظلَّة إنه كَانَ عَذَابُ يوْمٍ عَظِيْم)[3] ، فقال : بعث الله عليهم وقدة وحرا شديداً فأخذ بأنفسهم فخرجوا من

البيوت هراباً إلى البرية ، فبعث الله عليهم سحابة فأظلتهم من الشمس ، فوجدوا لها برداً ا ولذة فنادى بعضهم بعضاً حتى اجتمعوا تحتها فأرسل الله عليهم ناراً، قال عبد الله بن عباس فذلك عذاب الظلة. وقال قتادة : بعث الله شعيباً إلى أمتين إلى قومه أهل مدين ، وإلى أصحاب الأيكة وكانت الأيكة من شجر ملتف فلما أراد الله أن يعذبهم بعث عليهم حراً شديداً ورفع لهم العذاب كأنه سحابة، فلما دنت منهمِ خرجوا إليها رجاء بردها، فلما كانوا تحتها أمطرت عليهم ناراً قال : فذلك قوله : (فَأخذَهم عَذَابُ يَوْم الظُّلّة) .

وأما أهل مدين فهم من ولد مدين بن ابراهيم الخليل فعذبهم الله بالرجفة وهي الزلزلة فاهلكوا . قال بعض العلماء : كان قوم شعيب عطلوا حداً فوسع الله عليهم في الرزق ، ثم عطلوا حداً فوسع الله عليهم في الرزق فجعلوا كلما عطلوا حداً وسع الله عليهم في لا الرزق حتى إذا أراد هلاكهم سلط عليهم حراً لا يستطيعون أن يتقارّوا ولا ينفعهم ظل ولا ا ماء حتى ذهب ذاهب منهم فاستظل تحت ظله فوجد روحاً فنادى أصحابه هلموا إلى الروح فذهبوا إليه سراعاً حتى إذا اجتمعوا إليها ألهبها الله . عليهم ناراً فذلك عذاب يوم الظلة .

وقد روى عامر عن ابن عباس أنه قال له : من حدثك ما عذاب يوم الظلة فكذبه ،

وقال مجاهد : عذاب يوم الظلة هو إظلال العذاب عليِ قوم شعيب ، وقال زيد بن

أسلم : في قوله تعالى : (يَا شُعَيْب أصَلَاتُك تأمُرُكَ أنْ نتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤنَا أوْ أنْ نَفْعَلَ فِي أمْوَالِنا مَا نَشَاء)[1] قال : مما كان ينهاهم عنه قطع الدراهم .

قصة الخضر وخبره مع موسى

قال أهل الكتاب : إنّ موسى صاحب الخضر هو موسى بن منشا بن يوسف بن يعقوب ، والحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن موسى صاحب الخضر هو موسى بن عمران على ما نذكره .

وكان الخضر ممن كان في أيام افريدون الملك ابن اثغيان في قول علماء أهل الكتاب الأول قبل موسى بن عمران. وقيل : انه كان على مقدمة ذي القرنين الأكبر الذي كان في أيام إبراهيم الخليل ، وأنه بلغ مع ذي القرنين نهر الحياة فشرب مِنْ مائه ولا يعلم ذو القرنين ومَنْ مَعه فَجلد وهو حَى عندهم إلى الآن . وزَعَمَ بعضُهم أنه كان مِنْ وَلَد من آمن مع إبراهيم وهاجر معه ، واسمه باليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح ، وكان أبوه ملكاً عظيماً . وقال آخرون : ذو القرنين الذي كان علن عهد إبراهيم افريدون بن اثغيان وعلى مقدمته كان الخضر.

قال عبد الله بن شوذب[1]: الخضر من ولد فارس وإلياس من بني اسرائيل يلتقيان كل عام بالموسم . وقال ابن إسحاق : استخلف الله علن بني إسرائيل رجلاً منهم يقال له : ناشية بن أموص فبعث الله لهم الخضر معه نبياً قال : وأسم الخضر فيما يقول بنو اسرائيل : ارميا بن حلقيا، وكان من سبط هارون بن عمران ، وبين هذا الملك وبين افريدون أكثر من ألف عام . وقول من قال : إن الخضر كان في أيام افريدون وذي القرنين الأكبر قبل موسى بن عمران أشبه للحديث الصحيح أن موسى بن عمران أمَرَهُ الله بطلب الخضر ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أعلم الخلق بالكائن من الأمور فيحتمل أنْ يكون الخضر على

مقدمة ذي القرنين قبل موسى وأنه شرب من ماء الحياة فطال عمره ولم يُرْسَل فى أيام إبراهيم . وبعث في أيام ناشية بن أموص وكان ناشية هذا في أيام بشتاسب بن لهراسب .

والحديث (1) : ما رواه أبيّ بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن جبير: قلت لابن

———————————————

ذكر المصنف أن في الباب (الحديث الصحيح) فإذا به يأتي بهذا الحديث الضعيف ، أما الحديث ؤ الصحيح فهو ما أخرجه .البخاري في صحيحه رقم 122 من طريق سعيد بن خبَيْر قال : قلت لابن عباس ، إن نوفاً البكالي يزعم أن موسي ليس بموسى نبي إسرائيل إنما هو موسى آخر فقال : كذب عدو اللُه حدثنا

أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم :

فَعَنَط الله غليه .اذ لنم يَرُذ انعلم . إليه ، فأوحىُ الله اليه أنْ غداً من عا؟في –لمَخمَغ المَخرَيخن هو أعلم فك. أ

ا لهابم موص البي حطيبا س بمى اسراليل لهسمِل . أي الإس أعلم . . مصإل . . ألا أجملم . ء

قال :يارب وكيف به إفقيل له :أحمل حُوناًفي مِنهتَل فإذافقدته فهوثَنم . ! فانطَلَقَ وانجطَلَقَ بفتاه بوشَع بن نون وحَمَلاحوتاًفي مِنهتَل حتى كاناغدالصخرة وضعَارؤوسَفمَاوناما . أ فانسَل الحوت من المكتل فاتخذسبيله في البحرسَرَبَا، وكان لموسن وفتاه عَجَبَاًفانطلقابقبة ليلتهما ل! وببرمهما فلما اصبح قال موسن لفتاه : "آتنا غداءنا، لقد لقينا من سَفَيرنا هذا نَصَبَا –ولم يجد موص مَساً من

النَصَب حتى جاوز المكان الذي أمر به . . فقال له فتاه : أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت .،

قال موسى : ذلك مائ نبغي .

فارتدا على آثارهما قصصا ، فلما انتهيا إلى الصخرة إذا برجل مُسَخىً بثوب – أو قال :تَسَخئ بثوبه –

فسَنم موسى ، فقال انخضر : وأتَى بأرضك السلام .

فقال : أنا موسى . فقال : موسى بني اسرائيل : قال نيم . قال : هل أتبعك علن أنْ ئعَلَّمَنِي مِمَّاعُنَمْت

رُثْدا . قال : إنك لن تستطيع معَي صبراً ، يا موسى إلي على علم من علم التله عَتَمَنِيه لا تعلمه أنت ،

وأنت على علم لا أعلمُه ، قال : ستجدفي إن شاء النه صابراً ولا أعصي لك أمراً . .

فانطلقا يمشيانء لِى ساحل البحر ليى لهما سَفِينَة، فمَرتْ بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهما، فغرِف

الخَضِر فحملوها بغيْر نَوْل [أي : بغير أجما، فجا، عصفور فَوَقَعَ على حَرْف السفينة فَنَقَرَ نَقْرَةً أو نقرتين

في البحر، فقال الخضر: يا موسى ما نَقَصٍ عِلمِي وعِلْمُك مِنْ علم التله إلا كنقرة هذا العصفورفي البحر.

فَعَمَدَ الخضرإلى لَوْح من الواح السفبنة قزَعَة فقال موسى : قوئم حملونا بغَيرْ نَوْل عَمَدْت إلى سفينتهم

فخرقتهالتنْرِقَ أهلها ! قال : الم أقل لك إنك لن تستطيع سَي صَبْراً . قال لا تُؤاخِذْفي بمَا نسيت –

فكانت الأولى من موسى نسياناً .

فانطلقا فإذا غلام يلعب معٍ الغلمان فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده .

فقال موسى : أقتلت نفسازكئة بغيرنفس !

قال : ألم أقُل لك إنك لن تستطيع معي صبراً :.

فانطلغا حتى إذا أتيا اهل قرية اسنطعما أهلها فأبَوا أن يضيْفوهما فوجدا فيها جدارأ يريد أن ينقَضن فأقامه ،

قال الخضر ببده فأقامه .

عباس : إن نَوْفاً[1] يزعم أنّ الخضر ليس بصاحب .موسى بن عمران قال : كذب عدو الله [2] حدثني أبَي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن موسى قام في بني إسرائيل خطيباً فقيل له : أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا، فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إليه ، فقال : يا رب ! هل هناك أعلم مني ؟ قال : بلى عبد لي بمجمع البحرين قال : يا رب ! كيف لي به قال : تأخذ حُوتاً فتجعله في مِكْتَل فحيث تفقده فهو هناك . فاخذ حوتاً فجعله في مِكْتَل ، ثم قال لفتاه : إذا فقدت هذا الحوت فأخبرني ، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر حتى أتيا الصخرة وذلك الماء وهو ماء الحياة فمنَ شرب منه خُلّد ولا يقاربه شيءٌ ميت إلا حيي ، فمس الحوت منه فحي ، وكان موسى راقداً واضطرب الحوت في المكتل ، فخرج في البحر فأمسك الله عنه جرية الماء فصار مثل الطاق فصار للحوت سَرَباً وكان لهما عَجَباً،ثم انطلقا.

فلما نهان حين الغداء قال موسى لفتاه : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نَصَباً

قال : ولم يجد موسى النصَب حتي تجاوز حيث أمره الله ،. فقال : (أرَأيْتَ إذْ أوينَا إلى الصخْرةِ فَإني نَسِيْتُ الحُوتَ وَمَا أنْسَانِيه إلّا الشَيْطَانُ أنْ أذْكُرَه واتَخَذَ . سبِيلَه فِي البَحْرِ عَجَباً . قال :ذَلَكَ مَا كنا نَبْغ فَارْتَدّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصَا) [3]قال : يقصان آثارهما حتى أتيا الصخرة فإذا رجل نائم مُسَجًى بثوبه [4] فسلَم موسى عليه فقال : وأنى بأرضِنَا

———————————————

فقال له موسى : لو شئْتَ لاتَخَذْت عليه أجراً.

قال : هذا فراق بيني وبينك .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : يرحم الله موسى لوددنا لو صَبِرَ حتى يقص علينا من أمرهما .

السلام ؟ قال : أنا موسى . قال : موسى بني اسرائيل ؟ قال : نعم . قال : يا موسى! إني على عِلْم مِنْ عِلْم الله عَلّمنيه الله لا تعلمه وأنت على عِلْمٍ من عِلْم الله لا أعلمه . قال له موسى :هَل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً؟ قال : إنك لن تستطيع معي . صبراً. وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً؟ قال : ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً .

قال : فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيءٍ حتى أحْدِثَ لك منه ذِكراً . فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، ثم ركبا سفينة، فجاء عُصْفور، فقعد على

حرف السفينة فنقر في الماء فقال الخضر لموسى : ما ينقص علمي وعلمك من علم الله إلا مقدار ما نَقَرَ هذا العصفور من البحر.

قال : فبينا مم في السفينة فلم يفجأ موسى إلا وهو يوتد وتداً أو ينزع تختاً منها.

فقال له موسى : حملنا بغير نول فتخرقها لتغرق أهلها! لقد جئت شيئاً امرا! قال : ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال :لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عُسْراً . قال : وكانت الاولى من موسى نسياناً .

قال : فخرجا فانطلقا يمشيان فأبصرا غُلَاماً يلعب مع الغلمان فأخذ برأسه فقتله فَقَال له مُوسى (أقَتَلْتَ نَفْساً زَكية بِغَيْر نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْرا . قال : ألم أقُل لَكَ إنك لَن تَسْتَطِيْعَ مَعِي صَبْراً. قال :إنْ سَألْتكَ عَنْ شَيء بَعْدَهَا فَلَا تُصاحِبْني قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُني عُذْراً. فانْطَلَقا حَتى إذا أتَيَا أهْلَ قَرْية اسْتَطْعَمَا أهْلَهَا فَأبَوا أنْ يُضَيفُوهُمَا)[1] فلم يجدا أحداً يطعمهما ولا يسقيهما(فوَجَدَا فِيْها

جِدَاراً يُرِيدُ أنْ يَنْقَض فَأقَامَه)[2]. ! فقال له موسي : لم يضيفونا ولم ينزلونا (لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أجْراً . قال هَذَا فِرَاقُ بَيْني وَبَيْنَك سَأنبئك بتأويل مَا لَم تَسْتَطع عليه صِبراً أمَّا السَّفينَةُ فَكَانَت لِمَساكِين يَعْمَلونَ فِي البَحْرِ فَأرَدْتُ أنْ أعِيْبَهَا ، وَكَانَ وَرَاءَهُم مَلِكٌ يَاخُذُ كُل سَفِينةٍ غَصْباً)[3] وفي قراءة أبى سفينة صالحة .

)وَأما الغُلَام فَكَان أبَواه مُؤمِنَيْن فَخَشِيْنَا أنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً .فَأردنا أنْ

يبْدلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْه زَكَاةً وَأقْرَبَ رُحْماً .وَأمّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْن يَتيْمَيْن فِي المَدِينَة وكانَ تَحْتَه كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أبُوهُمَا صَالِحاً) إلى ﴿ما لَم تَسْطِع عَلَيْه صَبْراً﴾[1] فكان ابن عباس يقول : ما كان الكَنْز إلا علماً.

قيل لابن عباس : لم نسمع لفتى موسى بذِكر! فقال : شرب الفتن من الماء فخُلد

فأخذه العالم فطابق به سفينته ثم أرسلها في البحر فإنها لتموج به إلى يوم القيامة[2].

الحديث يدل على أن الخضر كان قبل موسى وفي أيامه ، ويدل على خطأ مَنْ

قال : أنه أرميا لأنّ أرميا كان أيام بختنصر، وبين أيام موسى وبختنصر من المدة ما لا يشكل علن عالم بأيام الناس ، فإن موسى إنما نبىء في أيام منوجهر وكان ملكه بعد جده افريدون .

ذكر الخبر عن منوجهر والحوادث في أيامه

ثم مَلَك بعد افريدون بن أثغيان بن كاو: منوجهر وهو من ولد ايرج بن افريدون

وكان مولده بدنباوند، وقيل بالري فلما ولد منوجهر أخفى أمره خوفاً من طوج وسلم عميه ، ولما كبر منوجهر سار إلى جده افريدون ، فتوسم فيه الخير، وجعل له ما كان جعله لجده إيرج من المملكة وتوجه بتاجه وقد زعم بعضهم أن منوجهر بن شجر بن إفريقش بن إسحاق بن إبراهيم انتقل إليه الملك واستشهد بقول جرير بن عطية :

وأبناء إسحاق الليوث إذا ارتدوا حمائل موت لابسين السنورا

إذا انتسبوا عدوا الصبهبد منهم وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا

وكان كتاب فيهم ونبوة وكانوا باصطخر الملوك وتسترا

فيجمعنا والغر أبناء فارس أب لا يبالي بعده من تأخرا

أبونا خليل الله والله ربنا رضينا بما أعطى الإله وقدرا

وأما الفرس فتنكر هذا النسب ولا تعرف لها ملكاً إلا في أولاد أفريدون ولا تقر

بالملك لغيره .

قلت والحق ما قاله الفرس فان أسماء ملوكهم قبل الاسكندر معروفة وبعد أيامه

ملوك الطوائف ، وإذا كان منوجهر أيام موسى، وكل ما بين موسى لإسحاق خمسة آباء معروفون ، ولم يزالوا بمصر ففي أي زمان كثروا وانتشروا وملكوا بلاد الفرس ؟ ومن أين لجرير هذا العلم حتى يكون قوله حجة لاسيما وقد جعل الجميع أبناء إسحاق ؟.

قال هشام بن الكلبي : ملك طوج وسلم الأرض بعد أخيهما ايرج ثلثمائة سنة، لم

ثم ملك منوجهر مائة وعشرين سنة، ثم وثب به ابن لطوج التركي على رأس ثمانين سنة، فنفاه بعد ذلك ثمانياً وعشرين سنة.

وكان منوجهر يوصف بالعدل والاحسان ، وهو أول من خندق الخنادق وجمع آلة
الحرب ، وأول من وضع الدهقنة فجعل للأكل قرية دهقاناً وأمر أهلها بطاعته . ويقال : أن موسى ظهر في سنة ستين من ملكه .
وقال غير هشام : أنه لما ملك سار نحو بلاد الترك طالباً بدم جده ايرج بن افريدون فقتل طوج بن افريدون وأخاه سلماً، ثم أن افراسياب بن فشنج بن رستم بن ترك الذي ينسب إليه الأتراك من ولد طوج بن افريدون حارب منوجهر بعد قتله طوج بستين سنة وحاصره بطبرستان ، ثم اصطلحا أن يجعلا حد ما بين ملكيهما رمية سهم رجل من أصحاب منوجهر اسمه ايرشى وكان رامياً شديد النزع فرمى سهماً من طبرستان فوقع بنهر بلخ وصار النهر حد ما بين الترك ولد طوج وعمل منوجهر.
قلت : وهذا من أعجب ما يتداوله الفرس في أكاذيبهم أن رَمْيَة سهم تبلغ هذا
كله ؟!
وقد ذكر أن منوجهر اشتق من الفرات ودجلة ونهر بلخ أنهاراً عظاماً، وأمر بعمارة الأرض . وقيل : إن الترك تناولت من أطراف رعيته بعد خمس وثلاثين سنة من ملكه ، فوبخ قومه ، وقال لهم : أيها الناس! إنكم لم تلدوا الناس كلهم ؛ وأنما الناس ناس ما ناضلوا عن أنفسهم ودفعوا العدو عنهم ، وقد نالت الترك من أطرافكم وليس ذلك إلا بترككم جهاد عدوكم ، لان الله أعطانا هذا الملك ليبلونا أنشكر أم نكفر؟ فيعاقبنا فإذا كان غد فاحضروا . فحضر الناس والاشراف فقام على قدميه فقام له الناس فقال : اقعدوا إنما قمت لأسمعكم فجلسوا فقال :

أيها الناس إنما الخلق للخالق ، والشكر للمنعم ، والتسليم للقادر، ولا بد مما هو
كائن ، وأنه لا أضعف من مخلوق طالباً كان أو مطلوباً، ولا أقوى من خالق ، ولا أقدر ممن طلبته في يده ، ولا أعجز ممن هو في يد طالبه ، وإن التفكر نور والغفلة ظلمة، فالضلالة جهالة ، وقد ورد الأول ، ولا بد للآخر من اللحاق بالأول . إن الله أعطانا هذا الملك فله الحمد، ونسأله الهام الرشد والصدق واليقين ، وأنه لا بد أن يكون للملك على أهل مملكته حق ولأهل مملكته عليه حق . فحق الملك عليهم أن يطيعوه ويناصحوه ويقاتلوا عدوه ، وحقهم على الملك أن يعطيهم أرزاقهم في أوقاتها إذ لا معول لهم إلا عليها، وأنه خازنهم ؛ وحق الرعية على الملك أن ينظر إِليهم ويرفق بهم

ولا يحملهم على ما لا يطيقون ، وإن أصابتهم مصيبة أو تنقص من ثمارهم أن يسقط عنهم خراج ما نقص؛ وأن اجتاحتهم مصيبة أن يعوضهم ما يقويهم على عمارتهم ، ثم يأخذ منهم بعد ذلك قدر ما لا يجحف بهمٍ في سنة أو سنتين ، ألا وإن الملك ينبغي أن يكون فيه ثلاث خصال : أن يكون صديقا لا يكذب ، وأن يكون سخياً لا يبخل ، وأن يملك نفسه عند الغضب فإنه مسلط ويده مبسوطة، والخراج يأتيه فلا يستأثر على جنده ورعيته بما هم أهل له ، وأن يكثر العفو فإنه لا ملك أقوى ولا أبقى من ملك فيه العفو، فإن الملك أن يخطىء في العفو خير من أن يخطىء في العقوبة، ألا وإن الترك قد طمعت فيكم فاكفونا فإنما تكفون أنفسكم وقد أمرت لكم بالسلاح والعدة ، وأنا شريككم في الرأي ، وإنما لي من هذا الملك اسمه مع الطاعة منكم وإنما الملك ملك إذا أطيع فان خولف فهو مملوك وليس بملك ، ألا وإن أكمل الاداة عند المصيبات الأخذ بالصبر والراحة إلى اليقين ، فمن قتل في مجاهدة العدوّ رجوت له بفوز رضوان الله . وإنما هذه الدنيا سفر لأهلها لا يحلون عقد الرحال إلا في غيرها وهي خطبة طويلة .

ثم أمر بالطعام فأكلوا وشربوا وخرجوا وهم له شاكرون مطيعون وكان ملكه مائة

وعشرين سنة .

وزعم ابن الكلبي أن الرائش واسمه الحرث بن قيس بن صيفي بن سبا بن

يعرب بن قحطان ، وكان قد ملك اليمن بعد يعرب بن قحطان ، كان ملكه باليمن أيام ملك منوجهر، وإنما سمي الرائش لغنيمة غنمها فادخلها اليمن فسمي الرائش ، ثم غزا الهند فقتل بها وأسر

وغنم ورجع إلى اليمن ، ثم سار على جبلي طيئ ، ثم على الانبار، ثم على الموصل ووجه منها خيله وعليها رجل من أصحابه يقال له شمر بن العطاف ، فدخل على الترك بأرض أذربيجان [1] فقتل المقاتلة وسبى الذرية وكتب ما كان من مسيره على حجرين وهما معروفان باذربيجان .

ثم ملك بعده ابنه ابرهة ولقبه ذو المنار، وإنما لقب بذلك لأنه غزا بلاد المغرب وأوغل فيها براً وبحراً وخاف على جيشه الضلال عند قفوله فبنى المنار ليهتدوا، وقد زعم أهل

اليمن أنه وجه ابنه العيد[1] بن ابرهة في غزواته إلى ناحية من أقاصي المغرب فغنم وقدم بسبي له وحشة منكرة فذعر الناس منهم فسمي ذو الأذعار، فابرهة أحد ملوكهم الذين توغلوا في البلاد .

وإنما ذكرت من ذكرت من ملوك اليمن ههنا لقول من زعم أن الرائش كان أيام منوجهر وأن ملوك اليمن كانوا عمالاً لملوك فارس .

قصة موسى عليه السلام ونَسَبُهُ وما كان في أيامه من الأحداث

قيل : هو موسى بن عِمْرَان بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن
إسحاق بن إبراهيم ، وولد لاوى ليعقوب وهو ابن تسع وثمانين سنة ، وولد قاهث للاوى وهو ابن ست وأربعين سنة وولد لقاهث يصهر، وولد عمران ليصهر وله ستون سنة، وكان عمره جميعه مائة وسبعاً وأربعين سنة، وولد موسى ولعمران سبعون سنة؛ وكان عمر عمران جميعه مائة وسبعاً وثلاثين سنة ، وأم موسى يوحانذ[1] ، واسم امرأته صفوراً[2] لا بنت شعيب النبي ، وكان فرعون مصر في أيامه قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثاني ، وكانت امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الأول ، وقيل : كانت من بنيِ اسرائيل .
فلما نودي موسى اعلم أن قابوس فرعون مصر مات وقام أخوه الوليد بن مصعب
مكانه ، وكان عمره طويلاً، وكان أعتى من قابوس وأفجر، وأمر بأنْ يأتيه هو وهارون بالرسالة، ويقال : إنّ الوليد تزوج آسية بعد أخيه ، ثم سار موسى إلى فرعون رسولاً مع هارون ، فكان من مولد موسى إلى أن أخرج بني اسرائيل من مصر ثمانون سنة ، ثم سار إلى التيه بعد أن مض وعبر البحر، وكان مقامهم هنالك إلى أن خرجوا مع يوشع بن نون أربعين سنة فكان ما بين مولد موسى إلى وفاته مائة وعشرون سنة .

قال ابن عباس وغيره دخل حديث بعضهم في بعضن : إن الله تعالى لما قبض
يوسف ، وهلك الملك الذي كان معه ، وتوارثت الفراعنة ملك مصر، ونشر الله بني إِسرائيل . لم يزل بنو اسرائيل تحت يد الفراعنة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف

ويعقوب لإسحاق وابراهيم شرعوا فيهم من الاسلام حتى كان فرعون موسى ، وكان أعتاهم على الله وأعظمهم قولاً وأطولهم عمراً، واسمه فيما ذكر الوليد بن مصعب ، وكان سيء الملكة على بني اسرائيل يعذبهم ويجعلهم خولاً ويسومهم سوء العذاب ،فلما أراد الله أن يستنقذهم بلغ موسى الأشد وأعطاه الرسالة ، وكان شأن فرعون قبل ولادة موسى أنه رأى في منامه ثمان ناراً أقبلت من بيت المقدس حق اشتملت على بيوت مصر، فاحرقت القبط وتركت بني اسرائيل وأخربت بيوت مصر، فدعا السحرة والحزاة[1] والكهنة، فسألهم عن رؤياه ، فقالوا : يخرج من هذا البلد يعنون بيت المقدس الذي جاء بنو اسرائيل منه رجل يكون على وجهه هلاك ممر، فأمر أن لا يولد لبني اسرائيل مولود إلا ذبح ويترك الجواري ، وقيل : إنه لما تقارب زمان موسى أتى المنجمون فرعون وحزاته إليه ، فقالوا : اعلم أنا نجد في علمنا أن مولوداً من بني اسرائيل ، قد أظلك زمانه الذي يولد فيه يسلبك ملكك ويغلبك على سلطانك ويبدل دينك ، فأمر بقتل كل مولود يولد في بني اسرائيل . وقيل : بل تذاكر فرعون وجلساؤه معاً ما وعد الله عز وجل ابراهيم أن يجعل في ذريته أنبياءً وملوكاً، فقال بعضهم : إن بني اسرائيل لينتظرون ذلك ، وقد كانوا يظنونه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا وعد الله إبراهيم ، فقال فرعون : كيف ترون ؟ فاجمعوا على أن يبعث رجالاً يقتلون كل مولود في بني إسرائيل وقال للقبط : انظروا مماليككم الذين يعملون خارجاً فأدخلوهم واجعلوا بني إسرائيل يلون ذلك فجعل بني إسرائيل في أعمال غلمانهم فذلك حين يقول الله عز وجل : (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة

منهم يذبح أبناءهم) فجعل لا يولد لبني إسرائيل مولود إلا ذبح ؛ وكان يأمر بتعذيب الحبالى حتى يضعن ، فكان يشقق القصب ويوقف المرأة عليه فيقطع أقدامهن ، وكانت المرأة تضع فتتقي بولدها القصب ، وقضى الله الموت في مشيخة بني اسرائيل ، فدخل رؤوس القبط فرعون وكلموه ، وقالوا : إن هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت فيوشك أن يقع العمل على غلماننا. تذبح الصغار وتفني الكبار؟! فلو أنك كتبت تبقي من أولادهم فأمرهم أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة، فلما كان في تلك السنة التي تركوا فيها ولد هرون ، وولد موسى في السنة التي يقتلون فيها وهي السنة المقبلة، فلما أرادت أمه وضعه حزنت من شأنه فأوحى الله إليها أي ألهمها (أنْ أرْضِعِيْه فَإذَا خِفْتِ عَلَيْه فَألْقِيْه

فِي اليَمّ)[1] – وهو النيل – (وَلَا تَخَافي وَلَا تَحْزَنِي إنّا رَادُّوه إِلَيْك وَجَاعِلُوه مِن المُرْسَلِيْن)[2] فلما وضعته أرضعته ، ثم دعت نجاراً فجعل له تابوتاً وجعل مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه وألقته في اليم ، فلما توارى عنها أتاها إبليس فقالت في نفسها : ما الذي صنعت بنفسي ؟ لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحمت إلى من أن ألقيه بيدي إلى حيتان البحر ودوابه ، فلما ألقته (قَالَتْ لاخْتِهِ) واسمها مريم (قُصّيْه) – يعني قُصّي أثره – (فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُم لا يَشْعُرُون)[3] أنها أخته فأقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين أشجار عند دور فرعون فخرج ، جواري آسية امرأة فرعون يغتسلن ، فوجدن التابوت فأدخلنه إلى آسية وظنن أن فيه مالاً فلما فتح ونظرت إليه آسية وقعت عليها رحمته وأحبته ، فلما أخبرت به فرعون وأتته به قالت هو: (قُرةُ عَيْنٍ لِي وَلَك لَا تَقْتُلُوه)[4] ، فقال فرعون : يكون لك ، وأما أنا فلا حاجة لي فيه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (والذي يحلف به لو أقَرّ فرعون أنْ يكون له قرة عين كما أقَرّتْ لهداه الله كما هداها)[5] .

وأراد أن يذبحه فلم تزل آسية تكلمه حتى تركه لها ، وقال إني أخاف أن يكون هذا

من بني اسرائيل، وأن يكون هذا الذي على يديه هلاكنا فذلك قوله عز وجل (فَالْتَقَطَه آلُ فِرْعَوَنَ ليَكُونَ لَهُمْ عَدوًا وَحَزَناً)[6] وأرادوا له المرضعات فلم يأخذ من أحد من النساء فذلك قوله : (وَحَرمْنَا عَلَيه المَرَاضِع مِنْ قَبْل فقالت)[7]: أخته مريم : (هَلَ أدُلّكم عَلَى أهْل بَيْتٍ يَكْفُئونه لَكم وَهُم لَه ناصِحُون)[8] ؟ فأخذوها وقالوا : ما يدريك ما نُصْحُهُم له ؟ هل يعرفونه ؟ حتى شَكوا في ذلك .

فقالت : نصحُهُم له شفقتهم عليه ورغبتهم في قضاء حاجة الملك ورجاء منفعته ،

فانطلقت إلى أمه فأخبرتها الخبر فجاءت أمه فلما أعطته ثديها أخذ منها فكادت تقول : هذا ابني فعصمها الله –وإنما سمي موسى لأنه وجد في ماء وشجر والماء بالقبطية مو والشجر سا – فذاك قوله تعالى : ﴿فَرَدَدْنَاه إلى أمه كَي تَقَر عَيْنُها وَلَا تَحْزَن ﴾[1] وكان غيبنه عنها ثلاثة أيام وأخذته معها إلى بيتها، واتخذه فرعون ولداً فدعي ابن فرعون فلما تحرك الغلام حملته أمه إلى آسية فأخذته ترقصه وتلعب به وناولته فرعون فلما أخذه إليه أخذ الغلام بلحيته فنتفها ، قال فرعون علي بالذباحين يذبحونه هو هذا قالت آسية : (لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً) إنما هو صبي لا يعقل ، وإنما فعل هذا من جهل ، وقد علمت أنه ليس في مصر امرأة أكثر حلياً مني أنا أضع له حلياً من ياقوت وجمراً ، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه ، وأن أخذ الجمر فإنما هو صبي ، فأخرجت له ياقوتها ووضعت له طشتاً من جمر، فجاء جبريل فوضع يده في جمرة، فأخذها فطرحها موسى في فمه فأحرقت لسانه ، فهو الذي يقول الله تعالى : (وَاحْلُل عُقْدَةً مِن لسانِي يَفْقَهُوا قَوْلي)[2] فدرأت عن موسى بتلك القتل .

وكبر موسى، وكان يركب مركب فرعون ، ويلبس ما يلبس ، ويدعى موسى بن

فرعون ، وامتنع به بنو اسرائيل ولم يبق قبطي يظلم اسرائيلياً خوفاً منه ، ثم أن فرعون ركب مركباً وليس عنده موسى، فلما جاء موسى قيل له : فرعون قد ركب فركب موسى في أثره فأدركه المقيل بأرض يقال لها منف وهذه مَنْف (بفتح الميم وسكون النون) مصر القديمة التي هيِ مصر يوسف الصديق وهي الآن قرية كبيرة[3] فدخل نصف النهار–وقد أغلقت أسواقها – على

حين غفلة من أهلها، فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته يقول : هذا إسرائيلي قيل : إنه السامري وهذا من عدوه يقول : من القبط ، فاستغاثه الذي من شيعته على، الذي من عدوه ، فضغب موسى لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بي اسرائيل وحفظه لهم ، وكان قد حماهم من القبط وكان الناس لا يعلمون أنه منهم

بل كانوا يظنون أن ذلك بسبب الرضاع ، فلما اشتد غضبه وكزه (فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَل الشيْطَان انه عَدو مُضِل مُبِيْن . قال :رَبئ إني ظَلَمتُ نَفْسِي فَاغْفِر لِي فَغَفَرَ له إنه هُوَ الغَفُورُ الرحِيم)[1] أوحى الله تعالى إلى موسى وعزتي لو أن النفس التي قتلت أقرت له ساعة واحدة إني خالق رازق ، لأذقتك العذاب قال : " (رَبى بمَا أنْعَمْتَ عَلي فَلَنْ أكُونَ ظَهِيراً للمُجْرِميْن *فَأصْبَحَ فِي المَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقب)[2]أنَ يؤخذ، (فَإذَا الَّذي أسْتَنْصَرَهُ بالأمْسِ يسْتصْرِخُه)[3] يقول يستعينه (قَالَ له مُوسَى إنك لَغَوِي مُبِينْ)[4] ثم أقبل لينصره ، فلما نظر إلى مرسى وقد أقبل نحوه ليبطش بالرجل الذي يقاتل الاسرائيلي خاف أن يقتله من أجل أنه أغلظ له في الكلام قال : (أترِيدُ أنْ تَقْتُلني كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بالأمْس إنْ تُرِيْدُ إلآ أنْ تَكُونَ جَباراً في الأرْضِ وَمَا تُريدُ أنْ تَكُونَ مِن المُصْلِحِيْن)[5] فترك القبطي فذهب فأفشى عليه أن موسى هو الذي قتل الرجل فطلبه فرعون وقال : خذوه فإنه صاحبنا، فجاء رجل فأخبره ، وقال له : (إن المَلَأ يأتَمِرون بِكَ لَيَقْتُلُوك فَاخْرُج) [6]قيل : كان حزقيل مؤمن آل فرعون كان على بقية من دين ابراهيم عليه السلام وكان أول من آمن بموسى .

فلما أخبره خرج من بينهم (خَائِفاً يتَرَقب قال رَبى نَجني مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينْ)[7] وأخذ في ثنيات الطريق ، فجاءه مَلَكٌ على . فرس وفي يده عَنَزَة – وهي

الحربة الصغيرة– فلما رآه موسى سجد له [8]من الفَرَق ، فقال له :لا تسجد لي ولكن اتبعني فهداه نحو مدين ، وقال موسى وهو متوجه إليها : (عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) فانطلق به الملك حتى انتهى به إلى مدين فكان قد سار وليس معه طعام

وكان يأكل ورق الشجر، ولم يكن له قوة على المشي فما بلغ مدين حتى سقط خف قدمه .

ف (لَمَّا[1] وَرَدَ مَاء مَدْيَن)- قصد الماء - (وَجَدَ عَلَيْه أمَةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُون

وَوَجَدَ مِن دُونهِمُ امْرَأتَيْن تَذُودان) أي تحبسان غنمهما وهما ابنتا شعيب النبي وقيل : ابنتا يثرون وهو ابن أخي شعيب ، فلما رآهما موسى سألهما (مَا خَطْبُكُما قَالَتا لَا نَسْقِي حَتى يُصدِرَ الرعاءُ وَأبُونَا شَيْخ كَبِيْر)[2] فرحمهما موسى فأتى البئر فاقتلع صخرة عليها كان النفر من أهل مدين يجتمعون عليها حتى يرفعوها فسقى لهما غنمهما فرجعتا سريعاً وكانتا إنما تسقيان من فضوِل الحياض وقصد موسى شجرة هناك ليستظل بها، فقال : (رَبى اني أنْزَلْتَ إلي مِنْ خيْرٍ فَقِيْر)[3] قال ابن عباس : لقد قال موسى ذلك ولو شاء انسان أن ينظر إلى خضرة أمعائه من شدة الجوع لفعل وما سأل إلا أكله .

فلما رجع الجاريتان إلى أبيهما سريعاً سألهما فأخبرتاه ، فأعاد إحداهما إلى

موسى تستدعيه فأتته وقالت له : (إن أبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَك أجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا)[4] فقام معها فمشت بين يديه ، فضربت الريح ثوبها، فحكى عجيزتها فقال لها : امش خلفي ودليني على الطريق فإنا أهل بيت لا ننظر في أعقاب النساء.

فلما أتاه (وَقَص عَلَيْه القَصَّ قَال : لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِن القَوْمِ الظالِمِيْن قالت إحداهما) [5]- وهي التي احضرته - (يَا أبَت أسْتَأجِرْه إنَ خَيْر مَنْ آسْتَأجَرْتَ القَوِيّ الأمِينْ)[6] قال لها أبوها : القوة قد رأيتها فما يدريك بأمانته ؟ فذكرت له ما أمرها به من المشي خلفه ، فقال له أبوها : (إنّي أرِيد أنْ أنكِحَكَ إحْدَى ابْنَتي هَاتَيْن عَلَى أنْ تَأجُرَني) نفسك (ثَمَاني حِجَج فَإنْ أتمَمْتَ عَشْراً

فَمِنْ عِنْدِك)[7] فقال له موسى : (ذَلك بَيْنِي وبَيْنِك أيَما الأجَلَيْن قَضَيْتُ فَلاَ عُدْوَانَ عَلَى وَالله عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيل)[8].

فأقام عنده يومه ، فلما أمسى أحضر شعيب العشاء، فامتنع موسى من الأكل ،

فقال : ولم ذلك ؟ قال : إنا من أهل بيت لا نأخذ على اليسير من عمل الآخرة الدنيا بأسرها . فقال شعيب : ليس لذلك أطعمتك ، إنما هذه عادتي وعادة آبائي . فأكل .

وآزدادت رغبة شعيب في موسى ، فزوجه ابنته [1] التي احضرته واسمها صفورا ،وأمرها أنْ تأتِيَهَ بعصا فاتته ، وكانت تلك العصا قد أستودعها إياه ملك في صورة رجل ،فدفعتها إليه فلما رآها أبوها أمرها بِرَدها والإتيان بغيرها فألقتها وأرادت أنْ تأخذ غيرها فلم تقع بيدها سواها جعل يَرُددها وكل ذلك لا يخرج في يدها غيرها، فأخذها موسى ليرعى بها، فندم أبوها حيث أخذها وخرج إليه ليأخذها منه حيث هي وديعة، فلما رآه موسى يريد أخذها منه مانعه فحكما أول رجل يلقاهما، فأتاهما مَلكٌ في صورة آدمي ،فقضى بينهما أنْ يضعها موسى في الأرض ، فمَنْ حملها في له ، فألقاها موسى، فلم يُطِق أبوها حَمْلَها، وأخذها موسى بيده ، فتركها له ؛ وكانت من عوسج [2]لها شعبتان وفي رأسها محجن؛ وقيل : كانت من آس الجنة حملها آدم معه ، وقيل في أخذها غير ذلك[3].

وأقام موسى عند شعيب يرعى له غنمه عشر سنين وسار بأهله في زمن شتاء وبرد،فلما كانت الليلة التي أراد الله عز وجل لموسى كرامته وابتداءه فيها بنبوته وكلامه أخطأ فيها الطريق حتى لا يدري أين يتوجه؛ وكانت امرأته حاملًا، فأخذها الطلق في ليلة شاتية ذات مطر ورعد وبرق ، فأخرج زنده ليقدح ناراً لأهله ليصطلوا ويبيتوا حتى يصبح ويعلم وجه طريقه ، فاصلد زنده فقدح حتى أعيا ، فرفعت له نار فلما رآها أنها نار وكانت من نور الله ف (قَالَ لأهْله امْكُثُوا إني آنَسْتُ نَاراً لَعَلي آتِيْكُم مِنْها بخَبر)، فإن لم أجد خبراً) آتِيْكم بِشهَابِ قَبْسٍ لَعَلّكم تَصْطَلون) فحين قصدها

رآها نوراً ممتداً من السماء إلى شجرة عظيمة من العوسج ، وقيل من العناب فتحير موسى وخاف حين رأى ناراً عظيمة بغير دخان وهي تلتهب في شجرة خضراء لا تزداد النار إلا عظماً ولا تزداد الشجرة إلا

خضرة .

فلما دنا منها استأخرت عنه ففزع ورجع ، (فنُودِيَ) منها، فلما سمع الصوت

استأنس فعاد، فلما أتاها نُودِيَ من شاطىء الوادي الأيمن من الشجرة في البقعة المباركة أن بورك من في النار ومن حولها يا موسى إني إنا الله رب العالمين .

فلما سمع النداء ورأى تلك الهيبة علم أنه ربه تعالى فخفق قلبه وكلّ لسانه وضعفت قوته وصار حياً كميت إلا أن الروح تتردد فيه فأرسل الله إليه ملكاً يشد قلبه فلما ثاب إليه عقله نودي (اخْلَع نَعْلَيْك إنّك بالوَادِي المُقَدس طُوَى)[1] وإنما أمر بخلع نعليه لأنهما كانتا من جلد حمار ميت وقيل : لينال قدمه الأرض المباركة .

ثم قال له –تسكيناً لقلبه – (وَمَا تِلك بِيَمِيْنِكَ يا مُوسَى .قَالَ هِي عَصَايَ أتَوَكأ

عَلَيْها وَأهُشُّ بها عَلَى غَنَمِي)[2] يقول : أضرب الشجر فيسقط ورقه للغنم (وَلي فِيْها مَآرب أخْرَى)[3] أحمل عليها المزود والسقاء، وكانت تضيء لموسى في الليلة المظلمة، وكانت إذا أعوزه الماء دلاها في البئر فينال الماء ويصير في رأسها شبه الدلو، وكان إذا اشتهى فاكهة غرسها في الأرض فنبتت لها اغصان تحمل الفاكهة لوقتها[4]. قال له : ألقها يا موسى فألقاها موسى فإذا هي حية تسعى عظيمة الجثة في خفة حركة الجان .

فلما رآها موسى وليّ مدبراً ولم يُعَقّب ، فنُودِيَ : يا موسى لا تخف إنّي لا يخاف

لدي المرسلَون ، أقبل ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى عصا، وإنما أمره الله بإلقاء العصا حتى إذا ألقاها عند فرعون لا يخاف منها .

فلما أقبل قال خُذْها ولا تخف ، وأدخل يدك في فِيّهَا، وكان على موسى جبة صوف فَلَفَّ يده بكُمّه وهو لها هائب [5]، فنُودِيَ ألق

كمك عن يدك فألقاه وأدخل يده بين لِحْيَيْهَا فلما أدخل يده عادت عصا كما كانت لا ينكر منها شيئاً .

ثم قال له : أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء –يعني بَرَصاً –فأدخلها وأخرجها بيضاء من غير سوء مثل الثلج لها نُور، ثم ردها فعادت كما كانت . فقيل له

هذان برهانان من ربك إلى فرعون ومَلَئِهِ إنهم كانوا قوماً فاسقين .

قال : (رَب إني قَتَلْتُ مِنْهُم نَفْساً فَأخَافُ أنْ يَقْتُلُون *وَأخِي هَارُونُ هُوَ أفْصَحُ منى لساناً فأرسله معى ردأ يصدقنى) [1]أى يبين لهم عنى ما أكلمهم به فإنه يفهم عني مالا يفهمون ،قال : (سنشد عَضُدَكَ بأخِيْكَ وَنَجْعَل لَكُمَا سُلْطاناً فَلَا يَصِلُونَ إليكما بآياتِنَا أنْتُمَا وَمَنْ اتبعكما الغَالِبُون)[2] .

فأقبل موسى إلى أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلاً، فتضيَّف على أمه وهو

لا يعرفهم ولا يعرفونه فجاء هارون ، فسألها عنه ، فاخبرته أنه ضيف فدعاه فأكل معه وسأله هارون من أنت ؟ قال : أنا موسى فاعتنقا .

وقيل : إنّ الله تَرَكَ موسى سبعة أيام ، ثم قال : أجب ربك فيما كَلمَك ، فقال :

) رَبّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي)[3] الآيات فأمره بالمسير إلى فرعون ولم يزل أهله مكانهم لا يدرون ما فعل حتى مرراع من أهل مدين فعرفهم فاحتملهم إلى مدين فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعد ما فلق البحر فساروا إِليه .

وأما موسى فإنه سار إلى مِصْر، وأوحى الله إلى هارون يعلمه بقفول موسى ويأمره بتلقيه ، فخرج من مصر فالتقى به قال موسى يا هارون : إن الله تعالى قد أرسلنا إلى فرعون ،فانطلق معي إليه قال : سمعاً وطاعة .

فلما جاء إلى بيت هارون وأظهر أنهما ينطلقان إلى فرعون سمعت ذلك ابنة

هارون فصاحت أمهما ، فقالت : أنشدكما الله أن لا تذهبا إلى فرعون فيقتلكما جميعاً ،فأبيا، فانطلقا إليه ليلاً، فَضَرَبا بابه ، فقال فرعون لبوابه :مَنْ هذا الذي يضرب بابي هذه الساعة؟ فأشرف علمِهما البواب فكتمهما، فقال له موسى : (إنا رَسُولا رَبّ العَالَمِين)[4]. فأخبر فرعون فأدخل إليه .

وقيل : إن موسى وهارون مكثا سنتين يغدوان إلى باب فرعون ويروحان يلتمسان.

الدخول إليه ، فلم يجسر أحد يخبره بشأنهما حتى أخبره مسخرة كان يضحكه بقوله فأمر حينئذ فرعون بإدخالهما[1].

فلما دخلا قال له موسى : إني رسولٌ مِنْ رَبئ العالمين فعرفه فرعون ، فقال له :) أَلَمْ نُرَبّكَ فِيْنا وَلِيْداً وَلَبِثْتَ فِيْنا مِنْ عُمُرِكَ سِنِين .وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ التي فَعَلْتَ وأنْتَ مِن الكَافِرِيْن قال : فَعَلْتُها إذاً وَأنا مِن الضالِيْن .فَفَرَرْتُ مِنْكم لَمّا خِفْتُكُم فَوَهَبَ لِي رَبّي حُكْماً)–يعني نبوة –(وَجَعَلَنِي مِنَ المُرْسَلِين)[2].

فقال له فرعون : (إنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيةٍ فَأتِ بِهَا إنْ كُنْت مِن الصادِقين *فَألْقَى

عَصَاهُ فَإذَا هِيَ ثُعْبَانُ مُبِين)[3] قد فتَحَ فاه فرضع اللحى الأسفل في الأرض والأعلى على القصر وتوجه نحو فرعون ليأخذه ؛ فخافه فرعون ، ووثب فَزِعاً فأحدث في ثيابه ، ثم بقي بضاً وعشرين يرماً يجيء بطنه حتى كاد يهلك؛ وناشده فرعون بربه تعالى أنْ يرد الثعبان ، فأخذه موسى فعاد عصا، ثم أدخل يده في جيبه وأخرجها بيضاء كالثلج لها نور يتلألأ، ثم ردها إلى ما كانت عليه من لونها، ثم أخرجها الثانية لها نور ساطع في السماء ثكل منه الأبصار قد أضاءت ما حولها يدخل نورها البيوت ويرى من الكوى ومن وراء الحجب فلم يستطع فرعون النظر إليها، ثم ردها موسى في جيبه وأخرجها فإذا هي على لونها.

وأوحى الله تعالى إلى موسى وهارون أنْ : (قولَا لَه قَوْلاً لَيناً لَعله يَتَذَكرُ أوْ يَخْشَى)[4] ، فقال له موسى ة هل لك في أنْ أعطيك شبابك فلا تهرم وملكك فلا ينزع وأرُدُّ إليك لذة المناكح والمشارب والركوب فإذا مت دخلت الجنة وتؤمن بي ؟ فقال : لا، حتى يأتي هامان . فلما حضر هامان عرض عليه قول موسى فعجزه ، وقال

له : تصير تعبد بعد أن كنت تعبد، ثم قال له : أنا أرد عليك شبابك ، فعمل له الوسمة، فخضبه بها فهو

أول من خضب بالسواد فلما رآه موسى هاله ذلك فأوحى الله إليه لا يهولنك ما ترى فلن يلبث إلا قليلًا .

فلما سمع فرعون ذلك خرج إلى قومه ، فقال : إنّ هذا لساحر عليم وأراد قتله ،

فقال مر من آل : فرعون : – واسمه حزقيل – (أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّي الله وَقَدْ جَاءَكم بالبينَات)[1] وقال المَلأ مِن قَوْم فِرْعَون : (أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابعَثْ في المَدَائِنَ حَاشِرِين *يَأتُوكَ بِكُلّ سَحّارٍ عَلِيم) [2]، ففعل وجمع السحرة فكانوا سبعين ساحراً،وقيل اثنين وسبعين ، .وقيل خمسة عشر ألفاً، وقيل ثلاثين ألفاً فوعدهم فرعون وآتَّعَدُوا يوم عيد كان لفرعون ، فصَفهم فرعون وجمع الناس ، وجاء موسى ومعه أخوه هارون وبيده عصاه حتى أتن الجمعِ وفرعون في مجلسه مع أشراف قومه . فقال موسى للسحرة حين جاءهم : (ويلَكُم لَا تفْتَرُوا عَلَى الله كَذِباً فَيُسْحِتَكُم بعَذَاب)[3]. فقال السحرة ز بعضهم لبعض : ما هذا بقول ساحر؟ ثم قالوا: لنأتينك بسحر لمَ تر مثله ، (وَقَالُوا :بِعزَة فِرْعَون إنا لَنَحْنُ الغَالِبُون)[4] ، فقال له السحرة : (يَا مُوسَى إما أنْ تُلْقِي وَإمّا أنْ !نَكُونَ نَحْنُ المُلْقِين)[5] قال : بلْ ألْقُوا فَألْقُوا حِبَالهُم وَعِصِيَّهُم فإذا هي في رأى العين حيات أمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً ، فأوجس موسى خوفاً، فأوحى الله إليه أن ألقِ ما في يمينك تَلْقَفْ ما صنعوا، فألقى عصاه من يده فصارت ثعباناً عظيماً فآستعرضتْ ما ألقوا من حِبالهم وعصيهم وهي كالحيات في أعين الناس ، فجعلت ، تلقفها ،تبتلعها حتى لم تبق منها شيئاً. ثم اخَذَ موسى عصاه فإذا هي في يده كما كانت ،وكان رئيس السحرة أعمى، فقال له أصحابه : إن عصا موسى

صارت ثعباناً عظيماً وتلقف حبالنا وعصينا . فقال لهم : ولم يبق لها أثر ولا عادت إلى حالها الأول ؟ فقالوا لا. فقال : هذا ليس بسحر.

فخر ساجداً وتبعه السحرة أجمعون ، (وقَالُوا : آمَنّا برَب العَالَمين رَبِّ مُوسَى

وَهاَرُون ، قَالَ فِرْعون : آمَنْتُم بِهِ قَبْلَ أنْ آذَنَ لَكُم ؟ إنّه لَكَبِيْرُكُم الذِي عَلَمَكُم السحْرَ،

فَلأقَطعَنّ أيْدِيَكم وَأرْجُلَكُم نِنْ خِلَافٍ ، وَلأصَلبَنّكُم في جُذُوعِ النَخْل)[1]. فقطعهم

وقتلهم وهم يقولون : (رَبَنَا افْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفنَا مُسْلِمِين)[2] فكانوا أول النهار كفاراً وآخر النهار شهداء .

وكان حزقيل مؤمن آل فرعون يكتم إيمانه قيل : كان من بني إسرائيِل ، وقيل: كان من القبط ، وقيل : هو النجار الذي صنع التابوت الذي جعل فيه موسى وألقي فيِ النيل : فلما رأى غلبة موسى السحرة م ظهر إيمانه ، وقيل : أظهر إيمانه قبل ذلك ، وكان فرعون أراد قتل موسى، (فَقَالَ : أتَقْتُلُونَ رَجُلاً أنْ يَقُولَ رَبَي الله وَقد جَاءَكُمْ بِالبَينات مِن ربكُم) : فلما أظهر إِيمانه قتل وصلب مع السحرة .

وكان له امرأة مؤمنة تكتم إيمانها أيضاً وكانت ماشطة ابنة فرعون ، فبينما هي تمشطها إذْ وَقَعَ المشط من يدها، فقالت : " بسم الله "، فقالت ابنة فرعون : أبي ؟ ! قالت لا بل ربي وربك ورب أبيك . فأخبرَتْ أباها بذلك ، فدعا بها وبولدها، وقال لها مَنْ ربك ؟ قالت : ربي وربك الله ، فأمر بتنور نحاس فأحميَ ليعذبها وأولادها، فقالت له : لي إليك حاجة . قال : وما هي ؟ قالت : تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها .قال : ذلك لك أمر بأولادها فألقوا في التنور واحداً واحداً ؛ وكان آخر أولادها صبياً صغيراً؛ فقال : اصبري يا أماه فإنك على الحق . فألقيت في التنور مع ولدها .

وكانت آسية امرأة فرعون من بني إسرائيل – وقيل : كانت من غيرهم – وكانت

مؤمنة تكتم إيمانها فلما قُتِلَت الماشطة رأت آسية الملائكة تعرج بروحها كشف الله عن بصيرتها ، وكانت تنظر إليها وهي تُعَذَب ،

فلما رأت الملائكة قويَ إيمانها وازدادت يقيناً وتصديقاً لموسى ، فبينما هي كذلك إذْ دخل عليها فرعون فأخبرها خبر الماشطة ، قالت له آسية : الويل لك ما أجرأك على الله ؟ فقال لها : لعلك اعتراك الجنون الذي اعترى الماشطة . فقالت : ما بي جنون ولكني آمنت بالله تعالى ربي وربك ورب العالمين.

فدعا فرعون أمها . وقال لها : إن ابنتك قد أصابها ما أصاب الماشطة ، فأقسِم لتذوقن الموت أو لتكفرَن بإله موسى . فخَلَتْ بها أمها وأرادتها على موافقة فرعون فأبت وقالت : أما أنْ أكفر بالله فلا والله .

فأمر فرعون حتى مدتْ بين يديه أربعة أوتاد وعُذِّبَتْ حتى ماتت . فلما عاينت
الموت قالت : (رَبى ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الجَنة وَنَجِّني مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِه وَنَجني مِن القَوْمِ الظالِمِيْن)[1] فكشف الله عن بصيرتها. فرأت الملائكة وما أعد لها من الكرامات ، فضحكت فقال فرعون : انظروا إلى الجنون الذي بها تضحك وهى في العذاب ثم ماتت .

ولما رأى فرعون قومه قد دخلهم الرعب مِنْ موسى خاف أن يؤمنوا به ويتركوا
عبادته فاحتال لنفسه ، وقال لوزيره يَا هَامَان : ابن لِي صُرْحاً لَعلّي أطَّلِعُ إلى إله موسى لي إني لأظنه كاذباً.

فأمر هامان بعمل الآجر وهو أول من عمله . وجَمَع الصناع وعمله في سبع سنين ، وارتفع البنيان ارتفاعاً لم يبلغه بنيان آخر، فشق ذلك على موسى واستعظمه [2]، فأوحى الله إليه أن دعه وما يريد ، فإني مستدرجه ومبطل ما عمله في ساعة واحدة، فلما تم بناؤه أمر الله جبريل فَخَربه وأهْلَكَ كُلّ مَنْ عمل فيه من صانع ومستعمل .

فلما رأى فرعون ذلك مِنْ صُنع الله أمر أصحابه بالشدة على بني اسرائيل وعلى موسى ففعلوا ذلك ، وصاروا يكلفون بني اسرائيل من العمل مالا يطيقونه ، وكان الرجال والنساء في شدة وكانوا قبل ذلك يطعِمُون بني إسرائيل إذا استعملوهم ، فصاروا لا يطعمونهم شيئاً فيعودون بأسوء حال يريدون يكسبون ما يقوتهم فشكوا ذلك إلى موسى ، فقال لهم : استعينوا بالله واصبروا إن

العاقبة للمتقين وإن الله يستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون .

فلما أبى فرعون وقومه إلا الثبات على الكفر تابع الله عليه الآيات فأرسل عليهم

الطوفان وهو المطر المتتابع فغرق كل شيء لهم ، فقالوا : يا موسى ادع ربك يكشف عنا هذا ونحن نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل . فكشفه الله عنهم ونبتت زروعهم ، فقالوا : ما يَسُرُّنَا أنا لم نمطر.

فبعث اللُه عليهم الجراد فأكل زروعهم ، فسألوا موسى أن يكشف ما بهم ويؤمنون
به فدعا الله ، فكشفه ، فلم يؤمنوا وقالوا : قد بقي من زروعنا بقية .
فأرسل عليهم الدبا وهو القمل فأهلك الزروع والنبات أجمع ، وكان يهلك أطعمتهم ولم يقدروا أن يحترزوا منه فسألوا موسى أنْ يكشفه عنهم ففعل فلم يؤمنوا . فأرسل عليهم الضفادع ، وكانت تسقط في قدورهم وأطعمتهم ، وملأت البيوت
علبهم ، فسألوا موسى أن يكشفه عنهم ليؤمنوا به ففعل فلم يؤمنوا.
فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياه الفرعونيين دَماً ،وكان الفرعوني والإسرائيلي يستقيان من ماءٍ واحد فيأخذ الإسرائيلي ماء ويأخذ الفرعوني دماً، وكان الاسرائيلي يأخذ الماء في فمه فيمجه في فم الفرعوني فيصير دماً فبقي ذلك سبعة أيام .
فسألوا موسى أن يكشفه عنهم ليؤمنوا ففعل فلم يؤمنوا.
فلما يئس من إِيمانهم ومن إيمان فرعون دَعَا موسى وأمَنَ هارون ، فقال : (ربَنَا
إنكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأهُ زِيْنَةً وَأمْوَالاً فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا ليضِلُّوا عَنْ سَبِيلِك رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أمْوَالِهِم وَأشْدُدْ عَلَن قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤمِنُوا حَتَّى يَرَوا العَذَابَ الأَلِيمْ)[1] . فاستجاب الله لهما فمسخ الله أموالهم ما عدا خيلهم وجواهرهم وزينتهم حجارة والنخل والأطعمة والدقيق وغير ذلك فكانت إحدى الآيات التي جاء بها موسى .

فلما طال الأمر على موش أوحى الله إليه يأمره بالمسير ببني اسرائيل وأن يحمل

معه تابوت يوسف بن يعقوب ويدفنه بالأرض المقدسة ، فسأل موسى عنه فلم يعرفه إلا امرأة عجوز فأرته مكانه في النيل ، فاستخرجه موسى وهو في صندوق مرمر، فأخذه معه فسار وأمر بني إسرائيل أن يَسْتَعِيْرُوا مِنْ حلي القبط ما أمكنهم ففعلوا ذلك وأخذوا شيئاً كثيراً وخرج موسى ببنيِ اسرائيل ليلاً والقبط لا يعلمون ، وكان موسى على ساقة بني إسرائيل وهارون على مقدمتهم ، وكان بنو اسرائيل لما ساروا من مصر ستمائة ألف وعشرين ألفاً تبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان . (فَلمَا تَرااى الجَمْعَانِ قَالَ أصْحَابُ مُوسَى : إنّا لَمُدْرَكُون)[1] يا موسى! أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا، أما الأول فكانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا، وأما الآن فيدركنا فرعون فيقتلنا قال موسى (كَلا إنْ

مَعِي رَبي سَيَهْدِيْن)[1] .

وبلغ بنو اسرائيل إلى البخر وبقي بين أيديهم وفرعون من ورائهم فأيقنوا بالهلاك ؛ فتقدم موسى فضرب البحر بعصاه ، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وصار فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق ، فقال كل سبط ، قد هلك أصحابنا فأمر الله الماء فصار ، كالشباك ؟ فكان كل سبط يرى من عن يمينه وعن شماله حتى خرجوا؟ ودنا فرعون وأصحابه من البحر، فرأى الماء على هيئته والطرق فيه ، فقال لأصحابه ألا ترون البحر قد فرق مني وانفتح لي حتى أدرك أعدائي ؟ فلما وقف فرعون على أفواه الطُّرُق لم . تقتحمه خيله فنزل جبريل على فرس أنثى وديق فشمت الحصن ريحها، فاقتحمت في أثرها حتى إذا هَم أولُهُم أنْ يخرج ودخل آخرهم ، أمر البحر أنْ يأخذهم ، فالتطم عليهم ، فأغرقهم وبنو إسرائيل ينظرون إليهم ، وانفرد جبريل بفرعون يأخذ من حمأة[2] البحر فيجعلها في فيه ، وقال حين أدركه الغرق : (آمَنْتُ أنّه لَا إلَه إلا الَذي آمَنَتْ به بَنُو إسْرَائيل)[3] وغرق ، فبعث الله إليه ميكائيل يُعيَرُهُ ، فقال له : (الآن وَقَد عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِن المُفْسِدِيْن)[4] وقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم : "لو رأيتني وأنا أدُسُّ من حمأة البحر في فم فرعون مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها)[5] .

فلما نجا بنو إسرائيل قالوا : إن فرعون لم يغرق ، فدعا موسى ، فأخرج الله فرعون غَرِيقاً ، فأخذه بنو إِسرائيل يتمثلون به .

ثم ساروا فأتوا على قوم يعبدون الأصنام ، فقالوا : يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم

آلهة . قال : إنكم قوم تجهلون ، فتركوا ذلك .

ثم بعث موسى جندين عظيمين كل جند اثنا عشر ألفاً إلى مدائن فرعون وهي

يومئذ خالية من أهلها قد أهلك الله عظماءهم ورؤساءهم ،ولم يبق غير النساء والصبيان لا زمن والمرضى والمشايخ والعاجزين ، فدخلوا البلاد وغنموا الأموال . وحملوا ما اطاقوا وباعوا ما عجزوا عن حمله على غيرهم ، وكان على الجندين يوشع بن نون ، وكالب بن يوفنا، وكان موسى قد وعده الله وهو بمصر انه إذا خرج مع بني اسرائيل منها ،وأهلك الله عدوهم أنْ يأتيهم بكتابٍ فعِه مايأتون وما يذرون .

فلما أهلك الله فرعون وأنجى بني إسرائيل قالوا : يا موسى ائتنا بالكتاب الذي

وعدتنا. فسأل موسى ربه ذلك فأمره أن يصوم ثلاثين يوما ً،ويتطهر،ويطهر ثيابه ،ويأتي جبل – جبل طور سيناء – ليكلمه ويعطيه الكتاب ، فصام ثلاثين يوماً أولها أول ذي القعدة وسار إلى الجبل واستخلف هارون على بني اسرائيل .

فلما قصد الجبل أنكر ريح فمه فتَسوك بعُودِ خرنوب ، وقلِى تسوك بلحاء شجرة، فأوحى الله إليه أمَا علمتَ أن خَلُوف [1]فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك ؟وأمره أن يصوم عشرة أيام أخرى فصامها وهي عشر ذي الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة ففي : لك الليالي العشر افتتن بنو اسرائيل لأن الثلاثين انقضت ولم يرجع إليهم موسى .

وكان السامري من أهل باجَرْمى[2]وقيل من بني اسرائيل ، فقال هارون : يا بني اسرائيل إن الغنائم لا تحل لكم والحلى الذي استعرتموه من القبط غنيمة، فاحفروا حفرة وألقوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه ففعلوا ذلك. وجاء السامرى بقبضة

من التراب الذى أخذه من أثر حافر فرس جبريل فألقاه فيه فصار الحلى عجْلاً جسَداً له خُوَار.

وقيل : إن الحلي ألقي في النار فذاب فألفى السامري ذلك التراب فصار الحلي –

عِجْلًا جسداً له خوار، وقيل : كان يخور ويمشي ، وقيل: ما خار إلا مرة واحدة ولم يعد .

وقيل : إن السامري صاغ العجل من ذلك الحلي في ثلاثة أيام ، ثم قذف فيه التراب ، فقام له خوار، فلما رأوه قال لهم السامري :هذا إلهكم واله موسى فنسي موسى وتركه ههنا وذهب يطلبه ، فعكفوا عليه يعبدونه . فقال لهم هارون : يا قوم : إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري . فأطاعه بعضهم وعصاه بعضهم . فأقام بمن معه ولم يقاتلهم . ولَما ناجى الله تعالى موسى . قال له : ما أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوْسَى؟ قال هُمْ أوْلَاء عَلَن أثَرِي ، وَعَجلْتُ إلَيْكَ رَبّي لِتَرْضَى . قال : فإنّا قد فَتَنَّا قومك مِنْ بعدك يا موسى وأضلهم السامري . فقال موسى : يا رب هذا السامري قد أمرهم أن يتخذوا العجل ، من نفخ فيه الروح ؟ قال أنا . قال فأنت اذن أضللتهم .

ثم إن موسى لما كلمه الله تعالى أحب أن ينظر إليه قال : (رَبّ أرِنِي أنْظُر إلَيْك

قَالَ لَنْ تَرَاني وَلَكِن أنْظُر إلَي الجَبَلِ فَإنْ اسْتَقَر مَكَانَه فَسَوْفَ تَرانِي)[1] فتجلى الله

تعالى : (لِلجَبَلِ فَجَعَلُه دَكا، وخَز مُوسَى صَعِقاً فَلما أفَاقَ قال : سُبْحَانَكَ تُبْتُ إلَيْكَ

وأنَا أول المؤمنين)[2].

وأعطاه الألواح فيها الحلال والحرام والمواعظ ، وعاد موسى ولا يقدر أحد أن ينظر إليه ، وكان يجعل عليه حريرة نحو أربعين يوماً ثم يكشفها لما تَغَشاه من النور.

فلما وصل إلى قومه ورأى عبادتها العجل ألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه ولحيته

يجره إليه ، قال : يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ، إني خشيتُ أنْ تقول : فرقت بين بي إسرائيل ولم ترقب قولي ، فترك هارون ، وأقبل على السامري ، وقال : ما خطبك ياسامري ؟ قال : بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي . قال : فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس .

ثم أخذ العجل وبَرَده بالمبارد، وأحرقه ، وأمر السامري فبال عليه وذراه في بر البحر. فلما ألقن موسى الألواح ذهب ستة أسباعها وبقي سبع [3]، وطلب بنو إِسرائيل التوبة، فأبى الله أن يقبل توبتهم ، وقال لهم موسى : (يَا قَوْم ! إنكم ظَلَمْتُم أنْفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُم العِجْلَ ، فَتُوبُوا إلى بَارِئِكُم فاقْتُلُوا أنْفُسَكُم) فاقتتل الذين عبدوه والذين لم .

يعبدوه ، فكان مَنْ قتل من الفريقين شهيداً ، فقتل منهم سبعون ألفاً، وقام موسى وهارون يدعوان الله فعفا عنهم ، وأمرهم بالكف عن القتال وتاب عليهم ، وأراد موسى قَتْل السامري فأمره الله بتركه ، وقال : إنه سخي فلعنه موسى[1].

ثم إِنّ موسى اختار من قومه سبعين رجلاً من أخيارهم ، وقال لهم : انطلقوا معي

إلى الله فتوبوا مما صنعتم ، وصوموا، وتطهروا، وخرج لهم إلى طُور سَيْنَاء للميقات الذي وقته الله له فقالوا : اطلب أن نسمع كلام ربنا . فقال : أفعل.

فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام حَتى تَغَشَّى الجبل كله ودخل فيه

موسى وقال للقوم : ادنوا . فدنوا حَتى دخلوا في النمام فوقعوا سجوداً فسمعوه وهو يكلم موسي يأمره وينها؟، فلما فرغ انكشف عن موسى الغمام ، فأقبل إليهم فقالوا لموسى :)لَن نؤمِنَ لَكَ حَتى نَرَى اللهَ جَهْرَةَ فَأخَذَتْهم الصَّاعِقَةُ) فماتوا جميعاً .

فقام موسى يناشد الله ويدعوه ويقول : يا رب ! اخترتُ أخيار بني اسرائيل وأعود

إليهم وليسوا معي فلا يصدقونني . ولم يزل يتضرع حَتَى رَد الله إليهم أرواحهم فعاشوا رجلاً رجلاً ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون فقالوا : يا موسى! أنت تدعو الله فلا تسأله شيئاً إلا أعطاك فادعه يجعلنا أنبياء فدعا الله فجعلهم أنبياء. وقيل : : أمْرُ السبعين كان قبل أن يتوب الله على بني اسرائيل فلما مضوا للميقات واعتذروا قبل توبتهم وأمرهم أن يقتل بعضهم بعضاً والله أعلم .

ولما رجع موسى إلى بني إسرائيل ومعه التوراة أبَوا أنْ يَقْبَلُوهَا وَيَعْمَلُوا بما فيها

للاثقال والشدة التي جاء بها وأمر الله جبريل فقطع جَبَلاً من فلسطين على قَدْر عسكرهم وكان فرسخاً في فرسخ ورفعه فوق رؤوسهم مقدار قامة الرجل مثل الظلة ،وبعث ناراً مِنْ قبَل! وُجوهِهم وأتاهم البحر من خلفهم ، فقال لهم موسى : (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقوةٍ وَاسْمَعُوا)[2] ، فان قبلتموه وفعلتم ما أمرتم به وإلا رضختكم بهذا الجبل ، وغرقتكم في هذا البحر، واحرقتكم بهذه النار. فلما رأوا أنْ لا مهرب لهم قَبِلُوا ذلك وسجدوا على شِّقِّ وجوههم وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود، فصارت سُنّة في اليهود

يسجدون على جانب وجوههم ، وقالوا : سمعنا وأطعنا.

ولما رجع موسى من المناجاة بقي أربعين يوماً لا يراه أحد إلاَ مات ، وقيل ما رآه

الأعمى فجعل على وجهه ورأسه برنساً لئلا يرى وجهه[1].

ثم إن رجلاً من بني اسرائيل قتل ابن عم له ولم يكن له وارث غيره ليرث باله

وحمله وألقاه بموضع آخر، ثم أصبح يطلب دمه عند موسى من بعض بني إسرائيل ،فجحدوا فسأل موسى ربه ، فأمرهم أن يذبحوا بقرة، فقالوا : (أتَتخِذنَا هُزُواً؟ قَالَ :أعُوذُ بالله أنْ أكُونَ مِن الجَاهِلِينْ)[2] المستهزئين ، فقالوا له : ما هي ؟ ولوِ ذبحوا بقرةٍ ما لأجزأتَ عنهم ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم ، وإنما تشديدهم لأن رجلاَ منهم كان براً بأمه [3]، وكان له بقرة على النعت المذكور، فنفعه بِرُّهُ بأمه ، فلم يجدوا علن الصفة المذكورة إلا بقرته ، فباعها منهم بملء جِلْدِها ذهباً . فلما سألوا موسى عنها: (قال : أنها بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلاَ بِكْر) يقول :لا كبيرة ولا صغيرة نصف بين السنين . (قَالوا : آدْعُ لَنَا رَبكَ يُبَين لَنَا مَا لَوْنُها قال : إنه يَقُولُ : إنَها بَقَرة صَفْراءُ فَاقِع لَوْنُها تَسُر النَاظرِيْنَ *قَالوا ادْعُ لَنا رَبكَ يُبينْ لَنا مَا هي : إنّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلينا [وإنا إن شاء الله لمهتدون]. قال : إنه يَقُولُ : إنَها بَقَرةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيْرُ الأرْضَ وَلَا تَسْقِي الحَرْثَ مُسَئمَةٌ لَاشِيةَ فِيْها)[4] يعني لا عَيْب فيها. وقيل :لا بَيَاضَ فيها، قالوا (الآن جِئْتَ بِالحَقَّ)[5] وطلبوها فلم يجدوا إلا بقرة ذلك الرجل الباز بأمه ، فاشْتَرُوهَا،فغالى بها حق أخذ ملء جلدها ذهباً، فذبحوها وضربوا القتيل بلسانها[6]وقيل بغيره فحي وقال : قتلني فلان ثم مات[7].

ذكر أمر بني اسرائيل في التيه ووفاة هارون عليه السلام

ثم ان الله تعالى أمر موسى عليه السلام أنْ يسير ببني اسرائيل إلى أريحاء بلد الجبارين وهي أرض بيت المقدس ، فساروا حتى كانوا قريباً منهم ، فبعث موسى آثنيْ عَشَر نقيباً من سائر أسباط بني اسرائيل ، فساروا ليأتوا بخبر الجبارين ، فلقيهم رجل من الجبارين يقال له " عوج بن عناق " فأخذ الأثني عشر، فحملهم وانطلق بهم إلى امرأته فقال : انظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يريدون أنْ يقاتلونا وأراد أن يطأهم برجله ، فمنعته امرأته ، وقالت : أطلقهم ليرجعوا ويخبروا قومهم بما رأوا ، ففعل ذلك؛ فلما خرجوا قال بعضهم لبعض : إنكم إِن أخبرتم بني اسرائيل بخَبر هؤلاء لا يقدموا عليهم ، فآكتُمُوا الأمر عنهم ، وتعاهدوا على ذلك ، ورجعوا ، فنكث عشرة منهم العهد وأخبروا بما رأوا وكتم رجلان منهم وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا[1] خَتَن موسى ولم يخبروا إلا موسى وهارون .

فلما سمع بنو اسرائيل الخبر عن الجبارين امتنعوا عن المسير اليهم (فقال لَهُم مِوسَى :يَا قَوْمِ أبْى خُلَّوا الأرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتي كَتَبَ اللّهُ لَكُم ، وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَن أدْبَارِكُم فَتَنْقلبُوا خَاسِرين) .

قالوا : يا موسى إنَّ فِيْها قَوْماً جباريْن ، وإنا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَى يَخْرُجُوا مِنْها فإن يَخْرُجُوا مِنْها فإنَا داخِلُون (قال رجلان) ، وهما يوشع وكالب (مِنَ الَّذِينَ يَخَافون أنعمَ اللهُ عَلَيهِما – : ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ البَابَ فإذا دَخَلْتُمُوه فإنَكُم غَالِبُون ، قَالُوا :يَا مُوسَى . إنَا لَنْ نَدْخُلَها أبداً ما دَاموا فِيْهَا فَأذهَبْ أنْتَ وَرَبكَ فقَاتِلا إنَا ههنَا قَاعِدُون) .

فنضب موسى ، فدعا عليهم ، فقال : (رَب إنَي لا أمْلِكُ إلَا نَفْسي وَأخِي فَآفرُقْ
بَيْنَنا وَبَيْنَ القَوْم الفَاسِقِينْ) وكانت عَجَلَة من موسى ، فقال الله تعالى : (فَإنَّها مُحَرمَة عَلَيْهم أرْبَعِبنَ سَنةً يَتيْهُونَ في الأرْض) .
فندم موسى حينئذ فقالوا له : فكيف لنا بالطعام ؟ فأنزل الله المَن والسَّلْوى . فأمّا
المَنُ فقَيْلَ هُو كالصمْغِ وطَعْمُهُ كالشهْدِ يقع على الأشجار، وقيل هو الترنجبين ، وقيل هو الخبز الرقاق ، وقيل هو عَسَل كان ينزل لكل انسان صاع .

وأما السلوى فهو طائر يشبه السماني . فقالوا : أين الشراب ؟ فأمر موسى (فضرَبَ بِعَصَاهُ الحجَرَ، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ آثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً) لكل سبط عين . فقالوا: أين الظل ؟ فظلل عليهم الغمام . فقالوا أينِ اللباس ؟ فكانت ثيابهم تطول معهم ولا يتمزق لهم ثوب . ثم (قَالُوا يَا مُوْسَى لَن نصْبِرَ عَلَى طَعامٍ وَاحِدٍ فادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مما تُنْبِتُ الأرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وقِثائِها وفُوْمِهَا وعَدَسِهَا وبَصَلِهَا ، قَالَ : أتَسْتَبْدِلونَ ائذِي هُوَ ادْنَى بِالذِي هُوَ خَيْر؟ أهْبِطوا مِصْرَ فَإن لَكُم مَا سَألْتُم) فلما خرجوا من التيه رُفع عنهم المن والسلوى .

ثم إن موص التقى هو وعوج بن عناق فوثب موسى عشرة أذرع وكانت عصاه

عشرة أذرع وكان طوله عشرة أذرع فأصاب كعب عوج فقتله . وقيل عاش عوج ثلاثة آلاف سنة .

ثم إن الله أوحى إلى موسَى إني مُتَوَفى هارون ، فأت به جبل كذا وكذا، فانطلقا

نحوه ، فإذا هم فيه بشجرة لم يَرَوْا مِثْلها وفيه بيت مبنيٍ وسرير عليه فُرُش وريح طيبة،فلما رآه هارون أعجبه ، قال : يا موسى! إني أريد أن أنام على هذا السرير، فقال له موسى :نَمْ . قال إني أخاف رب هذا البيت أنْ يأتي فيغضب علي. قال موسى :لا تخف أنا أكفيك ؟ . قال : فنم معي. فلما ناما أخذ هارون الموت ، فلما وجد حسهُ قال ، يا موسى! خدعتي [1] فتوفي ورفع على السرير إلى السماء[2] ورجعَ موسى إلى بني اسرائيل ، فقال له بنو اسرائيل : إنّك قتلت هارون لحبنا إياه . فقال ويحكم افترون أني ، أقتل أخي ؟ فلما أكثروا عليه صلى ودعا الله ، فنزل بالسرير حتى

نظروا إليه ما بين السماء والأرض ، فأخبرهم أنه مات ؛ وأنّ موسى لم يقتله ، فصدقوه . وكان موته في التيه .

ذكر وفاة موسى عليه السلام

قيل : بينما موسى عليه السلام يمشي ومعه يوشع بن نون فتاه إذ أقبلت ريحٌ سوداء، فلما نظر إليها يوشع ظن أنها الساعة، فالتزم موسى، وقال لا تقوم
الساعة[إلا][3] وأنا ملتزم نبي الله . فاستل موسى مِن تحت القميص وبقي القميص في

يدي يوشع ، فلما جاء يوشع بالقميص أخذه بنو إسرائيل وقالوا : قتلت نبي الله . فقال :ما قتلته ولكنه استل مني فلم يصدقوه . قال : فإذا لم تصدقوني فاخبروني ثلاثة أيام فوكلوا به من يحفظه فدعا الله فأتي كل رجل كان يحرسه في المنام فأخبر أن يوشع لم يقتل موسى فإنا رفعناه إلينا فتركوه[1].

وقيل : إنّ موسى كره الموت فأراد الله أن يحبب اليه الموت فأوحى الله إلى

يوشع بن نون وكان يغدو عليه ويروح ، ويقول له موسى : يا نبي الله ما أحدث الله إليك ؟ فقال له يوشع بن نون : يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة؟ فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله لك ؟ ولا يذكر له شيئاً فلما رأى موسى ذلك كره الحياة–وأحبَ الموت .

وقيل : انه مَر منْفَرِداً برَهْطٍ من الملائكة يحفرون قَبْراً فعرفهم فوقف عليهم فلم ير أحسن منه ولم ير مثله ما فيه من الخضرة والبهجة، فقال لهم يا ملائكة الله ! لمن تحفرون هذا القبر؟ فقالوا نحفره لعبد كريم على ربه . فقال : إن هذا العبد له منزل كريم ما رأيت مضجعاً ولا مدخلا مثله . فقالوا: أتحب أن يكون لك . قال : وددت . قالوا: فآنزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك وتنفس أسهل تنفس تتنفسه. فنزل فيه وتوجه إلى ربه . ثم تنفس فقبض الله روحه ،ثم سوت الملائكة عليه التراب .

وكان صلى الله عليه وسلم زاهدا في الدنيا راغبا فيما عند الله إنما كان يستظل في عريش ويأكل ويشرب من نقير من حجر تواضعا إلى الله تعالى . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله أرسل ملك الموت ليقبض روحه ، فلَطَمَةً ففقأ عينه . فعاد

وقال : يا رب أرسلتني إلى عبد لا يحب الموت . قال الله : ارجع له : وقُلْ له : يضع يده على ظهر ثور وله بكل شعرة تحت يده سنة،وخَيرْهُ بين ذلك وبين أن يموت الآن ،فأتاه ملك الموت وخَيره ،فقال له : فما بعد لى ذلك ؟ قال : الموت قال : فالآن إذاً . فقبض روحه ، وهذا القول صَحيح قد صح النقل به [2] عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان موته في التيه أيضاً . وقيل بك هو الذي فتح مدينة الجبارين لى ما نذكره .

وكان جميع عُمْر موسى مائة وعشرين سنة من ذلك في ملك افريدون عشرون

وفي ملك منوجهر مائة سنة . وكان ابتداء أمره منذ بعثه الله إلى أنْ قبضه في ملك منوجهر ثم نبىء بعده يوشع بن نون فكان في زمن منوجهر عشرين سنة وفي زمن افراسياب سبع سنين .

ذكر يوشع بن نون عليه السلام وفتح مدينة الجبارين

لما تُوُفي موسى بعث الله يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب بن

إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام نبياً إلى بني اسرائيل ، وأمره بالمسير إلى أريحاء مدينة الجبارين ، واختلف العلماء في فتحها على يد مَنْ كان ، فقال ابن عباس : إنّ موسى وهارون توفيا في التيه ، وتوفي فيه كل مَنْ دخله وقد جاوز العشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا، فلما انقضى أربعون سنة أوحى الله إلى يوشع بن نون ، فأمره بالمسير إليها وفتحها ففتحها ومثله . قال : قتادة والسدي وعكرمة .

وقال آخرون : إن موسى عاش حتى خرج من التيه ، وسار إلى مدينة الجبارين

وعلى مقدمته يوشع بن نون ففتحها، وهو قول ابن إسحاق . قال ابن إسحاق : سار موسى بن عمران إلى أرض كنعان لقتال الجبارين ، فقدم يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وهو صهره على أخته مريم بنت عمران .

فلما بلغوها اجتمع الجبارون إلى بلعم بن باعوراء[1] وهو من ولد لوط ، فقالوا

له : إن موسى قد جاء ليقتلنا ويخرجنا من ديارنا، فادع الله عليهم ، وكان بلعم يعرف اسم الأعظم ، فقال لهم : كيف ادعو على نبي الله والمؤمنين ومعهم الملائكة؟ فراجعوه في ذلك وهو يمتنع عليهم فأتوا امرأته وأهدوا لها هدية فقبلتها وطلبوا إليها أن تحسن لزوجها أن يدعو على نبي بني إسرائيل فقالت له ، في ذلك ، فامتنع فلم تزل به حتى قال : أستخير الله فاستخار الله تعالى

فنهاه في المنام ، فأخبرها بذلك ، فقالت : راجع ربك فعاود الاستخارة فلم يرد إِليه جواب ، فقالت : لو أراد ربك لنهاك ولم تزل تخدعه حتى

أجابهم فركب حماراً له متوجهاً إلى جبل مشرف على بني إسرائيل ليقف عليه ويدعو عليهم ، فما سار عليه إلا قليلاً حتى ربض الحمار فنزل عنه وضربه حق قام فركبه .

فسار قليلًا فبرك فعل ذلك ثلاث مرات ، فلما أشتد ضربه في الثالثة أنطقه الله؛ فقال له : ويحك يا بلعم ؟ أين تذهب ؟ أما ترى الملائكة تردني ؟ فلم يرجع فأطلق الله الحمار حينئذ فسار عليه حتى أشرف على بني اسرائيل؛ فكان كلما أراد أن يدعو عليهم ينصرف لسانه إلى الدعاء لهم ، وإذا أراد أن يدعو لقومه انقلب دعاؤه عليهم فقالوا له في ذلك فقال : هذا شيء غلبنا الله عليه ، واندلع لسانه فوقع على صدره ، فقال : الآن قد ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم يبق غير المكر والحيلة؛ وأمرهم أن يزينوا نساءهم ويعطوهن السلع للبيع ويرسلوهن إلى العسكر، ولا تمنع امرأة نفسها ممن يريدها، وقال : إنْ زنى منهم رجل واحد كفيتموهم ففعلوا ذلك ، ودخل النساء عسكر بني اسرائيل ، فأخذ زمرى بن شلوم وهو رأس سبط شمعون بن يعقوب امرأة، وأتن بها موسى ، فقال له : أظنك تقول هذا حرام؛ فوالله لا نطيعك ، ثم أدخلها خيمته ، فوقع عليها فأنزل الله عليهم الطاعون ، وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر عمه موسى غائباً،فلما جاء رأى الطاعون قد استقر في بني إسرائيل ، وأخبر الخبر، وكان ذا قوة وبطش ، فقصد زمرى، فرآه وهو مضاجع المرأة، فطعنهما بحربة في يده فانتظمهما ورفع الطاعون وقد هلك في تلك الساعة عشرون ألفاً وقيل سبعون ألفاً فأنزل الله في بلعم (وَأتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأ الَذِي آتَيْناهُ آيَاتِنا فَآنْسَلَخَ مِنْها فَأتْبَعَهُ الشيْطَانُ فَكَان بن الغَاوين)[1] .

ثم إنّ موسى قدم يوشع إلى أريحاء في بنيِ اسرائيل ، فدخلها، وقتل بها الجبارين ، وبقيت منهم بقية وقد قاربت الشمس الغروب –فخشى أن يدركهم الليل فيعجزوه ؛ فدعا الله تعالى أن يحبس عليهم الشمس ففعل وحبسها حتى استأصلهم ودخلها موسى فأقام بها ما شماء الله أن يقيم وقبضه الله إليه لا يعلم بقبره أحد من الخلق . وأما مَنْ زعم أن موسى كان قد توفي قبل ذلك ، فقال : إن الله أمر.يوشع بالمسير

إلى مدينة الجبارين ، فسار ببني اسرائيل ، ففارقه رجل يقال له بلعم بن باعوراء وكان يعرف الاسم الأعظم ، وساق من حديثه نحو ما تقدم . فلما ظفر يوشع بالجبارين أدركه المساء ليلة السبت ، فدعا الله فرد الشمس عليه وزاد في النهار ساعة فهزم الجبارين

ودخل مدينتهم وجمع غنائمهم ليأخذها القربان فلم تأت النار، فقال يوشع : فيكم غلول فبايعوني فبايعوه ، فلصقت يده في يد من غل ، فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت ، فجعله في القربان ، وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلتهما .

وقيل بل حصرها ستة أشهر فلما كان السابع تقدموا إلى المدينة وصاحوا صيحة واحدة فسقط السور فدخلوها وهزموا الجبارين وقتلوا فيهم فأكثروا . ثم اجتمع جماعة مِنْ مُلُوك الشام وقصدوا يوشع فقاتلهم وهزمهم وهرب الملوك إلى غار فأمر بهم يوشع بن نون فقتلوا وصلبوا ثم ملك الشام جميعه فصار لبني اسرائيل وفرق عماله فيه ثمٍ توفاه الله فاستخلف على بني اسرائيل كالب بن يوفنا، وكان عمر يوشع مائة وستا وعشرين سنة وكان قيامه بالأمر بعد موسى سبعاً وعشرين سنة .

وأما من بقي من الجبارين فإن إفريقش بن قيس بن صيفي بن سبأ بن كعب بن

زيد بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان مر بهم متوجهاً إلى افريقية فاحتملهم من سواحل الشام فقدم بهم إفريقية، فافتتحها وقتل ملكها جرجير، وأسكنهم إياها فهم البرابرة . وأقام من حمير في البربر صنهاجة وكثامة فهم فيهم إلى اليوم.

* * *

ذكر أمر قارون

وكان قارون بن يصهر بن قاهث وهو ابن عم موسى بن عمران بن قاهث؛ وقيل

كان عم موسى والأول أصح . وكان عظيم المال كثير الكنوز، قيل : إنّ مفاتيح خزائن كانت تحمل على أربعين بغلاً فبغى على قومه بكثرة ماله ؛ فوعظوه ونهوه ، وقالوا له ما قص الله تعالى في كتابه (لَا تَفْرَحْ إنَ الله لَا يُحبُ الفَرِحِيْن وَآبْتَغِ فِيْما آتَاكَ الله الدَارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِن الدُّنْيا وَأحْسِنْ كَمَا أحسَنَ الله إليكَ وَلَا تَبْغ الفَساد في الأرْضي إن الله لا يُحب المُفْسِدِيْن)[1] فأجابهم جواب مغتر لحلم الله عنه ، فقال : (إنَما أوتيْتُهُ) يعني المال والخزائن (عَلَى عِلْم عِنْدي)[2] ، قيل : على خبر ومعرفة مني ، وقيل : لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا فلم يرجع عن غيه ، ولكنه تمادى في طغيانه حتى خرج على قومه في زينته ، وهي أنه ركب بِرْذُوناً[3]أبيض لا بمراكب الأرجوان المذهَّبَة، وعليه الثياب المعصفرة، وقد حمل معه ثلاثمائة جَارية على مثل برذونه وأربعة آلاف من أصحابه ، وبنى داره وضرب عليها صفائح الذهب ، وعمل لها باباً من ذهب فتمنى أهل الغفلة والجهل مثل ماله فنهاهم أهل العلم بالله . وأمره الله تعالى بالزكاة، فجاء إلى موسى مِنْ كل ألف دينار دينار، وعلى هذا من كل ألف شيء شيء . فلما عاد إلى بيته وجده كثيراً، فجمع نفراً يثقُ بهم من بني اسرائيل ، فقال : إن موسى أمركم بكل شيء فاطعتموه وهو الآن يريد أخذ أموالكم ، فقالوا : انت كبيرنا وسيدنا فمُرْنَا بما شئت ، فقال : آمركم أن تحضروا فلانة البَغِيَ

فتجعلوا لها جُعْلاً فتقذفه بنفسها ففعلوا ذلك فاجابتهم إليه . ثم أتى موسى فقال : إن

قومك قد اجتمعوا لك لتأمرهم وتنهاهم ، فخرج إليهم ، فقال :مَنْ سرق قطعناه ، ومن افترى جلدناه ، ومَنْ زَنَى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة . وأن كانت له امرأة رجمناه حتى يموت. فقال له قارون : وإنْ كنتَ أنت ؟فقال : نعم . قال : فإنّ بني اسرائيل . يزعمون أنك فَجَرْتَ بفلانة . فقال : ادعوها فإنْ قالت فهركما قالت . فلما جاءت قال لها موسى : أقسمتُ عليكِ بالذي أنزل التوراة ألا صدقت أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ قالت :لا كذبوا ولكن جعلوا جُعْلاً على أنْ أقذِفَكَ. فسجد ودعا عليهم ، فأوحى الله إليه مُر الأرض بما شئت تطعك؛ فقال : يا أرض خُذِيهم .

وقيل : إن هذا الأمر بَلَغ موسى ، فدعا الله تعالى عليه فأوحى الله إليه مُر الأرض

بما شئت تُطِعْك ، فجاء موسى إلى قارون ، فلما دخل عليه عرف الشر في وجهه ، فقال له يا موسى آرْحَمْني ، فقال موسى : يا أرض خذيهم . فاضطربت داره وساخت بقارون وأصحابه إلى الكعبين ، وجعل يقول : يا موسى ارحمني . قال : يا أرض خذيهم . فأخذتهم إلى رُكبهِم ، فلم يزل يستعطفه وهو يقول يا أرض خذيهم حتى خسف بهم ،فأوحى الله إلى موسَى ما أفَظكَ ؟ أما وعزتي لوإياي نادى لاجبته ، ولا أعيد الأرض تطيعِ أحدا[1] أبدا بعدك . فهو يخسف به كل يوم قامة. فلما أنزل الله نقمته حَمَد المؤمنون الله وعرف الذين تمنوا مكانه بالأمس خطأ أنفسهم واستغفروا وتابوا .

ذِكْر من ملك من الفرس بعد منوجهر

لما هلك منوجهر ملك فرس سار افراسياب بن فشنج بن رستم ملك الترك إلى
مملكة الفرس واستولى عليها . وسار إلى أرض بابل وأكثر المقامٍ بها . وبمهرجان قذف وأكثر الفساد في مملكة فارس وعظم ظلمه وأخرب ما كان عامرا ودفن الأنهار والقنى .

وقحط الناس سنة خمس من ملكه إلى أن خرج عن مملكة فارس ، ولم يزل الناس منه في أعظم البلية إلى أن ملك زو بن طهماسب . وكان منوجهر قد سخط على ولده طهماسب . ونفاه عن بلاده ، فأقام في بلاد الترك عند ملك لهم يقال له (وامن) وتزوجٍ ابنته . فولدت له زو بن طهماسب . وكان المنجمون قد قالوا لأبيها : إن ابنته تلد ولدا يقتله فسجنها . فلما تزوجها طهماسب وولدت منه كتمت أمرها وولدها .

ثم إن منوجهر رضي عن طهماسب وأحضره إليه فاحتال في إخراج زوجته وابنه زو من محبسهما فوصلت إليه .

ثم إن زوّ فيما ذكر قتل جده وأمن في بعض الحروب الترك .

وطرد افراسياب

التركي عن مملكة فارس حتى رده إلى الترك بعد حروب جرت بينهما. فكانت غلبة افراسياب على أقاليم بابل ومملكة الفرس اثنتي عشرةّ سنة من لدن توفي منوجهر إلى أن لم أخرجه عنها زو وكان اخراجه عنها في زوزابان من شهرابان ماه فاتخذ لهم هذا اليوم عيداً ، وجعلوه الثالث لعيديهم النوروز والمهرجان .

وكان زو محموداً في ملكه محسناً إلى رعيته ، وأمر باصلاح ما كان افراسياب

أفسده من مملكتهم ، وبعمارة الحصون وإخراج المياه التي غور طرقها حتى عادت البلاد إلى أحسن ما كانت ، ووضع عن الناس الخراج سبع سنين ، فعمرت البلاد في ملكه وكثرت المعايش ، واستخرج بالسواد نهراً وسماه الزان ، وبنى عليه مدينة وهي

التي تسمى العتيقة، وجعل لها طسوج الزاب الأعلى. وطسوج الزاب الأوسط . وطسوج الزاب الأسفل .

وكان أول من اتخذ ألوان الطبيخ وأمر بها وباصناف الأطعمة وأعطى جنوده ما غنم من الترك وغيرهم ، وكان جميع ملكه إلى أن انقضت مدته ثلاث سنين ، وكان كرشاسب بن انوط وزيره في ملكه ومعينه فيه . وقيل كان شريكه في الملك والأول أصح ، وكان عظيم الشان في فارس إلا أنه لم يملك .

ذكر ملك كيقباذ

ثم ملك بعد زو كيقباذ بن راع بن ميسرة بن نوذر بن منوجهر وقدر مياه الأنهار والعيون لشرب الأرض ، وسمى البلاد لم بأسمائها ، وحدها بحدودها ، وكور الكور، وبين حيز كل كورة، وأخذ العشر من غلاتها لأرزاق الجند . وكان فيما ذكر كيقباذ حريصاً على عمارة البلاد ومنعها من العدو كثير الكنوز. وقيل أن الملوك الكيانية وأبناءهم من نسله ، وجرت بينه وبين الترك حروب كثيرة فكان مقيماً بالقرب من نهر بلخ وهو جيحون لمنع الترك من تطرق شيء من بلاده : وكان ملكه مائة سنة .

ذكر الأحداث في بني إسرائيل في عهد زوّ وكيقباذ ونبوة حزقيل

لما توفي يوشع بن نون قام بأمر بني اسرائيل بعده كالب بن يوفنا، ثم حزقيل بن
نوري ، وهو الذي يقال له : ابن العجوز. وإنما قيل له ذلك لأن أمه سألت الله الولد،وقد كبرت فوهبه الله لها. وهو الذي دعا للقوم الموتى فأحياهم الله .

وكان سبب ذلك أنّ قرية يقال لها راوودان وقع بها الطاعون ، فهرب عامة أهلها
ونزلوا ناحية ، فهلك أكثر من بقي بالقرية وسلم الآخرون ، فلما ارتفع الطاعون رجعوا فقال الذين بقوا أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا، ولو صنعنا كما صنعوا بقينا، فوقع الطاعون من قابل؛ فهرب أهلها وهم بضعة وثلاثون ألفاً ، وقيل ثلاثة آلاف ، وقيل أربعة آلاف ، وقيل غير ذلك حتى نزلوا على ذلك المكان ، فصاح بهم ملك فماتوا ونخرت عظامهم فمر بهم حزقيل ، فلما رآهم جعل يتفكر في بعثهم ، فأوحى اللّه إليه أتريد أن أريك كيف أحييهم ؟ قال : نعم ، فقيل : ناد، فنادى يا أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعي فجعلت العظام تطير بعضها إلى بعض حتى صارت أجساداً من عظام ، ثم نادى لم يا أيتها العظام ! إن الله أمرك أن تكتسي فألبست لحماً ودماً وثيابها التي ماتت فيها، ثم أنادى يا أيتها الأرواح ! أن اللّه يأمرك أن تعودي إلى أجسادك فعادت ، وقامت الأجساد أحياء ؛ وقالوا : حين أحيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت ، فرجعوا إلى قومهمٍ ، أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوباً إلا عاد كفنا

دسماً ثم ماتوا ثم مات حزقيل ولم تذكر مدته في بني اسرائيل ، وقيل : كانوا قوم حزقيل فلما أن ماتوا بكى حزقيل وقال يا رب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيداً ، فقال اللّه أتحب أن أحييهم ؟ قال : نعم قال : فإني قد جعلت حماتهم إليك ، فقال حزقيل : أحيوا بإذن الله تعالى فعاشوا .

ذكر إلياس عليه السلام

لما توفي حزقيل كثرت الأحداث في بني اسرائيل ، وتركوا عهد الله وعبدوا الأوثان فبعث الله إليهم الياس بن ياسين بن فنحاص بن العزار بن هارون بن عمران نبياً، وكان الأنبياء في بني اسرائيل بعد موسى بن عمران يبعثون بتجديد ما نسوا من التوراة، وكان الياس مع ملك من ملوكهم يقال له أخاب [1] وكان يسمع منه ويصدقه . وكان الياس يقيم له أمره ، وكان بنو اسرائيل قد اتخذوا صنماً يعبدونه يقال له : بعل ، فجعل الياس يدعوهم إلى الله وهم لا يسمعون إلا من ذلك الملك ، وكان ملوك بني اسرائيل متفرقة كل ملك قد تغلب على ناحية يأكلها، فقال ذلك الملك الذي كان إلياس معه : "والله ما أرى الذي تدعو إليه إلا باطلاً لأنيِ أرى فلاناً وفلاناً –يَعُد ملوك بني إسرائيل – قد عبدوا الأوثان ، فلم يضرهم ذلك شيئاً يأكلون ويشربون ويتمتعون ما ينقص ذلك من دنياهم ، ، وما نرى لنا عليهم من فضل" . ففارقه إلياس وهو يسترجع ، فعبد ذلك الملك الأوثان أيضاً .

وكان للملك جار صالح مؤمن يكتم إيمانه ، وله بستان إلى جانب دار الملك ،

والملك يحسن جواره ، وللملك زوجة عظيمة الشر.والكفر، فقالت له ليأخذ بستان الرجل فلم يفعل ، فكانت تخلف زوجها إذا سار عن بلده وتَظْهر للناس ، فغاب مرة فوضعت امرأته على صاحب البستان مَنْ شهد عليه أن سَعت الملك ، فقتلته ؛ وأخذت بستانه ، فلما عاد الملك غضب من ذلك واستعظمه وأنكره ، فقالت : فات أمره . فأوحى الله إلى إلياس يأمره أن يقول للملك وامرأته أن يرد البستان على ورثة صاحبه فإن لم

يفعلا غضب عليهما وأهلكهما في البستان ولم يتمتعا به إلا قليلاً، فأخبرهما إلياس
بذلك فلم يراجعا الحق .
فلما رأى الياس أن بي اسرائيل قد أبوا إلا الكفر والظلم دعا عليهم ، فأمسك الله ى
عنهم المطر ثلاث سنين ، فهلكت الماشية والطيور والهوام والشجر وجهد الناس جهداً شديداً واستخفى الياس خوفاً من بني اسرائيل ، فكان يأتيه رزقه ، ثم إنه أوى ليلة إلى امرأة من بني اسرائيل لها ابن يقال لها اليسع بن أخطوب – به ضر شديد فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به واتبع الياس ، وكان معه وصحبه وصدته ، وكان الياس قد كبر، فأوحى الله إِليه إنك قد أهلكت كثيراً من الخلق من البهائم والدواب والطير وغيرها[1] ، ولم يعص سوى بني اسرائيل ، فقال الياس : أي رب : دعي أكن أنا الذي أدعو لهم وأبتهج بالفرج لعلهم يرجعون .
فجاء إلياس إليهم ، وقال لهم : إنكم قد هلكتم وهلكت الدواب بخطاياكم ، فإنْ
أحببتم أن تعلموا أن الله ساخط عليكم بفِعْلكم ، وأن الذي أدعوكم إليه هو الحق ، إِ فاخرجوا بأصنامكم وادعوها، فإن استجابت لكم فذلك الحق كما تقولون ، وإنْ هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل فنزعتم ودعوت الله ففرَج عنكم .
قالوا: أنصفَ . فخرجوا بأصنامهم فدعوها فلم يستجب لهم ولم يفرج عنهم ، فقالوا لالياس إنا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا لهم بالفرج وأنْ يسقوا، فخرجت سحابة

مثل الترس وعظمت وهم ينظرون ، ثم أرسل الله منها المطر فحببت بلادهم ، وفرج الله ، عنهم ما كانوا فيه من البلاء فلم ينزعوا ولم يراجعوا الحق ، فلما رأى الياس سأل الله أن يقبضه فيريحه منهم ، فكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب ، فصار ملكياً إنسياً سماوياً أرضياً[2]،وسلط الله على الملك وقومه عَدُو فظفر بهم وقتل الملك وزوجته بذلك البستان وألقاهما فيه حتى بليت لحومهما .

ذكر نُبُوّة اليسع عليه السلام وأخذ التابوت من بني اسرائيل

فلما انقطع الياس عن بني اسرائيل بعث الله اليسع ، فكان فيهم ما شاء الله ، ثم

قبضه الله وعظمت فيهم الأحداث ، وعندهم التابوت يتوارثونه فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ، فكانوا لا يلقاهم عدو فيقدمون التابوت إلا هزم الله العدو، وكانت السكينة شبه رأس هِرّ، فإذا صرخت في التابوت بصراخ هر أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح .

ثم خلف فيها ملك يقال له " إيلاف "، وكان الله يمنعهم ويحميهم ؟ فلما عظمت

أحداثهم نزل بهم عدو فخرجوا إليه وأخرجوا التابوت فاقتتلوا؛ فغلبهم عدوهم على التابوت وأخذه منهم وانهزموا ، فلما علم ملكهم أن التابوت أخِذَ مات كَمَداً ودخل العدو أرضهم ونهب وسبى وعاد ، فمكثوا على اضطراب من أمرهم واختلاف ، وكانوا يتمادون أحياناً في غيبهم فيسلط الله عليهم مَنْ ينتقم منهم ، فإذا راجعوا التوبة كف الله عنهم شر عدوهم ، فكان هذا حالهم من لدن توفي يوشع بن نون إلى أنْ بعث الله اشمويل وملكهم طالوت ورد عليهم التابوت .

وكانت مُدة ما بين وفاة يوشع الذي كان يلي أمر بي إسرائيل بعضها القضاة

وبعضها الملوك وبعضها المتغلبون إلى أنْ ثَبَتَ الملك فيهم ورجعت النبوة إلى اشمويل أربعمائة سنة وستين سنة .

فكان أول من سلط عليهم رجل من نسل لوط يقال : له كوشان فقهرهم وأذلهم

ثماني سنين ، ثم أنقذهم من يده أخ لكالب الأصغر يقال له عتنيل ، فقام بأمرهم أربعين سنة، ثم سلط عليهم ملك يقال له : عجلون

فملكهم ثماني عشرة سنة، ثم استنقذهم منه رجل من سبط بنيامين يقال له أهوذ، وقام بأمرهم ثمانين سنة . –

ثم سلط عليهم ملك من الكنعانيين يقال له "يابين "، فملكهم عشرين سنة واستنقذهم منه امرأة من بي أنبيائهم يقال لها دبورا، ودبر الأمر رجل من قبلها يقال له باراق أربعين سنة. ثم سلط عليهم قوم من نسل لوط فملكوهم سبع سنين واستنقذهم رجل يقال له جدعون بن يواش من ولد نفتاليِ بن يعقوب فدبر أمرهم أربعين سنة وتوفي .

ودبر أمرهم بعده ابنه أبيمالخ ثلاث سنين ثم دبرهم بعده فولع بن فو ابن خال

أبيمالخ : ويقال : ابن عمه ثلاثاً وعشرين سنة، ثم دبر أمرهم بعده رجل يقال له يائير

اثنتين وعشرين سنة، ثم ملكهم قوم من أهل فلسطين بني عمون ثماني عشرة سنة. ثم قام بأمرهم رجل منهم يقال له يفتح ست سنين ، ثم دبرهم بعده يتحسون سبع سنين . ثم بعده الون عشر سنين . ثم بعده لترون ويسميه بعضهم عكرون ثماني سنين. ثم قهرهم لم أهل فلسطين وملكوهم أربعين سنة . ثم وليهم شمسون عشرين سنة . ثم بقوا بعده عشرين سنة بغير مدبر ولا رئيس . ثم قام بأمرهم بعد ذلك عالي الكاهن . وفي أيامه غلب أهل فلسطين على التابوت في قول ، فلما مضى من وقت قيامه أربعون سنة بعث اشمويل نبياً فدبرهم عشر سنين . ثم سألوا اشمويل أن يبعث لهم ملكاً يقاتل بهم

أعداءهم .

***

ذكر حال اشمويل وطالوت

كان من خبر اشمويل بن بالي أنّ بني إسرائيل لما طال عليهم البلاء وطمع فيهم الأعداء وأخِذَ التابوت منهم ، فصاروا بعده لا يلقون ملكاً إلا خائفين . فقصدهم جالوت ملك الكنعانيين ، وكان مُلْكُهُ ما بين مصر وفلسطين فظفر بهم . فضرب عليهم الجزية وأخذ منهم التوراة فدعوا الله أن يبعث لهم نبياً يقاتلون معه . وكان سبط النبوة هلكوا فلم يبق منهم غير امرأة حبلى فحبسوها في بيتٍ خِيْفَةَ أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها فولدت غلاماً سمته اشمويل ومعناه سمع الله دعائي .

وسببت هذه التسمية أنّها كانت عاقراً وكان لزوجها امرأة أخرى قد ولدت له عشرة أولاد فبنت عليها بكثرة الأولاد فانكسرت العجوز ودعت الله أن يرزقها ولداً فرحم الله انكسارها وحاضت لوقتها وقرب منها زوجها فحملت فلما انقضت مدة الحمل ولدت غلاماً فسمته اشمويل . فلما كبر أسلمته في بيت المقدس يتعلم التوراة، وكَفَله شيخ من علمائهم وتبناه .

فلما بلغ أن يبعثه الله نبياً أتاه جبريل وهو يصلي فناداه بصوت يشبه صوت الشيخ ، فجاء إليه ، فقال ما تريد؟ فكره أن يقول : لم أدعك فيفزع ، فقال : ارجع فنم ، فرجع فعاد جبريل لمثلها فجاء إلى الشيخ فقال له : يا بني عُدْ فإذا دعوتك فلا تجبني فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل ، وأمره بإنذار قومه ، وأعلمه أنّ الله بعثه رسولًا ، فدعاهم فكذبوه ،

ثم أطاعوه ، وأقام يدبر أمرهم عشر سنين ، وقيل : أربعين سنة .
وكان العمالقة مع ملكهم جالوت قد عظمت نكايتهم في بني اسرائيل حتى كادوا
يهلكونهم . فلما رأى بنو اسرائيل ذلك (قالوا : ابعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلُ في سَبِيل الله قَالَ هَلْ عَسيْتُم إنْ كُتِبَ عَلَيْكُم القِتَال أنْ لَا تُقاتِلُوا، قَالُوا : وما لَنَا أنْ لا نُقَاتِل في سَبِيْلِ الله وَقَدْ أخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأبْنَائِنَا)[1] ؟ فدعا الله فأرسل إليه عصاً ومرناً فيه دهن ، وقيل له : ان صاحبكم يكون طوله طول هذه العصا . وإذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملك بني اسرائيل ، فادهن رأسه به وملكه عليهم ، فقاسوا أنفسهم بالعصا ، فلم يكونوا مثلها.
وكان طالوت دباغاً، وقيل كان سَقّاء يسقي الماء ويبيعه فضل حماره فانطلق يطلبه
فلما اجتاز بالمكان الذي فيه اشمويل دخل يسأله أن يدعو له ليرد الله حماره فلما دخل فنش الدهن فقاسوه بالعصا، فكان مثلها، فقال لهم نبيهم (إنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُم طَالُوت مَلِكاً)[2] وهو بالسريانية شاول بن قيس بن أنمار بن ضرار بن يحرف بن يفتح بن ايش بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق .
فقالوا له : ما كنت قَطّ أكذب منك الساعة ونحن من سبط المملكة، ولم يؤت ، طالوت سَعَة من المال فنتبعه . فقال اشمويلِ : (إنَّ اللّهَ اصْطَفاه عَلَيْكُم وَزَادَهُ بَسْطَةً في العِلْم والجِسْم)[3]
فقالوا : إن كنت صادقاَ فأت بآية ، فقال : (إنَ آيةَ مُلْكِهِ أنْ يأتِيَكُمُ التابُوْتُ فِيه سَكِيْنةٌ مِن رَبِّكُم وَبَقِيَةٌ ممَا تركَ آلُ مُوسَى وآلُ هارون تَحْمِلُهُ المَلَائكة)[4] والسكينة رأس هر(5)[5] وقيل طشت من ذهب يغسل فيها قلوب الأنبياء، وقيل غير ذلك . وفيه الألواح وهي

من در وياقوت وزبرجد . وأما البقية فهي عصا موسى ورضاضة الألواح فحملته الملائكة وأتت به إلى طالوت نهاراً بين السماء والأرض والناس ينظرون [6)]

فأخرجه طالوت إليهم ، فأقروا بمُلْكه ساخطين ، وخرجوا معه كارهين وهم ثمانون ألفاً .

فلما خرجَ قالي لهم طالوت : (إنَ اللّهَ مُبْتَلِيْكُم بنَهْرٍ ، فَمَنْ شَرِب مِنْهُ فَلَيْس مِي

وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإنه مِني) وهو نهر فلسطين ، وقيل : الَأردن –فشربو منه إلا قليلاً وهم أربعة آلاف فمن شرب منه عطش ومن لم يشرب منه إلا غرفة روي (فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالذِينَ آمَنُوا مَعَهُ)[1]لقيهم جالوت ، وكان ذا بأس شديد، فلما رأوه رجع أكثرهم ، (وقَالُوا : لَا طَاقَةَ لَنا اليَوْم بجَالُوتَ وَجُنودَهُ)[2] ولم يبق معه غير ثلاثمائة وبضعة عشر عدد أهل بدر فلما رجع من رجع قالوا : (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرةً بإذْنِ الله والله مَعَ الصابِرِيْن)[3] .

وكان فيهم أيشا أبو داود ومعه من أولاده ثلاثة عشر ابناً ، وكان داود أصغر بنيه وقد خلفه يرعى لهم ويحمل لهم الطعام ، وكان قد قال لأبيه ذات يوم يا أبتاه ! ما أرمي بقذافتي شيئاً إلا صرعته . ثم قال له : لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسداً رابضاً فركبت عليه وأخذت بأذنيه فلم أخفه ، ثم أتاه يوماً آخر فقال : إني لأمشي بين الجبال فأسَبح فلا يبقى جبل إلا سبح معي قال له أبشر فإن هذا خير أعطاكه الله ، فأرسل الله إلى النبي الذي مع طالوت قرناً فيه دهن وتنور من حديد فبعث به إلى طالوت ، وقال له : إن صاحبكم الذي يقتل جالوت يوضع هذا الدهن على رأسه فيغلي حق يسيل من القرن ولا يجاوز رأسه إلى وجهه ويبقى على رأسه كهيئة الاكليل . ويدخل في هذا التنور فيملوه فدعا طالوت بني إسرائيل . فجربهم فلم يوافقه منهم أحد. فأحضر داود من رعيه . فمر في طريقه بثلاثة أحجار فكلمته وقُلْن :خُذْنَا يا داود تقتل بنا جالوت

فأخذهن . فجعلهن في مخلاته . وكان طالوت قد قال :مَنْ قتل جالوت زوجتُه ابنتي وأجريت خاتمه في مملكتي .

فلما جاء داود وضعوا القرن على رأسه فنلى حتى ادهن منه ولبس التنور فملأه وكان داود مسقاماً أزرق مصفاراً فلما دخل في التنور تضايق عليه حتى ملأه وفرح أشمويل وطالوت وبنو اسرائيل بذلك ، وتقدموا إلى جالوت وتصافوا للقتال وخرج داود نحو جالوت وأخذ الأحجار ووضعها في قذافته ورمى بها جالوت ، فوقع الحجر بين عينيه

فثقب رأسه فقتله ولم يزل الحجر يقتل كل من أصابه ينفذ منه إلى غيره ، فانهزم عسكر جالوت بإذن الله .

ورجع طالوت فأنكح ابنته داود وأجرى خاتمه في ملكه . فمال الناس إلى داود

وأحبوه ، فحسده طالوت وأراد قتله غِيْلة[1] فعلم ذلك داود ففارقه ، وجعل في مضجعه زق خمر وسجاه ، ودخل طالوت إلى منام داود وقد هرب داود فضرب الزق ضربةً خرقه فوقعت قطرة من الخمر في فيه ، فقال : يرحم الله داود ما كان أكثر شربه الخمر، فلما أصبح طالوت علم أنه لم يصنع شيئاً، فخاف داود أن يغتاله ، فشدد حُخابه وحراسه . ثم أن داود أتاه من المقابلة في بيته وهو نائم ، فوضع سهمين عند رأسه وعند رجليه ، فلما استيقظ طالوت بصر بالسهام ، فقال : يرحم الله داود وهو خير مني ظفرت به وأردت قتله وظفر بي فكف عني ، وأذكى عليه العيون فلم يظفروا به . وركب طالوت يوماً فرأى داود، فركض في أثره ، فهرب داود منه واختفى في غار في الجبل فعمى الله أثره على طالوت .

ثم إن طالوت قتل العلماء حتى لم يبق أحد إلا امرأة كانت تعرف اسم الله الأعظم ، فسلمها إلى رجل يقتلها فرحمها وتركها وأخفى أمرها . ثم إن طالوت ندم وأراد التوبة وأقبل على البكاء حتى رَحِمَهُ الناس ، فكان كل ليلة يخرج إلى القبور فيبكي ، ويتول : أنشد الله عبداً علم لي توبة إلا أخبرني بها، فلما أكثر ناداه مناد من القبور :

يا طالوت ! أما رضيت قتلتنا أحياء حتى تؤذينا أمواتاً؟ فازداد بكاء وحزناً فرحمه

الرجل الذي أمره بقتل تلك المرأة فقال له : إنْ دللتك عَلَن عالم لعلك تقتله ؟ قال :لا . فأخذ عليه العهود والمواثيق ، ثم أخبره بتلك المرأة، فقال سَلْها هل لي من توبة؟ فحضر عندها وسألها هل له من توبة؟ فقالت : ما أعلم له من توبة، ولكن : هل تعلمون قبر نبيّ ؟ قالوا: نعم قبر يوشع بن نون فانطلقت وهم معها فدعت فخرج يوشع ، فلما رآهم قال : ما لكم ؟ قالوا : جئنا نسألك هل لطالوت من توبة؟ قال : ما أعلم له توبة إلا أن يتخلى من ملكه ويخرج هو وولده فيقاتلون في سبيل الله حتى تقتل أولاده ثم يقاتل هو حتى يقتل ، فعسى أن يكون له توبة ثم سقط ميتاً، ورجع طالوت أحزن مما كان – يخاف أن لا يتابعه ولده – فبكى حتى سقطت أشفار عينيِه ؛ ونحل جسمه ؛ فسأله بنوه عن حاله فأخبرهم فتجهزوا للغزو فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم قاتل هو بعدهم حتى قتل .

وقيل : إنّ النبي الذي بعث لطالوت حتى أخبره بتوبته اليسع .

وقيل : اشمويل

والله أعلم .

وكانت مدة ملك طالوت إلى أن قتل أربعين سنة .

ذكر مُلْك داود

هو داود بن إيشا بن عوفيذ بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمينوذب بن
رام بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق ، وكان قصيراً أزرق قليل الشعر ، فلما قتل طالوت أتى بنو اسرائيل داود . فأعطوه خزائن طالوت وملكوه عليهم . وقيل : إنّ داود ملك قبل أن يقتل جالوت ، وسبب ملكه حينئذ أن اللّه أوصى إلى اشمويل ليأمر طالوت بغزو مَدْيَن وقتل مَنْ بها فسار إليها وقتل من بها إلا مَلِكَهُم فإنه أخذه أسيراً . فأوحى الله إلى أشمويل قُلْ لطالوت : آمرك بأمر فتركته ؟ لأنزعن الملك منك ومن بَنِيْك ، ثم لا يعود فيكم إلى يوم القيامة .

وأمر اشمويل بتمليك داود فملكه وسار إلى جالوت فقتله واللّه أعلم .

فلما مَلَك بني إسرائيل جعله اللهّ نبياً وملكاً ، وأنزل عليه الزبور ، وعَتَمَهُ صنعة الدروع وهو أول من عملها ، وألان له الحديد ، وأمر الجبال والطير يسبِّحُون معه إذا سبح ، ولم يعط الله أحداً مثل صوته كان إذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يأخذ بأعناقها وإنها لمصيخة تسمع صوته ، وكان شديد الاجتهاد ، كثير العبادة والبكاء ، وكان يقوم الليل ، ويصوم نصف الدهر ، وكان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف ، وكان يأكل من كسب يده .

وفي مُلكه مسخ أهل أيْلَة[1] قِرَدَة ، وسبب ذلك أنهم كانوا تأتيهم يوم السبت حيتان البحر كثيراً فإذا كان غير يوم السبت لا يجيء إليهم منها شيء فعملوا على جانب البحر حياضاً كبيرة وأجروا إليها الماء فإذا كان آخر نهار يوم الجمعة يتحول الماء إلى الحياض

فتدخلها الحيتان ولا تقدر على الخروج عنها فيأخذونها يوم الأحد فنهاهم بعض أهلها فلم ينتهوا فمسخهم الله قردة ، وبقوا ثلاثة أيام وهلكوا[1].

ذكر فتشه بزوجة أوْرَيا[2]

ثم إنّ الله ابتلاه بزوجة أوريا ، وكان سبب ذلك أنه قد قسم زمانه ثلاثة أيام : يوماً

[1] مراده بالشرقي من كان من أهل المشرق وعكسه "الغربي " الآتي في كلام المصنف وهو من كان من أهل المغرب - وبدخل في أهل المغرب الأندلسيون .

[2] الموصل : مدينة بالعراق نقع على الجانب الغربي من نهر دجلة بناها محمد بن مروان إذ ولي الجزيرة في خلافة عبد الملك بن مروان .
وقد نسب إليها جملة من المحدثين ، وكانت مدينة مشهورة عظيمة قليلة النظير كبراً وعظما ، وكثرة خلق ، وسعة رقعة، كانت محط رحال الركبان ، ومنها يقصد إلى جميع البلدان ومفتاح خراسان . وكانت محل إقامة المصنف.

[3] هو الإمام محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر (224 - 0 31) - (839 - 923 م) .
المفسر ، المقرىء ، المحدث ، المؤرخ ، الفقيه ، الأصولي ، المجتهد . ولد بآمل طبرستان في آخر سنة 224 هـ أو أول سنة 225 وطرف الأقاليم واستوطن بغداد . واختار لنفسه مذهبا في الفقه .
من تصانيفه : جامع البيان في تأويل القرآن (وهو المعروف بتفسير الطبري) ، وتاريخ الأمم والملوك (وهو المعروف بتاريخ الطبري) . وتهذيب الآثار (طبع منه ثلاث أسفار بتحقيق الإستاذ محمود شاكر) 0 اختلاف الفقهاء، وآداب القضاء والمحاضر والسجلات .
انظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد 2 /62 1 : 69 1 ، ابن خلكان : وفيات الأعيان 1 /57 5: 578 ، النووي . تهذيب الأسماء واللغات 1 / 78 : 79 ، ابن الجوزي : المنتظم 6 / 170 : 172 .

[1] كذا.

[2] الشواني جمع شونة ، والشونة المركب المعد للجهاد نجي البحر- لغة مصرية . (انظر تاج العروس 9 /257).
وأراد المصنف أن يشبه ما أصابه من تثاقل وتباطؤ في تصنيف كتابه بالمركب الذي يحمل بالأسلحة فيكون ثقيلا بطيء الحركة لما امتلأ به من أثقال .

[3] جمع علق وهو النفيس من كل شيء .

[4] القت الدواة : جعلت لها ليقة وهي شيء من حرير ونحوه يجعل في الدواة ويصب عليها الحبر . (م) .

[5] في اللسان : هو اسم ناقة أو فرس ، وهو يخاطبها يأمرها بالعدو- وحرف النداء محذوف . أهـ . ثم صار مثلاً يضرب للشدة والأمر الصعب. (م) .

[6] يعني المؤلف بالفراغ هنا : إتمام الكتاب . (م) .

[1] وهو خرز يتخذ منه حلي واحدته مخشلبة –أعجمي سمي باسم امرأة اتخذته حلياً . المخصص لابن سيده .(م).
[1] ق :37 .
[1] انظر في ذلك تاريخ دمشق 1 /23 : 4 2 (تهذيب) .

[2] أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق الكبير (1 /23 –تهذيب) ، وهو من رواية ابن شهاب الزهري ، رحمه الله تعالى مرفوعاً وفيه إرسال وانقطاع فيكون بهذا ضعيفاً .

[3] هو ميمون بن مهران الجزري ، أبو أيوب ، الرقي ، الفقيه (17 – 116) نشأ بالكوفة ، ثم نزل الرقة ، ذكره أبو عروبة في الطبقة الأولى من التابعين ، وكان ثقة جليلاً .
قال له سعيد بن المسيب : " إنك تسأل مسألة رجل كأنه قد تبخر ما هاهنا قبل اليوم .
وقال فيه عمر بن عبد العزيز : " إذا ذهب هذا وضَرْبُهُ صار الناس من بعده رجراجة " .

[4] كذا في المنيرية بالراء والفاء الموحدة وما في تهذيب تاريخ دمشق (وقع) بالواو ثم قاف مثناة .

[5] كذا في المنيرية بالهمزة في أولها وقال مصحح المنيرية (ص 15 هـ 1) :
" كذا بالأصل ولعله قام وزيدت الألف أثناء النسخ سهواً ، ويجوز أن يكون " أقام " بمعنى دام وتسوطد من الِإقامة فيكون التاريخ خاصاً بمن طال أمد ملكه " أهـ .
وكذا تهذيب تاريخ دمشق 1 /23 : (قام) بدون همزة .

[1] أورد ابن عساكر هذه الرواية في تاريخه 1 /23 (تهذيب) .

[2] أورد هذه الرواية أيضاً ابن عساكر في تاريخه 1 / 24 (تهذيب) .

[3] هو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحارث بن بكر ، أبو خلف ، المكي ، حليف قريش .
شهد الطائف ، وحنيناً وتبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكان عامل عمر بن الخطاب على نجران . ومات سنة بضع وأربعين .

[4] أورد المزي في تهذيب الكمال هذه الرواية (انظر تهذيب التهذيب 11 / 400) .

[5] تِهَامَة اسم أرض معروفة بجزيرة العرب قال الزبيدي في التاج (8/ 215) : وهي ما بين " ذات عرق " إلى مرحلتين من وراء مكة وما وراء ذلك من الغرب فهو غور ، ونجد ما بين " العذيب" إلى ذات عرق
وإلى " اليمامة " وإلى جبلي طيء ، وإلى " وجرة " ، وإلى اليمن ، "وذات عرق " أول تهامة إلى البحر ، وجدة ، والمدينة لا تهامية ولا نجدية .
ويقال إنْ الصحيح أن مكة من تهامة كما أن المدينة من نجد .

[6] هو كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدْركة بن إلياس بن مضر .

[1] انظر في ذلك : تاريخ الطبري 1 /9 .

[2] أي أتيتك زمان قطع ثمر النخل واجتناؤه .

[3] انظر في ذلك أيضاً : تاريخ الطبري 1 / 10 : 19 ، وفصل (ما ورد في أنْ الدنيا سبعة آلاف سنة من رسالة السيوف (الكشف في بيان خروج المهدي) المطبوعة بآخر معجم الطبراني الصغير . ط. السلفية .

[4] سنده ضيف أخرجه الطبري في التاريخ 1 / 10 من طريق يحيى بن يعقوب عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به . وفيه يحيى بن يعقوب قال البخاري في الضعفاء الصغير رقم 403 : منكر الحديث ،
وقال الذهبي في الميزان 4 / 451 : كان يخطئ .
وقد عزاه السيوطي في الكشف ص 209 إلى ابن أبي القاسم في التفسير لكن لم أطلع على إسناده .

[5] هذا الكلام لوهب إنما هو من رأيه لا حجة فيه ولا دليل .
وكان الأولى بالمصنف رحمه الله تعالى –ما دام ليس في الباب حديث صحيح أن يضرب صفحاً عن طرق هذه المسألة التي استأثر رب العالمين بعلمها –سبحان من لا يحيط بعمله أحد .

[6] يريد ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في التاريخ 1 / 11 .

[1] صحيح –أخرجه البخاري في صحيحه رقم 2359 (بلفظ : إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس . . .)ونحوه رقم. 5021.

[2] متفق على صحته : أخرجه البخاري 4 0 65 –ومسلم 1 /4 34 (ط . الحلي) .

[3] هو : بُرَيدة بن الحصيب بن عبداللُه بن الحارث الأسلمي ، أبو عبدالله – الصحابي الجليل ، توفي سنة وسيأتي في الغريب ضبط المصنف لاسمه .

[4] يكفينا في هذا المقام ما أورده المصنف من أحاديث صحيحة فنقف عندها دون ان نحدد عمر الدنيا بالسنين في كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس . أما ما خاض فيه اليهود من ضلال وتحريف في تحديد

عمر الدنيا فهو كلام مردود عليهم وقد اعترف الأوروبيون في هذا الزمان بذلك وكان الأحرى بالمصنف ألا يسود الصفحات بنقل ما قالوا .

(5) أي هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . –كذا في تاريخ الطبري 1 /18 .

(1) انظر : الطبري 1 / 10 : 31 .

(2) أخرجه أبو داود 2 /48 5 ، والترمذي 4 /58 4 ، وأحمد 5/7 1 3 ، والبيهقي 10 / 4 0 2 .... الخ .
وقد صححه الشيخ ناصر الدين الألباني في تخريجه لكتاب السنة لابن أبي عاصم (انظر أرقام 108/102)

(3) الطبري 1 / 34 .

(1) أخرجه أحمد 4 / 2 1 ، ابن حبان 39 (موارد) ، الطبري في التفسير 2 1 / 4 ، وفي التاريخ 1 / 37 : 38 .
والمثبت في المنيرية : غمام – بغين معجمة في أوله –وآخره ميم ، وفي الطبري " عماء " بالعين المهملة وآخره همزة – وهو السحاب . قال أبو عبيد ، ليس معه شيء ، وقيل : هو كل أمر لا تدركه عقول بني آدم
ولا يبلغ كنهه الوصف والفطن ، ولا بد من تقدير مضاف محذوف في قوله : " أين كان ربنا " كما حذف في
قوله تعالى : (هل ينظرون إلا أنْ يأتيهم الله) فيكون التقدير : أين كان عرش ربئ ؟ ويدل عليه قوله تعالى : (وكان عرشه على الماء) 0 اهـ . وانظر النهاية لابن الأثير 3/ 130 .

(2) البقرة : 210 .

[3] هو الضحاك بن مزاحم الهلالي ، أبو القاسم ، الخراساني ، وهو الراوي عن ابن عباس التفسير لكن لم يلق ابن عباس قال عبد الملك بن ميسرة . الضحاك لم يلق ابن عباس إنما لقي سعيد بن جبير بالري فأخذ
عنه التفسير .
وقال عبد الملك : قلت للضحاك : سمعت من ابن عباس : قال لا . قلت : فهذا الذي تحدثه عمن أخذته ، قال عن ذا ، وذا . (انظر التهذيب 4 /453 – 454) .

[1] النازعات : 31 .

[2] قال ابن جرير 1 /48 : 9 4 .
(وغير مستحيل ما روينا في ذلك عن ابن عباس من قول وهو أنْ يكون الله –تعالى ذكره خَلَقَ الأرض ولم يَدْحُهَا، ثم خَلَقَ السماوات فسواهُنْ ، ثم دحا الأرض بعد ذلك فأخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها ، بل ذلك عندي هو الصواب من القول في ذلك ، وذلك أن معنى الدحو غير معنى الخلق ، وقد قال الله عز وجل : (أ أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها . رفع سَمكَهَا فَسَواها . وأغْطَشَ ليلها وأخْرَجَ ضحَاهَا . والأرضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحَاهَا. أخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرعَاهَا. والجِبَالَ أرسَاهَا) أهـ .

[1] البقرة : 29 .

[2] القلم : 1 .
[3] الصفاة : الحجر العريض الأملس –جمعه صَفاً .

[1] انظر تفسير الطبري 1/65 : 75 .

[1] أخرج ابن جرير هذا الخبر 1 / 81 موقوفاً على ابن عباس ، وابن مسعود ، وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو كلام يحتاج فيه .لمستند .
والمعروف في اللغة قولهم جَن الشيء يجنْه جنَاً : ستره ، وكل شيء سُتر عنك فقد جن عنك ، وجَنهُ الليل ستره ، قال ابن منظور في لسان العرب (ص 701) : (وفي الحديث جَن عليه الليل أي ستره ،وبه سمي الجن لاستتارهم واختفائهم كل عن الأبصار) أ هـ.
[1] ا لأنبياء 29 .

[2] رواهما ابن جرير 1 /83 .
[1] راجع : الرحلة الحجازية للبتنوني ص 53 – رحلة في بلاد العرب السعيدة لنزيه المؤيد ص 175 – تاريخ اليمن للواسعي ص 319 .
[1] مثل هذا التعليل في خلق الله لأدم وللبشر عامة بما ذكره المصنف هنا أمر يحتاج لتوقيف ودليل ولا يجوز إطلاقه هكذا درن دليل .
[2] ،[3] البقرة : 30 .

)

[1] أخرج ابن جرير هذا الخبر 1 / 81 موقوفاً على ابن عباس ، وابن مسعود ، وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو كلام يحتاج فيه .لمستند .
والمعروف في اللغة قولهم جَن الشيء يجنْه جنَاً : ستره ، وكل شيء سُتر عنك فقد جن عنك ، وجَنهُ الليل ستره ، قال ابن منظور في لسان العرب (ص 701) : (وفي الحديث جَن عليه الليل أي ستره ،
وبه سمي الجن لاستتارهم واختفائهم كل عن الأبصار) أ هـ.
[1] راجع : الرحلة الحجازية للبتنوني ص 53 – رحلة في بلاد العرب السعيدة لنزيه المؤيد ص 175 – تاريخ اليمن للواسعي ص 319 .

[1] مثل هذا التعليل في خلق الله لأدم وللبشر عامة بما ذكره المصنف هنا أمر يحتاج لتوقيف ودليل ولا يجوز إطلاقه هكذا درن دليل .

[1] إسناده صحيح – أخرجه أبو داود 2 / 525 . والترمذي 5 / 4 20 ، والحاكم في المستدرك 2 / 61 . وأبو نعيم في الحلية 4/2 1 5 ، 135/8 ، وأحمد في مسنده 4/ 00 4. وابن حبان في صحيحه (رقم 83 0 2 – موارد) والطبري قي التاريخ 1 / 91

[2] الحجر : 26 .

[3] الرحمن : 14 .

[4] بريد قوله تعالى : (إني خالق بشراً من طين . فإذا سويته ونفختُ فيه من روحي فقّعوا له ساجدين) . ص 71 ، 72 .

[1] الأنبياء : 37 .

[2] ص 75 :85.

[1] الزمر: 53.

[2] البقرة : 31 .

[1] البقرة : 32 .

[2] ص 77 : 78 .

[3] البقرة:35.

[4] الأعراف : 19 .

[1] البُخت : الإبل الخراسانية ، والبخت : الإبل ذات السنامين واحدها : بختي ، وجمعها : بخاتي .

[2] هذا الذي يروى من دخول إبليس ني جوف الحية لم يأت به قرآن ولا سنة صحيحة ، وإنما هو من كلام أهل الكتاب الذي ينبغي ألا نصدقهم فيه ولا نكذبهم وكان الأولى بالمصنف ألا يذكره ما لم يجد له دليلاً صحيحاً.

[3] أخرج الخبر الطبري في التاريخ 1 /107 ، وفي التفسير 1 / 530وهرموقوف على ابن عباس .

[4] طه :120 .

[5] الأعراف : 20 .

[6] الأعراف : 22 .

[7] هذا الذي ينسب لحواء لا يجوز أن يقال عنها إلا بدليل من كتاب أو سنة صحيحة ، وليس ثم إلا افتراء أهل الكتاب فما بالنا نردد ما قالوا وكأنه حقيقة لا مراء فيها ! ! !

وكان الأحري بالمصنف رحمه الله أن يربأ عن ذكر ذلك . .

[1] هذا الخبر المروي عن ابن المسيب سنده ضعيف أخرجه الطري في التاريخ 1 / 111 – 12 1 ، وفي التفسير 1 / 530 وفيه محمد بن إسحاق صدوق يدلى وقد عنعن هنا فوقع المحظور ، وفيه أيضاً سلمة بن الفضل الأبرش صدوق كثير الخطأ .

[2] إذا علمت أن الخبر ضعيف فلا عجب ولا ذنب لابن المسيب رحمه الله تعالى ورضي عنه.

[1] أخرجه مسلم في صحيحه كـ الجمعة رقم 17 ، 18 .

[1] كذا في المنيرية بالدال المهملة ، وفي معجم البلدان 5/ 310 بالذال المعجمة وقي الطري : بوذ بالباء الموحدة قال في معجم البلدان : وهو أخصب جبل في الأرض أهـ .

[2] اسم كورة واسعة كثيرة اشرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها مَيسان بالعراق (معجم البلدان) .

[3] بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة وهي أقدم من البصرة كان قبل أن نمصر البصرة فيها مسالح وقرى . (معجم البلدان) .

[4] تاريخ الطبري 1 / 122.

[5] صدق والله – لله دَره – ولكن ماله بزعم أنْ نزول آدم بالهند لا يدفع بصحته أهل الإسلام ولا دليل على ذلك من كَتاب أو سنة صحيحة ! وكل ما ذكره المصنف هنا وما بعده ظَن لا دليل عليه .

[1] في المطبوعة : كان – تحريف.

[1] طه : 114 .

[2] الأعراف : 23 .

[1] ا لأعراف 2 7 1 :173 .

[1] المائدة : 27 : 31 .

[1] المائدة : 27 : 32 .

[2] المائدة : 27 : 32 .

[3] حِراء: جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال. وهو الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعبد ني غار في هذا الجبل .

[4] هذا هراء وسخف من رواية الكلي الكذاب .

[5] تاريخ الطبري 1 / 144 .

[1] أي: نصيب.

[2] متفق على صحته: أخرجه البخاري رقم 3335 ، مسلم كـ القسامة رقم 27.

[3] وقال ابن جرير 1 / 144 :145 : ا فإنْ قال قائل : فما برهانك على أنهما ولدا آدم لصلبه وأن لم يكونا من بني إسرائيل . قيل لا خلاف بين سلف علماء أمتنا في ذلك إذا فسد قول من قال كانا من بني إسرائيل "
أهـ .

[4] الأعراف 189 .

[5] إسناد ضعيف جداً: أخرجه الحاكم في مستدركه 245/2 ، وأحمد في المسند 1/5 1 ، والترمذي 73 0 5 (تحفة) والطبري ني التفسير 99/9 ، وفي التاريخ 1 /48 1 وابن مردويه وابن أبي حاتم في التفسير (انظر ابن كثير 529/3) من طريق عمر بن ابراهيم عن قتادة عن الحسن عن سَمُرة بن جندب مرفوعاً .
وقال الترمذي : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة .
وعمر بن إبراهيم قال فيه أحمد : يروي عن قتادة أحاديث مناكير يخالف . وقال ابن حبان ني الثقات : يخطئ ويخالف . وقال في الضعفاء : كان ممن ينفرد عن

قتادة بما لا يثبه حديثه فلا يعجبني الاحتجاج به إذا انفرد .
كما ان فيه الحسن البصري مدلى ، وقد عنعنه .
قال الحافظ ابن كثير (التفسير 3/ 529) : والغرض أنْ هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه :
* أحدها : أنْ عمر بن إبراهيم هذا هو البصري ، وتد وثقه ابن معين ولكن قال أبو حاتم الرازي :لا يحتج به ، ولكن رواه ابن مردويه [أي من طريق أخرى] من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعاً فالله أعلم (أنول وهذا أيضاً ضعيف لعنعنة الحسن)
* الثاني : أنه قد رُوِيَ من تول سمرة نفسه ليس مرفوعاً . . .
٦٨ الثالث : أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا ، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعاً لما عدل عنه .
(ثم أورد عن الحسن التفسيرات الآتية) – قال : كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم .
– قال اعنى بها ذرية آدم ومَنْ أشرك منهم بعده – يعني (جعلا له شركاء فيما أتاهما) .
– قال: هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصروا .
وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن –رحمه الله أنه فسر الآية لذلك وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عدل [عنه] هو ولا غيره ، لا سيما مع تقواه الله وورعه ، فهذا يدلك على انه موقوف على الصحابي ، ويحتمل أته تلقاه هن بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما كما سيأتي إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع . والله أعلم ، أ هـ .
ثم قال في تفسير الآية : " وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري ،رحمه اللّه في هذا ، وأنه لير المراد من هذا السياق آدم وحواء ، وإنما المراد من ذلك

المشركون من ذريته ولهذا قال الله : (فتعالى الله عما يشركون).

[1] قلت: أما وتد ثبت ضعف إسناد هذا الخبر فلا معنى للتأويل .

[2] قلت: هيهات أن يصح مثل هذا النقل عن آدم عليه السلام فأين إسناده إلى آدم ، وهل كان آدم يتكلم العربية؟ ؟ ؟
وفي إسناده غياث بن إبراهيم الكذاب .

[1] الطبري 1 / 155 . وقد أخرج البخاري ى الاستئذان بالشطر الأول من الحديث إلى قوله : (هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم " .

[1] هذا على تفسير فوله تعالى : (ورفعناه مكاناً عَلِياً " والأولى أن يكون الرفع رفع منزلة ورفع درجة في الآخرة وليس في الآية ما يفيد أنه لم يتوفً .

[1] بهمزة ، وهو المنشار ، والمراد أتلفه وفرق أعضاء جسمه .

[2] نوح 23 : 24 .

[1] الزمر:3 .

[2] هود: 36 .

[3] نوح : ه .

[1] هود : 38 .

[1] الصافات : 77 .

[1] الأعراف : 69 .

[2] الطبري : يسقينا .

[3] قد امسوا بهمزة وَصل .

[4] أنظر بقية القصيدة في الطبري 1 / 220 ، وكما قدمنا لا تصح نسبة هذه القصائد .

[1] يوجد قبر بحضرموت لا يبعد كثيراً عن مدينة تريم يقال له قبر هود عليه السلام. (منيرية) .

[2] وهو حجر إسماعيل عليه السلام .

[1] الشعراء : 155 .

[1] هود:65 .

[2] يريد رسولنا صلى الله عليه وسلم في غزو تبوك .

[1] يوجد بحضرموت قبر يدعونه قبر صالح ويقولون إن ثموداً ارتحلوا من حضرموت إلى الشمال فلما هلكوا جاء صالح إلى موطن قومه الأول.

[2] قال ابن جرير 1 /232 :

" ولولا كراهة إطالة الكتاب بما ليس من جنسه لذكرتُ مِنْ شعر شعراء الجاهلية الذي يل في عاد وثمود وأمورهم بعض ما قيل ما يعلم به مَنْ ظنْ خلاف ما قُننَا في شهرة أمرهم في العرب صحة ذلك " ، أهـ .

[1] طبري : أرغوا . وفي نسخة : أرغو- كما هنا ، وفي أخرى : أرعو- بمهملة .

[2] طبري: أرفخشذ - بالذال المعجمة.

[1] هذا الكلام لا دليل عليه ذكره ابن إسحاق دون أن يذكر له سنداً وليس لنا أن نقول به بغير دليل .

[2] قال الحافظ ابن حجر في الفتح 9/ 391.

" ...وقيل إنما قال ذلك بعد البلوغ لكنه قاله على طريق الاستفهام الذي يقصد به التوبيخ ، وقيل : قاله على طريق الاحتجاج على قومه تنبيهاً على ان الذي يتغير لا يصلح للربوبية وهذا قول الأكثرين أته قاله توبيخاً لقومه أو تهكماً بهم وهو المعتمد ، ولهذا لم يُعَد ذلك في الكذبات " أ هـ .

[3] الأنعام: 77.

[1] الأنبياء : 57.

[2] الأنبياء: 59 ، 60

[3] الأنبياء : 62 .

[4] الأنبياء: 63.

[1] [2] الأنبياء: 65.

)

[4] [5] البقرة: 258.

وفي قوله (بل فعله كبيرهم) قال القرطبي : هذا قاله تمهيداً للاستدلال على أن الأصنام ليست بآلهة ،وقطعاً لقومه في قولهم إنها تضر وتنفع . وهذا الاستدلال يتجوز فيه في الشرط المتصل ولهذا أردف قوله :

) بل فعله كبيرهم) بقوله : (فاسألوهم إنْ كانوا ينطقون) .

قال ابن قتيبة : معناه إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا ، فالحاصل أنه مشترط بقوله : (إن كانوا ينطقون) أو أنه أسند إليه ذلك لكونه السبب .

قال ابن حجر : وعن الكسائي أنه كان يقف عند قوله (بل فعله كبيرهم) أي فعله مَنْ فعله كائناً من كان ،ثم يبتدئ (كبيرهم هذا) وهذا خبر مستقل ، ثم يقول ، (فاسألوهم . . .) إلى آخره ، ولا يُخْفَى نكتفه . أهـ .

)

(1) هذا ما قاله الطبري وتبعه المصنف هنا ، وقيل كان اسمه : عمرو بن امرئ القيس بن سبأ ذكره السهيلي وهو قول ابن هشام في " التيجان " ، وقيل اسمه " صادوق " حكاه ابن فتيبة . (فخ الباري 6 / 392) .

(2) قال الحافظ في الفتح 9 /393 :

" واختلف في السبب الذي حمل إبراهيم على هذه الوصية مع أنْ ذلك الظالم يريد اغتصابها على نفسها اختاً كانت أو زوجة فقيل : كان من دين ذلك الملك أن لا يتعرض إلا لذوات الأزواج ، كذا قل! ، ويحتاج إلى تتمة وهو أنْ إبراهيم أراد رفعٍ أعظم الضررين بارتكاب أخفهما وذلك أنْ اغتصاب الملك إياها واقع لا محالة لكن إنْ علم أن لها زوجا في الحياة حملته النيرة على قتله وإعدامه أو حبسه واضراره بخلاف ما إذا علم أنْ لها أخاً فإنْ الغيرة حينئذ تكون من تجبَل الأخ خاصة لا مِنْ قِبَل الملك فلا يبالي به .

وقيل أراد إنْ علم أنك امرأتي ألزمني الطلاق والتقرير الذي قررته جاء صريحاً عن وهب بن منبه فيما أخرجه عبد بن حميد في تفسيره من طريقه .

وقيل : كان من دين الملك أن الأخ أحق بأنْ تكون أخت زوجته من غبره فلذلك قال : هي أختي اعتماداً على ما يعتقده الجبار فلا ينازعه فيها ، وتعقب بأنه لو كان كذلك لقال : " هي أخي وأنا زوجها " فلِم اقتصر على قوله : هي أخي ؟ وايضاً فالجراب إنما يفيد لو كان الجبار بريد أن يتزوجها لا أن يغتصبها نفسها .

وذكر المنذري في "حاشية السنن " عن بعض أهل الكتاب أنه كان من رأي الجبار المذكور أن مَنْ كانت متزوجة لا يقربها حتى يقتل زوجها فلذلك قال إبراهيم : هي أختي لأنه إنْ كان عادلاً خطبها منه ثم يرجو موافقته عنها ، له انْ

كان ظالماً خلص من القتل ، وليس هذا ببعيد مما قررته أولاً . وهذا أخذ من كلام ابن الجوزي في " مشكل الصحيحين " ، فإنه نقله عن بعض علماء أهل الكتاب أنه سأله عن ذلك فأجاب به " أهـ .

[1] أي: ما الخَبَر؟

[2] أخرجه البخاري 3358 .

قال ابن حجر في الفتح 9/391 : 2 39 : –

وأما إطلاقه " الكذب " على الأمور الثلاثة فلكَوْنه قال قولاً يعتقده السامع كَذِباً لأته من باب المعاريض المحتملة للأمرين فليس بكذب مَحْض .

قال ابن عقيل : دلالة العقل تصرف ظاهر إطلاق الكذب على إبراهيم ، وذلك أنْ العقل قطع بأنْ الرسول ينبغي أن يكون موثوقاً به ليعلم صدق ما جاء به عن الله ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه فكيف مع وجود الكذب منه ، وإنما أطلق عليه ذلك لكونه بصورة الكذب غد السامع .

وعلى تقديره فلم يصدر ذلك من إبراهيم – عليه السلام – بعني إطلاق الكذب على ذلك – إلا في حال شدة الخوف لعلو مقامه لى وإلا فالكذب المحض في مثل تلك المقامات يجوز وقد يجب لتحمل أخف الضررين دفعاً لأعظمهما، وأما تسميته إياها كذبات فلا يريد أنها تذم فإنْ الكذب لى انْ كان قبيحاً مُخِلاً لكنه قد يحسن فيِ مواضع ، وهذا منها.أ هـ .

[1] أخرجه مسلم كـ فضائل الصحابة رقم 227 بلفظ :

" إنكم ستفتحون مصر ، وهي أرض يسمى فيها القيراط فإذا افتتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما".

[2] البئر المَعِين: البئر السائلة وهي عكس البئر الغائرة قال تعالى : (. . . فمن يأتيكم بماءٍ مَعِين). –

[3] إبراهيم : 38 .

[4] في المطبوعة: رب.

[1] إبراهيم : 37 .

[2] أخرجه أحمد في المسند رقم 2 285 ، وقد روى البخاري القصة مطولة بمعناها ومختصرة 5 /33 ، 6 /283 :292
وقد صحح أحمد شاكر اسناد احمد .

[1] البقرة : 127 .

[1] الصافات : 107 .

وقد استفاض ابن قيم الجوزية في كتابه " مفتاح دار السعادة " في إثبات أن الذبيح هو إسماعيل وساق في ذلك أربعين دليلاً، وقال ابن كثير في التفسير 7 / 22 – 23 عند تفسير قوله تعالى (إني ذاهب إلى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين) قال :

" يعني أولاداً مطيعين عوضاً من قومه وعشيرته التي فارقهم . قال الله تعالى (فبشرناه بغلام حليم) وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام فإنه م ول ولد بّشر به إبراهيم عليه السلام وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب ، بل في نصْ كتابهم أن إسماعيل ولد ولإبراهيم علبه السلام ست وثمانون سنة وولد إسحاق وعمر إبراهيم تسع وتسعون سنة ، وعندهم ان الله تعالى أمر إبراهيم أن يذبح أبنه وحيده وفي نسخة (بكره) فاقحموا هاهنا كذباً وبهتاناً إسحاق ولا يجوز هذا وإنه مخالف لنص كتابهم وإنما اقحموا ابراهيم لإنه أبوهم وإسماعيل أبو العرب فحسدوهم فزادوا ذلك وحرفوا " وحيدك " بمعنى الذي ليس عندك غيره فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلى جنب مكة وهذا تأويل وتحريف باطل فإنه لا يقال لا وحيد إلا لمن لير له غيره . وأيضاً فإن أول

ولد له مَتزة ما ليس لمن بعده من الأولاد فالأمر بذبحه ابلغ في الابتلاء والاختبار ، وقد.ذهب جماعة من أهل العلم إلى أنّ الذبيح هو إسحاق وحكى ذلك عن طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة أيضاً وليس ذلك في كتاب ولا سنة وما أظنْ ذلك تلقى إلا عن أحبار
أهل الكتاب وأخذ ذلك مسلماً من غير حجة ، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه اسماعيل فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم وذكر أنّه الذبيح لم قال بعد ذلك : (وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين) ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا : (إنا بشرناك بغلام عليم) وقال تعالى : (فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) أي يولد له في حياتهما ولد يسمى "يعقوب " فيكون من ذريته عقب ونسل ، وقد قدمنا هناك انه لا يجوز بعد هذا أنْ يأمر بذبحه وهو صغير لأن الله قد وعدهما انه سيعقب ويكون له نسل فكيف يمكن بعد هذا أن يأمر بذبحه صغيراً.
واسماعيل وصف هنا هنا بالحلم لانه مناسب لهذا المقام .
وأثبتت إدارة الطباعة المنيرية في هذا الموضع التعليق الآتي :
" هذه الآية مَنْ تلاها مع ما قبلها وما بعدها في سورة الصافات يعلم جيداً ان الذين قالوا أنْ الذبح إسحاق هم إما ممن لم يتدبر معاني القرآن فأصغى إلى تحريف اليهود كما ذكر ذلك فضيلة الأستاذ نقلاً عن انجيل برنابا وأما أناس اشتغلوا بالدراسة عن كتاب الله تعالى ودراسته ذلك لأنْ الله تعالى قال: (فبشرناها بغلام
حليم فلما بلغ معه السعي . . .) إلى آخر الآيات وهي (وفديناه بِذبح عظيم وتركناه عليه في الآخرين) ثم قال : (وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين) فهل بشر الله به مرتين ويترك إسماعيل البكر الكبير بلا ذكر !لا ريب إنْ الآيات صريحة بأنْ البشارة الأولى وهي في ولد إبراهيم غير إسحاق وليس يوجد إلا الأخ

الأكبر وهذا ما تطمئن إليه نفس من قرا هذه الآيات بإمعان ونظر وتدبر . أ هـ .

[1] الصافات : 112 .

[1] ، [2] البقرة : 124.

)

[3] النجم : 37 .

[4] التوبة: 112.

[5] الأحزاب:35.

[6] المعارج : 34 .

[1] البقرة : 124 .

[2] إبراهيم : 46 .

[3] هذا هو تحريف اليهود وضلالهم الذي دسوه في التوراة ولا دليل عليه ولا يقبله عقل. وكان الأحرى بالمصنف أن يعرض ذكره .
(تنبيه الذي في التوراة أنْ تبلبل الألسن كان قبل ابراهيم وبعد نوح عليهما السلام – راجع التكوين 10:11).

[1] يرد هذا أن المصريين لم يعرفوا الضحاك ولم يكن له عليهم ملك . (منيرية).

[1] الأصبهبذ عند الفرس لقب حافظ الجيوش وأمير الأمراء ، وقال ياقوت في معجم البلدان في (طبرستان) : " وكانت ملوك الفرس يولونها – أي طبرستان – رجلًا ويسمونه " الأصبهبذ " . فإذا عقدوا له عليها لم يعزلوه عنها حتى يموت فإذا مات أقاموا مكانه ولده إن كان وُلد وإلا أقاموا أصبهبذ آخر "

(منيرية) .

[2] بلْخ حمت أشهر بلاد خراسان المشهورة اليوم بالأفغان ولكنها انفصلت عنها وأصبحت اليوم إمارة صغيرة نحت سلطة الروس من جملة إمارات "تركستان " من الله على المسلمين بتحريرها وعودتها لدولة الإسلام .

[3] كل هذا الكلام لا دليل عليه ولا حجة فيه فهو كلام غير محقق .

[1] العنكبوت : 28 : 29 .

[1] هود:70 : 73 .

[2] العنكبوت : 32 .

[1] هو السير السريع.

[1] هذه الأسماء مأخوذة من التوراة إلي بين أيدينا الآن .

[1] هذا الخبر من الضلال المبين من تحريف اليهود واجترائهم على أنبياء الله لعنة الله على من حرف كتاب الله .

[2] النساء: 23.

[1] الأنبياء: 83.

[1] نذكر القارىء الكريم إلى أنْ كثيراً من التفصيلات التي سيجدها في قصة يوسف لا صحة لها ولا دليل عليها.

[2] يوسف: 5.

[1] يوسف :8 .

[2] يوسف: 9 .

[3] يوسف: 11 .

[4] في المطبوعة : إنه .

[5] يوسف: 13.

[6] يوسف:14.

[1] يوسف : 15 .

[2] يوسف : 17 .

[3] يوسف : 18 .

[4] يوسف : 19 .

[5] أي : بشر بعضهم بعضاً ، أما أن يقال هو اسم غلام فهذا تكلف سخيف .

[1] يوسف : 21 .

[2] يوسف : 23 .

[3] هذا الذي يقال في هذا الموضع من قصة يوسف بهتان عظيم لا يليق بني من أنبياء الله أثنى عليه وقال سبحانه في حَقه (إنه من عبادنا المخلَصِين) وقال تبارك وتعالى في صفة المخلصين حكاية على لسان إبليس اللعين (إني لمغرينهم أجمعين إلا عبادك منهم المَخْلَصِين) فيوسف عليه السلام طاهر الطرف في عنفوان الشباب راودته امرأة فاجرة ذات منصب وجمال وهيأت له كل أسباب الرذيلة وهَمت به ودعته لنفسها فلما كان عليه السلام بشراً سوياً

مكتمل الرجولة فقد وقع في قلبه مَيل قلبِي سرعان ما صرفه الله عنه بأن أراه برهاناً ولا يعنينا معرفة كنه هذا البرهان وإنما الذي يعنينا أنه من قبيل تثبيت الله للذين آمنوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة . فما كان فه إلا أن أعرض عنها وتعلق بأسباب الأعراض العملي فجرى إلى الباب ليفر منها وهنا استشاط غضب المرأة وأخذها كبرها فأقبلت تجري خلفه لترده إليها – . . .

هذا ما يقال في هذا المقام أما أن يقال أنه حل سراويله فسبحانك ربي هذا بهتان عظيم وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم عليهم السلام أجمعين .

[1] هذه القصة والتي تليها جهل وهراء لا دليل عليه .

[2] الإسراء : 32 .

[3] يوسف :25 .

[4] [5] يوسف : 29 .

)

[6] [7] يوسف : 31 .

)

[1] يوسف : 32 .

[2] يوسف : 34 .

[3] يوسف : 37 .

[1] الصواب : أنْ معنى الآية فأنسى الشيطان الساقيَ أن يذكر يوسف عند سيده . قال الحافظ ابن كثير في التفسير 4 /6 31 : 317 .

" لما ظن يوسف عليه السلام نجاة أحدهما – وهو الساقي – قال له يوسف خفية عن الآخر– والله أعلم –لئلا يشعره أنه المصلوب قال له : (أذكُرني عندَ ربك " يقول : اذكر قصتي عند ربك – وهو المليك – ، فنسيَ ذلك الموصَى أن يُذَكِّر مولاه بذلك ، وكان من جملة مكايد الشيطان لئلا يطلع نبي الله من السجن . هذا هو الصواب أن الضمير في قوله : (فأنساه الشيطان ذكر ربه) عائد على الناجي كما قاله مجاهد ، ومحمد بن إسحاق وغير واحد . أ هـ . ويدلك عليه قوله تبارك وتعالى بعد ذلك (. . . وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة) فهذا الساقي هو الذي نسي ثم تذكر بعد زمن .

[2] يوسف : 45:44 .

[3] يوسف : 47 : 9 4 .

[4] يوسف : 50.

[1] يوسف : 53.

أما قوله : (ولا حين هممت بها) فهذا هراء من كذب الكذابين على نبي الله عليه السلام . أما الآيات فإنه أولَى الوجوه في تفسيرها ما قاله الحافظ ابن كثير إذ قال 4 /319 : (أنا راودته عن نفس وإنه لمن الصادقين) –أي في قوله : هي راودتني عن نفسي –،(ذلك ليعلم أنّي لم أخنه بالغيب) تقول :إنما اعترفت بهذا على نفسي ذلك ليعلم زوجي أني لم أخنه في نفس الأمر،ولا وقع المحذور الأكبر ، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع فلهذا اعترفت ليعلم أني بريئة ، (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين . وما أبرى،نفسي) تقول المرأة : ولستُ أبرىء نفسي ، فإن النفس تتحدث وتتمنى ولهذا راودته لأنها أمارة بالسوء (إلا ما رحم ربي) أي :إلا مَنْ عصمه الله تعالى (إن ربي غفور رحيم). وهذا القول هو الأشهر والاليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام ، وقد

حكاه الماوردي في تفسيره ، وانتدب لنصره الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية رحمه الله فأفرده بتصنيفٍ على حِدَة .
وقد قيل : إن ذلك من كلام يوسف عليه السلام من قوله : (ذلك ليعلم أني لم أخنه " في زوجته ؟ (بالغيب). . الآيتين ،أي : إنما رددتُ الرسولَ ليعلم الملِك براءتي ،وليِعلم العزيز (إني لم أخنه إلا بالغيب) في زوجته (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين . وما أبرىء نفسي إنْ النفس لأمارة بالسوء) . . وهذا القول هو الذي لم يحك ابن جرير ولا ابن أبي حاتم سواه .
(2) (3) يوسف : 54.

)

(4) يوسف : 55

(5) هذا القول لا وزن له ولا دليل عليه ولرده الدليل العقلي إذ لا يعقل ان يكون هذا النبي الصديق حريصاً على الدنيا يطلبها ويزكي نفسه في سبيلها حاشا وكلا .
وإنما الرجل نبي كريم صاحب دعوة وقد وجد مجالاً عظيماً لدعوته ونشرها إذا استقامت السلطة في يديه فقال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم .
قال الحافظ ابن كثير 4 / 320 : " مدَح نفسه ، ويجوز للرجل ذلك إذا جُهل أمره للحاجة وذكر أنه (حفيظ) – أي : خازن أمين – (عليم) ذو علم وبصر بما
يتولاه .
[قال] : وسأل العمل لعلمه بقدرته عليه ، ولما في ذلك من مصالح الناس ، وإنما سأل أن يجْعَل على خزائن الأرض لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها ليتصرف لهم على الوجه الأحوط والأصلح والأرشد فأجيب إلى ذلك رغبة فيه وتكرمة له ولهذا قال تعالى : (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها

حيث يشاء نصيب برحمتنا مَنْ نشاء ولا نضيع أجر المحسنين) .

[1] يوسف :60.

[1] يوسف : 64 .

[2] يوسف :65 .

[3] أو يكون قوله تعالى : (ذلك كيل يسير) من تمام كلامهم أي : إن هذا يسير في مقابلة أخذ أخيهم ما بعدل هذا ، وذلك أن يوسف كان يعطي كل رجل حمل بعير فإذا ذب معهم ازدادوا حمل بعير وذلك يسير على الملك . والله أعلم .

[4] يوسف : 66.

[5] يوسف : 67 .

[6] يوسف : 69 .

[1] يوسف : 73 .

[1] يوسف : 78 .

[2] يوسف : 79 .

[3] يوسف : 80 .

[4] يوسف : 83 .

[5] يوسف : : 84 .

[6] يوسف : 86 .

[7] [8] هذه أقوال لا وزن لها إلا بدليل نقلى .

)

[1] ،[3] هذه أقوال لا وزن لها إلا بدليل نقليّ .

[2] يوسف : : 88 .

)

[4] وقد تقدم بما لا مجال بعده للشك أن الذبيح هو اسماعيل لا إسحاق عليهما السلام.

[5] يوسف : 89: 90 .

[6] يوسف : 91 .

[1] يوسف : 94 .

[2] يوسف :95.

[3] يوسف : 96 .

[4] يوسف : 97 .

[1] يوسف :100 .

[1] إنما أرادوا : لنراك فينا ضعيفاً عن مقاومتنا فإنه قد آمن به أناس قليلون جداً بدليل قولهم بعد ذلك (ولولا رهطك لرجمناك رما أنت علينا بعزيز) لأن العزة لا تكون إلا من قوة فهو بيان لقولهم : إنا لنراك فينا ضعيفاً . (منيرية) .

[2] هود : 84 .

[3] الشعراء : 89 .

[1] هود: 87 .

[1] هو عبدالله بن شوذب ، أبو عبد الرحمن ، البلخي (86 –144) نزل البصرة وسمع بها الحديث وتفقه ، وكَتَب ، ثم انتقل إلى الشام فأقام بها وكان من الثقات .

[1] هو نَوْف البكالِي – بفتح الباء الموحدة وكسرها وتخفيف الكاف – ووهم مَنْ شددها مَنسوب إلى " بِكَال " ، بْطن من حِمْيَر، وهو تابعي من أهل دمشق فاضل عالم لا سيما بالاسرائيليات ، وكان ابن امرأة كعب الأحبار وقيل غير ذلك.

[2] مراده : (أخطأ) فلم يُرِدِ حقيقة ريه بالكذب لا وصفه بعدو الله : قال ابن حجر(الفتح 1 / 19 2) : ، قال ابن التين : لم يُرِد ابن عباس إخراج نوف عن ولاية الله [أي : إلى عداوة الله] ولكنْ قلوب العلماء تَنْفر إذا سمعت غير الحق فيطلقون أمثال هذا الكلام لقَصْد الزجر والتحذير منه وحقيقته غير مُرَادَة .
قلت : ويجوز أنْ ابن عباس اتهم نوفاً في صحة إسلامه فلهذا لم يَقُل في حق الحر بن قيس هذه المقالة مع تواردهما عليها. وأما تكذيبه فيستفاد منه أنْ للعالم إذا كان عنده علم بشيء فسمع غيره يَذْكَر فيه شيئاً بغير علم أن يكذْبه ، ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم : " كذب أبو السنابل " أي : أخبر بما هو باطل في نفس الأمر .

[3] الكهف : 63 : 4 6 .

[4] : أي مغطى بثوبه.

[1] الكهف : 74 : 77 .

[2] الكهف : 77 .

[3] الكهف : 77 : 79 .

[1] الكهف : 80 : 82.

[2] هذا المنسوب لابن عباس لا يصح ، أما مصير فق موص بعد ذلك فارجع إلى حديث البخاري الذي ذكرناه آنفاً ثم أقرأ قول ابن حجر في الفتح 1 / 220 اذ قال عند قوله (فانطلقا يمشيان) :
" أي موسى والخضِر ، ولمِ يذكر فتى موسى – وهو يوشع – لأنه تابع غير مقصود بالأصالة .
" قوله : " فكلموهم " : ضم يوشع معهما في الكلام لأهل السفينة لأنْ المقام يقتضي كلام التابع .
قوله : " فحملوهما " : يقال فيه ما قيل في يمشيان ، ويحتمل أن يكون يوشع لم يركب معهما لانه لم يقع له ذكر بعد ذلك أ هـ . .
وهكذا فإما أن يكون فتى موسى قد رافقهما في الرحل لكن لم يصرخ بذكره لانه تابع لهما أو يكون لم يركب معهما السفينة ويكون بذلك لم يصحبهما في رحلتهما ، والله أعلم .

[1] لم تكن أذربيجان من مجالات الترك في القديم ، وإنما كانت لهم في عهد السلجوقيين . ثم المغول ، ثم العثمانيين . (منيرية)

[1] في الأصول التي بأيدينا : (العيد) بالياء المثناة التحتية والأشبه أنْ يكون بالباء الموحدة . (منيرية) .

[1] نطق اسمها بالعبرانية " يوكابد " ومعناه اسم الله عظم . (منيرية) .

[2] كذا في الأصول ولكنها في التوراة : (صفورة) . (منيرية) .

[1] الحزاء هو الذي ينفر في النجوم ، لأنه ينظر بظنه وتقديره فربما أصاب .

[1] ، [2] القصص :7.

)

[3] القصص : 11 .

[4] القصص : 9 .

[5] أخرجه النسائي في السنن الكبير (كما قال ابن كثير 286/5) ، وابن جرير في التفسير 16 / 125 : 127 ، وأبو حاتم الرازي في التفسير (كما في الدر المنثور 4 /296 : 1 30) من طريق يزيد بن هارون أنبأنا أصبغ بن زيد ثنا القاسم بن أبي أيوب أني سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس . . به في حديثٍ طويل غالبه موقوف على ابن عباس . وفيه إصبغ بن زيد صدوق يُغِرِب .

[6] القصص : 8 .

[7] ،[8] القصص : 12 .

)

[1] القصص : 13 .

[2] طه 27 : 28 .

[3] قال ياقوت في معجم البلدان 5 /213 :
مَنف : اسم مدينة فرعون بمصر ، قال القضاعي : أصلها بلغة القبط " ما فه " فعُرِبَتْ فقيل " منف " ، ومعنى مافه بلسان القبط ثلاثون . وبينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ وبينها وبين عين شمس ستة فراسخ .
وذكر بعضهم أن من مصر لمنف ثلاثين ميلاً كانت بيوتاً متصلة وفيها بيت فرعون .

[1] القصص:15: 16 .

[2] ،[3] ،[4] القصص: 17 : 8 1 .

)

)

[5] القصص: 19.

[6] القصص: 20.

[7] القصص: 21.

[8] هذا الكلام لا دليل عليه فإن صَح فهو كالذي في قصة يوسف : (ورفع أبويه على العرش وَخروا له

[1] كذا (فلما) والوارد في الآية (ولما) بالواو وهذا كثير في الكتاب دفعت إليه القَص وربط الأحداث ،والمعروف من صنع السلف أن منهم مَنْ كان يدع الواو أو الفاء في صدر الآية فيسرق الآية بدون الواو أو الفاء وهو صنيع الشافعي رحمه الله في الرسالة .

[2] القصص: 23.

[3] القصص: 24.

[4] ،[5] ،[6] القصص : 5 2 : 26 .

)

)

[7] القصص : 27 .

[8] القصص: 28.

[1] هذا الكلام لا دليل عليه.

[2] العَوسَج بِجنس بنات شائك من الفصيلة الباذنجانيْة له ثمر مدَور كأنه خرز العقيق. واحدته : عوسجة .
[3] هذه القصة في عصا شعيب لا دليل عليها.

[1] طه : 12 .

[2] ،[3] طه 17 : 18 .

)

[4] هذا الذي قيل في خصائص عصا موسى عليه السلام لم يثبت فيها حديث صحيح.
[5] وهذا الكلام ليس فيه حديث صحيح .

[1] القصص 33 : 4 3 .

[2] القصص 35 : 36 .

[3] طه 35:25.
[4] طه : 47 .
[1] هذا الكلام مرفوض عقلاً إذ لا يعقل أنْ يكَلفا من قبل الله تعالى ببلاغ رسالة ثم يضيعان سنتين كاملتين محاولين الدخول على فرعون إن هذا النوع من الإسرائيليات تثير الضحك والغثيان في نفس الوقت ! !
[2] الشعراء 18 : 1 2 .

[3] الأعراف : 106 ، 107 .

[4] طه: 44.

[1] غافر : 28 .

[2] الشعراء: 36 : 37 .

[3] طه: 61.

[4] الشعراء : 44 .

[5] الأعراف : 115 .

[1] طه : 71.

[2] الأعراف : 126 .

[1] التحريم : 11 .

[2] مثل هذا الكلام لا يقبل إلا بدليل وفيه جَرْح في نبي الله موسى الكليم فيظهره في صورة المرتاب في تأييد الله تبارك وتعالى وهو الذي قال : (إنّ معي ربي سيهدين) .

[1] الشعراء : 61 .

)

[1] الشعراء : 62 .

[5] أخرجه الترمذي 4 / 125 ، وأحمد في المسند أرقام 2144 ، 2203 ، 2821 ، والطبري في التفسير رقم 1 786 1 وقال الترمذي : حديث حسن . وقال العلامة احمد شاكر : إسناده صحيح .

[2] الحَمَأ:الطين الأسود المُنتن . والقطعة منه حَمَأة .

[3] يونس: 90

[4] يونس : 91 .

)

[1] خلوف الفم : رائحة الفم إذا تغيّرت .

[2] باجرمى : – بفتح الجيم ، وسكون الراء ، وميم وألف مقصورة –قرية من أعمال البليخ قُرْب الرقة من أرض الجزيرة .
وفي معجم البلدان : والبليخ نهر يصب في الفرات تجاه أرض صفين الواقعة الشهيرة ضمن متصرفية دير الزور .

[1] ،[2] الأعراف : 43 ، 44 .

)

[3] هذا كلامِ غير مقبول ولا دليل عليه ، ولا يُنقَل أن ينزل الله عليهم كتاباً فإذا ألقاه موسى على الأرض –في حين غَضب لله –ذهب ستة أسباعها . إنما يقول مثل هذا اليهود وهم أهل افتراء وضلال .

[1] الذي جاء في كتاب الله في مصير السامري هو قول موسى علبه السلام له : (فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس) (ط : 97) .

[2] البقرة:93 .

[1] هذا القول لا دليل عليه.

[2] البقرة : 67 .

[3] إنما كان تشديد الله عليهم لانهم شددوا على أنفسهم تأييداً لهم ! !

[4] البقرة : 69 : 1 7 .

[5] البقرة : 71 .

[6] هذا القول لا دليل عليه ولكفي قوله تعالى : (فقلنا اضربوه ببعضها) (البقرة : 73) ، وليس هناك دليل على بيان هذا البعض .

[7] من العجيب أن التوراة لير فيها شيء من قصة البقرة والقتيل رغم أنهم يجعلون ذَبح بقرة حمراء سليمة من العيوب لم يعلها نير فتذبح وتحرق بكيفية خاصة وتكون ذبيحة عظيمة . (منيرية) .
[1] كذا في الأصول ، وفي الطبري : يوفنة . (منيرية) .

[1] هذا الكلام من افترا، اليهود على أنبيائهم ولا تجوز الخديعة على الأنبياء .
[2] خرافة ليس لها أصل .

[3] زيادة زدناها يقتضيها السباق .

[1] هذا القول لا دليل عليه .

[2] ولكن بسند موقوف من طريق طاوس وبسد مرفوع من رواية همام بن فبه ،ومع هذا فالحديث ليس فيه فقأ نم عينه وإنما فيه فصنها بدون فقأ كما في البخاري في آخر الصلاة ، وني أحاديث الأنبياء.
[1] ذكرت قصة بلعام في التوراة لا في دخول مدينة الجبارين ولكن قبلها جن جاء بالاق ببلعام ليدعو على بني اسرائيل فدعا لهم . (منيرية) .
[1] الأعراف : 175 .

[1] القصص : 77.

[2] القصص :78 .

[3] البِرذَون : يطلق على غير العربي من الخيل والبغال من الفضيلة الخيلية ، عظيم الخِلْقَة ، غليظ الأعضاء ، قوي الأرجل ، عظيم الحوافر . جمعه :بَرَاذين .
[1] هذا كلام لا دليل عليه ولا بجوز على الله تعالى .

[1] إن بني إسرائيل ظلوا بعد يوشع بن نون أربعمائة سنة ليس لهم مَلِك ، وأول مَلِك فيهم طالوت وهذا قبل طالوت قطعاً فكيف يكون من ملوكهم . (منيرية) .
[1] هذا الكلام تظهر فيه جُرأة اليهود على أنبيائهم ، ومن ألمُحَال أنْ يقول الله تعالى لنبيه هذا الكلام .
[2] هذا القول في إلباس وخلوده باطل لا يصح فيه دليل ويتعارض مع آيات الله البينات .
[1] البقرة : 246 .

[2] ،[3] البقرة : 47 2 .

)

[4] البقرة : 248 .

[5] التابوت كانت فيه التوراة – وهي سَكِيْنَة لهم وفيها اطمئنان أنفسهم لا رأس هر أو غيره ، وقصته : أن الفلسطينيين غلبوا بني اسرائيل في الحرب وأخذوا التابوت وأدخلوه بيت إلههم " داجون " فكان في كل ليلة يسقط إلههم " داجون " وقُطِعَتْ يده فضاق الفلسطينييون به وردوه كما سنبين فيما يلي . (منيرية) .
[6] هذه خرَافة ولكن الفلسطينيين من أهل غَزْة لقوا مشقة شديدة من وجود التابوت عندهم فوضعوه على عربة تجرها بقرتان وتركوهما . فجاءتا بالتابوت ومعه هدية من الفلسطينيين وهي تماثيل من ذهب وبواسير من الذب كما في

سفر صموئيل الأول : 6 – (منيرية) .

[1] ،[2] ،[3] البقرة : 49 2 .

)

)

[1] الغِبلَة : الاغتيال : يقال : قتله غِيلَة : على غفلة منه .

[1] ايلَة : مدينة على ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام وهي آخر الحجاز وأول الشام .

[1] وهو قوله تبارك وتعالى : (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يَعدُون في السبت إذْ تأتيهم حيتانهم يوم سَبْتِهِم شُرعاً ويوم لا يَسبِتُون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسُقون . وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون . فلما نسوا ما ذُكرَّوا
به أنجينا الذي ينَهوْن عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بَئِيسٍ بما كانوا يفسُقَّون ، فلما عَتَوْا عَن ما نُهُوا عنه قلنا لهم كونوا قِرَدةً خاسئين) (الأعراف 1 63 : 1 66) .

[2] سبحانك هذا بُهتان عظيم .

هذه القصة التي ذكرها المصنف هنا واعتاد ذكرها المصنفون في التفسير والتاريخ قصة باطلة موضوعة من الِإسرائيليات التي وضعها اليهود–لعنهم الله –في التوراة افتراء على نبي الله داود عليه السلام وهي تتنافى معٍ عصمة الأنبياء التي خص الله بها أنبياءه عليهم السلام ، إنها قصة تقشعر منها الأبدان ولا يقبلها عاقل أبدا .. قال الحافظ ابن كثير 7 /189 " وقد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ، ولم يثبت فيها المعصوم حديث يجب اتباعه " .

قال الشيخ أبو شهبة في الإسرائيليات والموضوعات ص 372 ؟ 373 : " وإنما هي اختلاقات ، وأكاذيب من الإسرائيليات أهل الكتاب . وهل يشك مؤمن عاقل يقر بعصمة الأنبياء في استحالة صدور هذا على داود – عليه السلام –ثم يكون على لسان مَنْ ؟ على لسان مَنْ كان حريصاً على تنزيه إخوانه الأنبياء عما لا يليق بعصمتهم وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم – ومثل هذا التدبير السيء والاسترسال فيه على ما رووا لو صدر من رجل من سُوقة الناس وعامتهم لأعتُبر هذا أمراً مستهجناً مستقبحاً فكيف يصدر من رسولٍ جاء لهداية الناس زَكَت نفسه وطهرت سريرته وعَصَمَه الله من الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وهو الأسوة الحسنة لمن أرسل اليهم .

ولو أنْ القصة كانت صحيحة لذهبت بعصمة داود ولنفرت منة الناس ، ولكان لهم العذر في عدم الإيمان به ، فلا يحصل المقصد الذى مِنْ أجله أرسل الرسُل ، وكيف يكون على هذه الحال مَنْ قال الله تعالى في شأنه : (وإن له عندنا لزلفَى وحسنَ مَآب " .

وما أحسن ما قال القاضي عياض :لا تلتفت إلى ما سطره الإخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرون ، ولم ينص الله تعالى علي شيء من ذلك في كتابه ولا ورد في حديث صحيح ، والذي نُصْ عليه في قصة داود : " وظَن داود أنما فتناه " وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت " (الشفا 2 /158) .

والمحققون ذهبوا إلى ما ذهب إليه القاضي ، قال الداودي : ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت ، ولا